

# جامعة أكلي محند أولحاج -البويرة-



مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة  
قسم خاص بالعلوم الاجتماعية والإنسانية

# معارف

في هذا العدد...

- < البحث العلمي و إشكالية مجلة المعرفة
- < التصورات النظرية للحقارة
- < مغزبات الجائحة وإشكالية التفسير
- < تقييم أداء مختشي التعليم الابتدائي
- < صعوبات الإشراف التربوي لمدراء المدرسة الابتدائية
- < تشيخ " أثر بارود" بالفضائل الثقافية
- < أثر وجهيات حقوق المرأة في تقييد المرأة المسلمة
- < المخاطر والتأثيرات الاجتماعية للعلم الجديد
- < الواقع الصحي بالتعليم العفنة بين 1945-1840
- < دور الدين الخطيب والانتداب الفرنسي في سورية (1946-1926م)
- < دور الخطوط الجوية والبحرية والروائي والشعاطي المغربية في عملية تغيير الأساطير لصالح الثورة الجزائرية

الإبداع القانوني  
Depot 136 9 - 2006  
ISSN 1112 - 7007  
ر.د.م.ك

العدد 22/ جوان 2017 (السنة الثانية عشر)

مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة العدد 22/ جوان 2017 (السنة الثانية عشر)



Université Akli Mohand Oulhadj  
-BOUIRA-

Revue académique éditée par l'Université Akli Mohand Oulhadj -BOUIRA  
Partie des Sciences Sociales et Humaines

# MÂAREF

## Revue académique

> | LA CONFRONTATION POLEMIQUE ENTRE DONATISTES ET CATHOLIQUES.

# معارف

---

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة أكلي محند أو الحاج بالبويرة

قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية

العدد 22 / جوان 2017 (السنة الثانية عشر)

# معارف

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة أكلي محند أو الحاج بالبويرة  
قسم خاص بالعلوم الإجتماعية والإنسانية  
العدد 22 / جوان 2017 (السنة الثانية عشر)

-الرئيس الشرفي:أ.د. موسى زيرق  
المدير مسؤول النشر: د.وهيبة بلعالية  
- رئيس هيئة التحرير:  
-مصطفى سعادوي  
- أعضاء هيئة التحرير

- عفيفة جديدي  
- صابر راشدي  
- أحمد سليمان  
- جميلة أوشان  
- زوينة حلوان  
- سامية فرفار  
- ياسين بودريعة  
- علجية دوداح

Fax : +21326936968

مكتب

Tele:+21326936968

<http://www.univ-bouira.dz/ar/>

موقع الجامعة على الانترنت

[salisada@gmail.com](mailto:salisada@gmail.com)

البريد الإلكتروني لرئيس التحرير

[facebook.com/revue.maaref](https://www.facebook.com/revue.maaref)

صفحة المجلة على الفيس بوك

الإيداع القانوني : Depot 1369 \_ 2006

ر.د.م.ك: ISSN 1112 – 7007

جامعة أكلي محند أو الحاج بالبويرة

البويرة – الجزائر

## الهيئة الاستشارية (الدولية والوطنية)

### الهيئة الاستشارية الدولية:

أ.د. عبد الله بلحاج (تونس)	أ.د. احمد بوحسن (المغرب)	أ.د. محمد ايت المكي (المغرب)
أ.د. عبد القادر فيدوج (البحرين)	أ.د. محمد الحيدروسي (الاردن)	أ.د. إبراهيم حمداوي (المغرب)
أ.د. عبد الرحمان عزي (الامارات)	أ.د. محمد الزحيلي (سوريا)	أ.د. فريد الماسيوي (فرنسا)
أ.د. كمال شاشوة (فرنسا)	أ.د. أحمد بن ناعوم (فرنسا)	أ.د. شاكر العبيدي (العراق)

### الهيئة الاستشارية الوطنية:

أ.د. موسى زيرق (البويرة)	أ.د. علي عزوز (الجزائر)	أ.د. احمد دوقة (الجزائر)
أ.د. عمار بن اخروف (البويرة)	أ.د. علي براجل (باتنة)	د.كريم مكيري (البويرة)
أ.د. محمود بوسنة (الجزائر)	أ.د. محمد بومخلوف (الجزائر)	د.صليحة بوماجن (البويرة)
أ.د. كمال بوزيدي (الجزائر)	أ.د. زوبيدة بلعربي (البليدة)	د. عبد النور ارزقي (البويرة)
أ.د. عمر بوساحة (الجزائر)	أ.د. ارزقي شويتام (الجزائر)	أ.د. محمد برو (المسيلة)
أ.د. محمد الأمين بلغيث (الجزائر)	أ.د. الطيب بلعربي (الجزائر)	د. كمال الدين قاري (البويرة)

## لجنة قراءة العدد

- أ.د. محمد بومخلوف (جامعة الجزائر2)  
أ.د. ستار أوعثماني (جامعة بجاية)  
د. أحمد فلاق (جامعة الجزائر3)  
د. محمد الشريف حسين (جامعة البويرة)  
د. حياة بوتفنوشات (جامعة البليدة2)  
د. كريم زايدي (جامعة الجزائر1)  
د. سعيد خنزوش (جامعة الجزائر1)  
د. نبيل حليلو (جامعة بسكرة)
- د. فاطمة مساني (جامعة البويرة)  
د. الطاهر بن تونس (جامعة تيزي وزو)  
د. عبد النور أرزقي (جامعة البويرة)  
د. فريد بوطابة (جامعة تيزي وزو)  
د. ساجية مخلوف بن تونس (جامعة الجزائر2)  
د. كريمة خدوسي (جامعة البويرة)  
د. حميد قرليفة (جامعة غرداية)

## قواعد النشر في المجلة:

يشترط في البحوث والمقالات التي تنشر في مجلة معارف ما يأتي :

1. أن يكون البحث مبتكراً أو أصيلاً، ويشكل إضافة نوعية في اختصاصه .
  2. أن تتوفر فيه الأصالة والعمق وصحة الأسلوب .
  3. ألا يكون قد سبق نشره .
  4. أن يلتزم بالقيم الإنسانية وبمعايير البحث العلمي وبخاصة ما يلي :
    - أ- الابتعاد عن التجريح والإسفاف في القول، والتعريض بالآخرين .
    - ب- مراعاة البنية المنهجية .
    - ج- وضع هوامش وإحالات للمقال، على أن تكون مستقلة عن قائمة المصادر والمراجع .
    - د- وضع قائمة بمصادر البحث ومراجعته .
  5. أن تكون مكملات البحث من خرائط أو جداول في صورتها الأصلية .
  6. أن يكون البحث المترجم مصحوباً بأصله المترجم عنه .
  7. أن يقدم لإدارة المجلة مطبوعاً على الورق ومخزناً في قرص مدمج CD أو في وسيلة من وسائل استقباله في جهاز الحاسوب .
  8. أن تقدم سيرة ذاتية للباحث في ورقة مستقلة عن البحث .
  9. عدد كلمات البحوث النظرية بين 3000 و 5000 كلمة حسب المقاييس الدولية، أي (بين 2010 صفحة بمعدل 300 كلمة /صفحة) والكتابة تكون بخط-traditionnel arabic: 14للغة العربية، وبخط 12-times new roman: بالنسبة للغة الأجنبية.
  10. ترفق بالبحث ملخصات باللغات الثلاث (العربية والفرنسية والانجليزية) بما لا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل لغة .
- مع ملاحظة أن البحوث والمقالات :**
- . تخضع للتقويم العلمي واللغوي ويعلم الباحث بالنتيجة، كما أنها تخزن في أرشيف المجلة، ولا ترجع لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
- . وهي تعبر عن آراء كتابها وحدهم ، فهم المسؤولون عن صحة المعلومات وأصالتها، ولا تتحمل الإدارة أي مسؤولية في ذلك.

الصفحة	فهرس المقالات
24/07	1- البحث العلمي و إشكالية هجرة الأدمغة و الكفاءات في العالم العربي. قراءة سوسيولوجية تحليلية حول الأسباب والتداعيات، عبد الهادي قاسي، جامعة البويرة..
48/25	2- التصورات النظرية للمقاولة، د. نعيمة نيار، جامعة البويرة.
71/49	3- مخرجات الجامعة وإشكالية اللاتجسير مع المحيط الاجتماعي، د. عبد النور أرزقي (جامعة البويرة)، د. مختاررحاب (جامعة المسيلة).
117/72	4- تقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي في ضوء مهامهم الإشرافية من وجهة نظر المعلمين، د. نقبيل بوجمعة، د. مكفس عبد المالك، جامعة المسيلة.
140/118	5- صعوبات الإشراف التربوي لمدير المدرسة الابتدائية من وجهة نظر المديرين د قرساس حسين، جامعة المسيلة.
161/141	6- - تشبع " أثر بارنوم" بالخصائص الثقافية في الدراسات الميدانية. دراسة العلاقة بين المساندة الاجتماعية والتحصيل الدراسي نموذجا، د. بوشارب فوزية، جامعة أبو القاسم سعد الله بالجزائر
192/162	7- أثر جمعيات حقوق المرأة في تغريب المرأة المسلمة، دراسة فقهية، د. محمد جبر السيد عبد الله جميل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا
208/193	8- المخاطر والتأثيرات الاجتماعية للإعلام الجديد، د. فطوم بن قبي جامعة مسيلة
227/209	9- الوضع الصحي بإقليم الحضنة (الجزائر) وواقع الاحتلال الفرنسي بين 1840-1945، د. بيرم كمال، جامعة المسيلة.
253 /228	10- محب الدين الخطيب والانتداب الفرنسي في سورية 1926-1946م د. حسين محمد الشريف جامعة البويرة
286/254	11- دور الخطوط البرية والبحرية والموانئ والشواطئ المغربية في عملية عبور الأسلحة لصالح الثورة الجزائرية 1956-1961، د. محمد السعيد قاصري. جامعة مسيلة
314/287	12-LA CONFRONTATION POLEMIQUE ENTRE DONATISTES ET CATHOLIQUES ET SES REPERCUSSIONS AU MAGHREB ANTIQUE (311- 411 AP. J.C.), Dr. Rabie OULMI, Université de BATNA -1-

# البحث العلمي وإشكالية هجرة الأدمغة والكفاءات في العالم العربي قراءة سوسيولوجية تحليلية حول الأسباب والتداعيات أ. محمد الهادي قاسي جامعة البويرة

## الملخص:

الأجنبية و المحلية التي تبين ذلك ، ومحاولة التعرف على أسباب فقدان هذا الرأس المال البشري و الوقوف على أهم التداعيات و سبل معالجة هذه الظاهرة المتفاقمة سنة تلوى الأخرى.

تهتم جميع الدول بإعداد برامج شاملة وطموحة للتنمية البشرية القائمة على أسس علمية مدروسة باعتبارها أهم عنصر من عناصر التنمية. وتجمع دول العالم المتقدمة والنامية على حدٍ سواء، في تركيزها بتحسين نوعية الحياة بتوفير التعليم والرعاية الطبية والصحية وتوفير كل حاجيات المجتمع التي تتحقق بفضل ما توصلت إليه العقول المبدعة في مجالات البحث العلمي ، وقد أوضحت مؤشرات التنمية في العالم أن مدخل الاستثمار البشري أمر مرغوب فيه ليس فقط من الناحية الإنسانية، بل أيضاً من الناحية الاقتصادية كما أنه عنصر فاعل في الاعتلاء في المعرفة من خلال مجريات البحوث العلمية و التطور التكنولوجي القائم حالياً على بناء مجتمعات المعرفة.

## Résumé:

Al l'instar de tous les pays, chaque état déploie des efforts colossaux en vue d'élaborer un plan d'action riche et ambitieux pour le développement de la ressource humaine fondée sur des piliers scientifiques, et cela représente un des facteurs phare du progrès économique et social de l'état.

Tous les gouvernements savaient que le l'ampleur et l'essor des besoins sociétaux que réclame le citoyen sur divers plans tels que : éducation, savoir, santé et autres sont liées principalement au progrès de la science et du

يهدف هذه الملخص للتعرف على أعداد العقول العربية المهاجرة إلى البلدان الغربية من خلال الاطلاع على الإحصائيات والتقارير

**Abstract:**

All countries alike do make enormous efforts to develop a rich and ambitious plan of action to develop the domestic human resource based on scientific pillars; in fact, it is one of the key factors of any country's economic and social progress.

All governments know the extent to which the citizens' social needs at various levels, such as education, knowledge, health and others, were primarily related to the evolution of science and to the development of scientific and technological research of the country.

This summary aims at shedding light on the extent of the number of Arab skilled immigrant abroad; as well as hoping to identify the major causes of the exodus of this category of people who represents a human capital of high importance, and to put an end to this ever evolving phenomenon.

développement de la recherche scientifique et technologique du pays.

Ce présent résumé vise à mettre le doigt sur l'ampleur des effectifs des compétences arabes immigrées à l'étranger; et dans l'espoir d'identifier les causes majeures de l'exode de cette catégorie d'individu qui représente un capital humain de haute importance, et également de mettre fin à ce phénomène, qui ne cesse d'évoluer du jour au jour.

مقدمة:

تتميز المجتمعات المعاصرة بالدينامية و الحيوية و التطور المستمر نتيجة للثورة التكنولوجية و التراكم المعرفي و نتيجة لهذه التغيرات و التطورات الكبيرة في مجتمعات العالم ، أخذت الجامعة مفهوماً و أبعاداً أكثر عمقا لمسيرة هذه التحولات في الميادين العلمية و التكنولوجيا ، فلم يعد التعليم الجامعي خدمة تقدمها الدولة للمواطنين كحق لهم ، بل أصبح الناس ينظرون إلى الجامعة على أنها عملية إنتاجية و استثمارية تساهم في بناء رأس مال جديد أطلق عليه رأس المال البشري تمييزاً له عن الرأس المال المادي ، إلا أنه أغزر إنتاجاً و أعلى عائداً. و المجتمعات العربية ليست بعيداً عن هذه التغيرات و إن إحداث نقلة نوعية في أداء الجامعة كمؤسسة مرهون بالدرجة الأولى بمعرفة بجوانب النقائص و هذا لتشكيل إستراتيجية واضحة المعالم ، و في هذه الحالة يمكن رسم خريطة عملية لبناء قاعدة علمية تكمن مهامها الأولى بالاهتمام بالبحث العلمي و القيام بإحصاء كل الكفاءات و الخبرات الموجودة على المستوى المحلي و بالتواصل مع الكفاءات الموجودة في المهجر و الاستفادة منها لدفع حركية العلم و بعث التنمية الاقتصادية للبلد.

الإشكالية:

من أبرز المشكلات و الظواهر السلبية التي تعاني منها مجتمعاتنا العربية المعاصرة موضوع و ظاهرة هجرة الأدمغة المفكرة و المبدعة ، و تعد هذه الأخيرة من أهم و أخطر المشاكل التي تواجه معظم بلداننا العربية، فبدلاً من الاستفادة من هذه العقول و الحفاظ عليها و الإعلاء من شأنها

و أن يكون لها صدى في تقدم البحث العلمي و المساهمة في الاقتصاد الوطني ، نرى الدول الغربية تُقدم أفضل التسهيلات لكسب هذه العقول و الاستفادة منها في بلدانها؛ حيث أنّ أغلب العقول تهاجر بسبب عوامل اجتماعية و ثقافية و مادية و سوء الأوضاع الاقتصادية و السياسية و في المقابل فإنّ الدول المتقدمة تُقدم لهذه الكفاءات العديد من التسهيلات ممّا يشجعهم على الهجرة.

التقرير العربي الأول للجامعة العربية حول العمل و البطالة المنعقد عام 2008 يعزو ارتفاع معدل الهجرة إلى تزايد القيود المفروضة على حرية ممارسة البحث العلمي و الفكري الحر في أغلب الدول العربية، ما يترتب عليه شعور متزايد بالاغتراب للكفاءات

العلمية والفكرية العربية داخل أوطانها وترقيتها فرص الهجرة إلى الخارج. ويوضح التقرير أن نحو 50% من الأطباء العرب و23% من المهندسين و15% من العلماء، مهاجرون إلى الولايات المتحدة وكندا سنويا، وأن 54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم. أما على الصعيد الجزائري حسب تصريحات المدير العام للبحث العلمي السيد حافيظ أوراغ فإن ما يربو عن 71 ألف من الكفاءات العليا الجزائرية توجد في عداد الهجرة ما بين 1994 و 2006 وتكلف خزينة الدولة ما يقارب 40 مليار دولار<sup>1</sup>.

وفي الوقت الذي تعيش أغلب الدول العربية على الموارد النفطية أثبتت الدراسات الحديثة أن أفضل الاستثمارات يكمن في الاستثمار في الرأس المالي البشري وأن المجتمعات التي أحرزت تقدما حضاريا كان وراءه الاستثمار في المورد البشري ، و في مصطلحات تخصص تسيير الموارد البشرية تعد الكفاءات العليا بما يسمى الجواهر النادرة – Les perles rares – سيما أن الدول العربية في حاجة ماسة إلى هؤلاء الباحثين والأساتذة والخبرات في تنمية العقول البشرية وبالارتقاء بالجامعات وتطوير البحث العلمي كونهم مخزونا علميا ومعرفيا يساهم في التنمية المستدامة وتطوير البحث العلمي النظري والتطبيقي لمعالجة مشاكل المجتمع وبناء الاقتصاد الوطني.

وعلى هذا الأساس، تمحورت مشكلة الدراسة على النحو التالي:

فيما تكمن الأسباب والعوامل من تسرب الأدمغة من وطننا العربي وما هي السبل والاقترحات للحد منها والاستفادة منها لترقية الجامعات والبحث العلمي؟

#### 1/1 الجذور التاريخية لإشكالية هجرة الأدمغة وأسبابها:

برغم أن ظاهرة هجرة الأدمغة والعقول أو هجرة العلماء وما يطلق عليها بنزيف العقول أو كما تسمى بالانجليزية (Brain drain) ليس بالظاهرة الحديثة ، فهذا " ديديجار Didijar " يقول في بحثه عن الهجرات البشرية للعلماء عبر التاريخ ، أن هذا النوع من الهجرة لم يعرف قبل سنة 600 قبل الميلاد ، قد حدث هذا عندما ارتحل عدد من العلماء في " العصر البطلمي " من أثينا واستقروا في الإسكندرية التي كانت أشهر مركز إشعاع المعرفة آنذاك " <sup>2</sup>.

وعلى حد قول العالم (( لاكشمانا – Lakshmana )) الذي اشتغل في تاريخ هجرات الأدمغة أشار أن تاريخ هجرة العلماء الذين كانوا ينتقلون من أجل طلب العلم

كان بتاريخ عام 377 قبل الميلاد حين أنشأ أفلاطون أكاديمية العلم و أيضا حيث سار على نفس الدرب أرسطو في عام 355 ق. م حيث كان السبب وراء اجتذاب أثينا لأعداد كبيرة من العلماء من جميع أنحاء اليونان وغيرها<sup>3</sup>.

و إذا انتقلنا عبر الزمان إلى بلاد الإسلام، نجد أن المسلمين يحثون على العلوم من مصادرها الأصلية وترجمتها لها ، نجد أنهم فتحوا الأبواب أمام العلماء من جميع العالم كي يأتوا إلى بلادهم و يقيموا بينهم و يشتغلوا بالعلم ترجمة و تدريسا<sup>4</sup>. لقد سعى الحكام المسلمون خلال الخلافتين الأموية و العباسية و بذلوا جهدا كبيرا لاجتذاب طاقة بشرية محترفة إلى عواصمهم دمشق و بغداد والقاهرة و مختلف المدن الإسلامية باستعادة أعدادا كبيرة من الفقهاء و الأطباء و العلماء و الشعراء و المهندسين<sup>5</sup>.

أحسن مثال في التاريخ العربي ، هو ابن خلدون الذي ولد في تونس و ترعرع في بيت محب للعلم و السياسة و انتقل إلى المغرب ثم الأندلس ثم عاد إلى تونس و لم يستقر فيها حتى شد الرحال مرة أخرى إلى الأندلس التي لم يمكث فيها طويلا ، حيث انتقل إلى الجزائر " تيارت" ثم رحل إلى تونس ثم مصر حيث استقر فيها يدرس و يؤلف حتى وفاته.

عملت أوروبا خلال فترة العصور الوسطى على منع الهجرة خارج حدود جامعاتهم و كان ذلك منذ حركة ظهور الجامعات الأوروبية. و المتبع لتلك الفترة يلاحظ أن الجامعات الأوروبية آنذاك كانت حريصة الحرص كله على أساتذتها و علمائها بل كانت تخشى أن ينتقل بعضهم من بين جدرانها للعمل في جامعات أخرى أو العمل على إنشاء جامعات أخرى ، و نتيجة هذا الخوف اشترطت الجامعات عند تعاقدها مع الأساتذة أن يؤدوا يمينا " Oath " يقسمون فيها بأنهم لن يغادروا جامعتهم للعمل في أماكن أخرى<sup>6</sup>. و في نفس الشأن و نتيجة الحرص الشديد على العلماء ، فقد أصدرت بعض الدول عقوبة الموت على الأساتذة و العلماء ، و وصل الأمر أن وضعت تشريعات في مدينة " بولونا الإيطالية Boulogna " عام 1432 تقر على عقوبة الموت أو الإعدام ضد أي إنسان سواء كان من أهل المدينة أو من الغرباء يشترك في التآمر بقصد تحويل الجامعة إلى مكان آخر . و أنه رغم كل هذه العقوبات و الحرص الشديد إلا أن الهجرة لم تتوقف و أن حركة العلم و العلماء حطمت كل الحدود الجغرافية و الدليل على ذلك إنشاء الجامعات في

المدن المختلفة من أوروبا ، كجامعة " أوكسفورد-Oxford " في إنجلترا و جامعة "كمبردج-Cambridge" وغيرها<sup>7</sup>.

فعند اكتشاف القارتان الأمريكيتان الشمالية والجنوبية ، اندفعت أعداد فقيرة من أبناء أوروبا إلى هذا العالم الجديد لتعميره ، و إن كانت نسبة أصحاب الكفاءات العالية من جملة الذاهبين لم تزد عن 1 % فقط فقد أخذت تزداد تدريجيا حتى بلغت نسبة 23 % في سنة 1982 " <sup>8</sup>.

### (2/1) أنواع الهجرة من منظور تقليدي:

المشكلة لا تتجاوز حدود الدول النامية فقط بل استأثرت ظاهرة نزيف الأدمغة و هجرتها في غضون السنوات الماضية باهتمام جميع البلدان المتقدمة منها و النامية على حد سواء و كانت على مدى الأيام موضوع حوار و نقاش دولي واسع . صحيح ، فمنذ ظهور الإنسان على وجه الأرض كان البشر و ما يزالون دائمي الحركة و التنقل باحثين على حياة أفضل في بيئات جغرافية أكثر اعتدالا و أوفر مياها وأخصب تربة و أكثر تنوعا في ثروتها النباتية و الحيوانية.<sup>9</sup> و في السياق نفسه ، نحاول بإيجاز أن نضع لمحة مختصرة عن أنواع الهجرة بشكل عام <sup>10</sup>.

(1-2/1) الهجرات القديمة : وهي الحركات السكانية و كان السبب الرئيسي لتلك الهجرة يتمثل في التغير المناخي كفترات الجفاف النسبية أو البحث عن الغذاء ... الخ .

(2-2/1) الهجرات الحديثة : و هذا النوع حسب الاختصاصيين بدأ منذ القرن الثامن عشر و ما بعد حيث بدأت الثورة الصناعية في أوروبا و حدثت التغيرات التكنولوجية ، و التي من خلالها شهدت هذه الفترة تدفق الهجرات من الدول النامية إلى الدولية المتقدمة .

بالإضافة إلى هذا ، نجد من يربط الهجرة بالناحية الجغرافية و هي تعني انتقال السكان من منطقة جغرافية لأخرى عبر الحدود الدولية ، وكذلك إلى الهجرات الداخلية و حركة تنقلات السكان داخل الحدود الإقليمية للبلد الواحد كتلك التي تسمى الهجرة من الريف إلى المدينة. و إلى جانب الهجرة الاختيارية نجد أيضا ما يتفق عليه تسميته الهجرة الإجبارية و التي تتم في معظم الأحيان بسبب قوة خارجية تدفع الأفراد إلى الهجرة على غير رغبتهم منهم و من أمثلة ذلك هجرة الفلسطينيين أو ما يحدث أثناء الحروب على غرار ما يحدث في العراق و سوريا مؤخرا.

(2) أسباب هجرة الأدمغة وعواملها :

تعتبر ظاهرة هجرة الكفاءات و العلماء من الدول النامية إلى الخارج أحد أهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاديات الوطنية و على التركيب الهيكلي للسكان و القوى البشرية ، كما تكتسب هذه الظاهرة أهمية متزايدة في تزايد أعداد المهاجرين خصوصا من الكوادر العلمية المتخصصة .

على الرغم أن مراكز الدراسات و المنظمات الدولية و الإقليمية ، حددت جملة من الأسباب التي دفعت العقول إلى الهجرة خارج أوطانها الأصلية و هناك من يعتقد من الباحثين في طريقة تناولهم للأسباب التي تؤدي إلى الهجرة ، ورغم الاختلاف نجد منهم من تناول هذا الموضوع و قسمها حسب زاويتين <sup>11</sup> . فيتجه الاعتقاد الأول أن هذه الظاهرة تعالج من زاوية فردية ، حيث تسعى الكفاءات لتحقيق ذاتها فكريا و مهنيا و أيضا لضمان ظروف العمل و معيشة مريحة ، بينما يتجه الاعتقاد الثاني بأن ظاهرة هجرة الأدمغة ظاهرة دولية و جذورها عميقة . و نجد من يعتقد أن الأسباب التي تقف وراء هجرة الأدمغة هي سياسية ، و اقتصادية و اجتماعية و علمية و إدارية <sup>12</sup> ، و كذلك من يشير إضافة إلى هذا العوامل الذاتية <sup>13</sup> و من الباحثين أيضا من تناولها مفصلة بحيث ذكر الأسباب و الدوافع و العوامل و الحوافز <sup>14</sup> .

ونحن بدورنا سنحاول قدر المستطاع حصر جملة الأسباب التي أدت إلى تفاقم أزمة هجرة الأدمغة. رغم أن هذا الموضوع يستحق التعمق فيه نظرا لأهميته على الصعيد العربي أو الوطني كل ما يترتب عنه من هدر في الطاقات البشرية و المال، حيث نركز على هذه الأسباب :

(1/2) الأسباب الاجتماعية:

أ- المتزوجون : حيث يلاحظ أن بعض من الممتنعين عن العودة إلى أوطانهم كانوا من المتزوجين و لديهم أطفال و نجدهم لا يريدون المغامرة بمستقبل عوائلهم - الخوف من عدم الانسجام - اندماج و تكيف و نوعية التعليم لأبنائهم -

ب- العمر : محمد عبد العليم مرسى في دراسته استوضح فيها أن حوالي 70 % من أفراد البعثات العلمية يهون دراستهم الدكتوراه و يرفضون العودة للوطن في المرحلة العمرية ( 31-40 ) سنة <sup>15</sup> .

ج- **المكانة الاجتماعية** : ضمان العيش في مراكز اجتماعية مرموقة نظرا لمكانتهم المهنية العلمية التي وصلوا إليها ، وربما يحدث عكس ذلك أو خشية من وقوع ذلك ، فإن بعضهم يترددون . ولتبيان هذا الواقع الذي يعيشه بعض العلماء الذين فضلوا المهجر و عن أحد الأساتذة المهاجرين في الطب و الجراحة المصريين " لقد أسفت على قرار عودتي إلى بلدي منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه قدمي على أرض الوطن بالإسكندرية ، لقد شعرت بالإهانة الشديدة حالما نظرت إلى موظف الجمارك بلا مبالاة ، و طلب مني أن أعود في يوم آخر لاستلام سيارتي... لقد شعرت بأني لأشيء في بلدي عما أحمله من شهادات<sup>16</sup>.

#### د- صداقات وارتباطات العلماء الاجتماعية مع نظرائهم في الخارج :

وقد يظهر ذلك سواء من خلال المؤتمرات العلمية أو الاشتراك في البحث ، حيث تنشأ الصداقات و يتشرب المهاجر بعض العادات التي لا يستطيع التخلي عنها خاصة و أنها تكون قد ارتبطت بثقافات و معايير جديدة.

#### (2/2) الأسباب الاقتصادية :

تكمن الأسباب الاقتصادية التي تدفع الكفاءات إلى المهجر و الامتناع عن عودتهم إلى بلد الأصل في النقاط التالية :

- انخفاض مستويات المعيشية في معظم البلدان النامية و ارتفاع أجور العلماء و الخبراء و الفنيين الأجانب عن أجور نظرائهم من أهل البلد.
- تمويل طلاب الدراسات العليا بالخارج ، بحيث تقوم بعض الجامعات بالإنفاق عليهم بسخاء عكس المنح و المساعدات التي تصرف عليهم من طرف الجهات الممولة به داخل الوطن الأصلي .
- وفرة الاعتمادات المرصودة للبحث العلمي و التدريب في العالم المتقدم ، و ما توفره للباحثين من إمكانيات تشجع و تشبع رغباتهم في البحث و الاكتشاف عكس تلك المتواجدة في البلدان النامية التي ينتمي إليها الباحث - الوطن الأم .

#### (3/2) الأسباب السياسية:

- عدم الاستقرار السياسي حيث أن الأجواء السياسية المضطربة أو غير المستقرة ليست أجواء علم أو تقدم ، بل أن معظم الجهود تصرف لتأمين الوضع السياسي و أن هذا الظرف يجعل العالم يؤدي عمله بخوف من اتهام أو تسلط .

- الحرية الفردية ، وهذا العامل مرهون بالعامل السياسي ، ذلك أن حرية الفرد هي من حرية الوطن .
  - تجنب الحكومات غالبا ، أنهم يفضلون البقاء في الخارج نظرا لأنهم يخشون العودة الى بلادهم حتى لا يقعوا في مشاكل.
  - عدم احتلال العلماء العائدين لمراكز قيادية بالوطن .
  - الحروب الداخلية و الفوضى وكلها تؤدي بالناس إلى هجرة بلادها بحثا عن الأمن و السلامة وهذا الوضع يقابل الفترة السوداء التي عايشتها الجزائر ، حيث جاءت في دراسة للمكتب الوطني للإحصاء في الجزائر نشرته جريدة " الخبر " بتاريخ 27 مارس 1997 ، أن حوالي 410 ألف جزائري غادروا البلد ، لم يعودوا إليها خلال الفترة الممتدة (1995-1990) و أشار المصدر ذاته أن الجزائر قد خسرت قسما معتبرا من إطاراتها الرفيعة المستوى من الأطباء و أساتذة الجامعات والمهندسين و الصحفيين ، و من بينهم أكثر من ألف أستاذ جامعي<sup>17</sup>.
- ويمكن أن نشير أيضا أن السبب الأساسي للهجرة متصل بغياب الديمقراطية في الدول العربية و الديمقراطية هنا ليس معناه توافر الحريات الفردية و العامة فقط كي يشاركوها في انتخابات حرة نزيهة و يطالعون صحفا مستقلة و إنما هي أيضا التنظيم العقلاني للمجتمع و بخاصة قطاع البحث العلمي الذي يحتاج ليكون نموذجا لمحاربة الفساد و المحسوبية و الرشوة فعندما يتفاعلون أصحاب الكفاءات بواقعهم المحلي بعد العودة من الدراسة في الخارج ، يكتشفون غياب الشفافية و كتم الأفواه و امتهان كرامة الفرد ، فيحزم كثير منهم الحقائب و يعود من حيث أتى<sup>18</sup>.

#### 4/2) الأسباب الأكاديمية:

- ضعف الإنفاق على البحث العلمي في الدول العربية و نعلم أن أي ضعف في الإمكانيات المرصودة له من جانب الدولة ينعكس على حالة العاملين و الباحثين لمراكز البحوث و الجامعات و على نتائج أعمالهم ، و هذا ما يشير إليه تقرير اليونسكو لعام 2006 ، أنه لم تنتج الدولة العربية إلا 0.1 % من العدد الإجمالي لبراءات الاختراع المسجلة في المكتب الأمريكي لبراءات الاختراع و العلامات التجارية في المكتبين الأوروبي و الياباني<sup>19</sup> . و لعل البلد الوحيد على المستوى العربي الذي احتل المرتبة الأولى عربيا هو تونس الذي عرف ارتفاعا مطردا منذ عام 2000 و كشف تقرير اليونسكو لعام 2007 أن

هذا البلد هو الوحيد الذي تجاوز نسبة الإنفاق على البحث العلمي 1 % وقررت تونس وضع حد الإنفاق إلى نسبة 1.25 % من الناتج المحلي الإجمالي إلى 1.25 % في حدود عام 2009<sup>20</sup>. و الجدير بالذكر أيضا أن معظم الأموال التي تتفق على ميزانيات البحث العلمي تذهب في معظمها إلى غيرها ( كالمباني الضخمة و الفخمة ، و الأثاث ، مرتبات الإداريين ) بينما يذهب الجزء اليسير إلى المعدات و الأجهزة و المواد المطلوبة للبحث العلمي<sup>21</sup>.

- انعدام التحدي المهي الذي يجذب العلماء و ندرة المؤتمرات و الندوات العلمية ، و من المؤكد أن المنافسة العلمية هي التي تثير الأبحاث و تعمل على تعميقها و هذا بالطبع يحتاج إلى وجود منافسين علماء ، ووجود ظروف مهيأة للبحث و الإنتاج و كذلك ضمان نشر ما يتوصلون إليه من نتائج.

- ضعف أو انعدام الصلات بين مراكز البحوث و المؤسسات الإنتاجية الكبرى.  
- التشجيع و الحوافر ، حيث نجد في البلاد المتقدمة المؤسسات و الشركات الكبرى و مراكز البحوث تجتهد لاستقطاب ذوي الكفاءات العالية و تصرف عليهم بسخف عن طريق الإغراءات المختلفة.

- عدم انسجام التخصصات مع مشروعات التنمية و ذوي الكفاءات العالية ، و كثرة الأعباء الملقاة على العلماء ، فنجدهم محمولون بأعباء ضخمة سواء في مجالات التدريس أو الإدارة و غيرها ، فبينما نجد أن الأستاذ الجامعي في البلدان المتقدمة تخفف عليه الأعباء التدريسية حيث يبحث الأستاذ الجامعي في وطنه الأصل عن أكبر عدد من الساعات الإضافية الأسبوعية ليحسن من دخله .

- الإخلال في معايير الترقيات العلمية ، و تأثر المنافسة العلمية بأمور بعيدة عن العلم و أخلاقياته ، حيث نجد في بعض الحالات ان الأساتذة الباحثين يشكون من الترقيات التي تتم ليس على أساس الكفاءات و إنما على معايير خارجة عن أخلاقية العلم و معاييره ، و في دراسة قامت لها لجنة بمعهد البحوث و التدريب التابع للأمم المتحدة في وزعت على عدد من أبناء الدول النامية في المهجر و كانت النتيجة أنه لكي ترقى علميا أو تحصل على مرتبة أو وظيفة علمية فلا بد أن تكون على صلة بالحزب الحاكم أو بشخصية ذات تأثير سياسي قوي<sup>22</sup>.

-ضعف فرص نشر الأبحاث العلمية ، هنا لا بد أن نشير أن مجموعة الأعمال البحثية التي يقوم بها الباحثين ليس لأنفسهم وإنما للاستفادة منها في كافة القطاعات و عليه يجب فتح فضاءات جديدة للنشر العلمي، و للإشارة مثلا أن في الولايات المتحدة الأمريكية يوجد أكثر من 20000 مجلة علمي و دورية ، أما في العالم الباقي ، فتذكر إحصائيات عام 1981 أن العرب كلها لا يوجد فيه أكثر من 32 مجلة علمية متخصصة<sup>23</sup>.

### (3) التداعيات الدولية لدراسة ظاهرة هجرة الأدمغة :

#### (1 /3) الجهود الدولية للحد من ظاهرة تسرب الكفاءات:

المتوقع أن هجرة الطاقات الفنية إلى البلاد المتقدمة تعد خسارة الطاقات البشرية المتخصصة في بلدها الأصلي و مما لا شك فيه تعد مكاسب للبلد المضيف و على هذا الأساس شكل هذا الموضوع محل نقاش و أهمية لدى العديد من الدول و المنظمات الدولية المختلفة ، و هنا نستعرض أهم القرارات أو التوصيات التي صدرت في هذا المقام<sup>24</sup>:

أصدرت الجمعية العامة للأمم قرارها رقم (3017) في 18/12/1972 الذي جاء فيه بأن الهجرة تكمن في ظاهرة التخلّف التي تشكو منها الدول النامية .

- أصدرت (الأونكتاد\* - UNCTAD ) قرارها رقم 39 حيث تطلب من سكرتيرتها العمل على دراسة هذه الظاهرة .

- أصدرت (الأونكتاد - UNCTAD) في اجتماعها الرابع المنعقد في نيروبي -Nairobi Kenya في جانفي 1976 القرار رقم 87 و المتعلق بالنقل المعاكس للتكنولوجيا ، حيث أوصت فيه الدول النامية التي تستفيد من هجرة الكفاءات باتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة الظاهرة .

- و على الصعيد العربي ، اجتهدت الدول العربية حول هذه المسألة و سعت لدراستها ، و اتخاذ القرارات الملائمة لها ، فعقدت عدة ندوات في الوطن العربي لدراسة هذه الظاهرة و قامت ( الإسكوا \* - ESKWA) بعقد ندوة في بيروت عام 1980 حيث نوقشت فيها مجموعة من الأبحاث و الدراسات التي قدمها عدد من الخبراء العرب و الأجانب حول المشكلة .

-أصدر مكتب العمل العربي عام 1982 دراسة ناقش فيها هجرة العمالة ، و من ضمنها الكفاءات ، و قدّم بشأنها العديد من التوصيات للحد منها .

### (2/3) الجهود العربية للحد من ظاهرة تسرب الكفاءات:

على الرغم من أن عملية الهجرة العلمية ظاهرة قديمة ، إلا أن ردود الأفعال الجدية الدولية أو العربية لم تظهر في الأفق إلا في أوساط السبعينات و الجزائر كباقي الدول التي تدفع فاتورة الخسارة هذا الهدر من الطاقات البشرية ، حيث سعت للحد من تفاقم هذه الظاهرة ، و هكذا سنعرض أهم الخطوات العربية من قوانين و قرارات لمنع تسرب الأدمغة كما يلي :<sup>25</sup>

- **العراق** : قانون رعاية الكفاءات الصادر عام 1974 حيث سهل هذا القانون فتح الأبواب أمام العقول و الكفاءات العربية ، تقديم شتى الامتيازات و التسهيلات المادية و المعنوية ، كما نص القانون على منح الجنسية العراقية للباحث الذي يتعهد العمل في العراق لمدة 10 سنوات .
- **ليبيا** : ما يسمى قانون تشجيع الخبرات الذي اصدر 1975 الذي استهدف كافة أصحاب الكفاءات و الخبرات العربية العلمية و الفنية لاستقطابهم للعمل في ليبيا لأغراض التنمية الاقتصادية و الاجتماعية في الوطن العربي ، و أنشأت حينها ليبيا " معهد الإنماء العربي "
- **سوريا** : حيث أصدرت سوريا بموجب قانون منع الهجرة عام 1975 خطر هجرة الكفاءات و الخبرات الفنية و خاصة فئة المهندسين ، كما نظمت حملة لاستعادة الخبراء السوريين المقيمين بالخارج .
- **مصر** : حيث شرعت مصر بسن قانون منع سفر الكفاءات و إلى استعادة الخبرات المصرية العاملة بالخارج .
- **الجزائر** : سعت الجزائر كغيرها من الدول العربية بالترحيب بالكفاءات منذ استقلالها لاجتذاب الكفاءات الجزائرية و العربية العاملة بالخارج ، و قد اتخذت بهذا الشأن بعض الإجراءات للحد منها.

(4) محاذير وأخطار نزيف الأدمغة:

(1/4) التأثيرات السلبية في ضياع الأموال والطاقات البشرية :

الجزائر كباقي الدول العربية أو كباقي الدول النامية تعاني من تبعات هذه الظاهرة والتي لا بد من إيضاح أهم التأثيرات السلبية على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد ، وكذلك معالجة تفاقم نزيف الأدمغة الجزائرية إلى ما وراء البحار والتي تعد من أهم القضايا التي يجب مناقشتها في أسرع وقت ممكن لإيجاد الحلول الناجعة لاسترجاع هذه الطاقات البشرية التي تصرف عليها أولا هائلة لإعدادهم و تعليمهم و تدريبهم لخدمة الوطن و لدفع عجلة التنمية و جعلهم شعلة تضيء كل الأفق و المستويات من حيث عطائهم في دفع التنمية الوطنية الشاملة .

جاء في تقارير الأمم المتحدة خلال النصف الأول من الستينات أن 50% من الأطباء و 26 % من المهندسين ، و 15 % من العلماء من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة يهاجرون متوجهون إلى أوروبا و كندا الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص فالدول الغربية هي الرابح الأكبر من هجرة ما لا يقل عن 450000 من العقول العربية ، و تقدر خسائرها من هذه الظاهرة بما لا يقل عن 200 مليار دولار<sup>26</sup> .

كان من نتيجة هذه الظاهرة التي استفحلت بشكل كبير في المنطقة العربية و الجزائر خصوصا ، حيث جاء في ورقة عمل حملت عنوان " هجرة العمالة العربية ، الفرص المتاحة " قدمتها إدارتها السياسات السكانية في جامعة الدول العربية للاجتماع الأول لوزراء الهجرة العرب في فبراير 2008 ، أن نحو 70 ألف جامعي عربي يهاجرون سنويا من مجموع 300 ألف متخرج سنويا من الجامعات العربية ، و حذرت من أن أكثر من مليون مهاجر عربي في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية O.C.S.D حاملون شهادات عليا ، و أن عدد الأطباء العرب الذين يهاجرون سنويا نحو البلدان الأوروبية يقدر بنحو 5000 طبيب و قدرت خسائر العالم العربي حسب التقرير بنحو 1.57 بليون دولار سنويا<sup>27</sup> .

بالرغم من شعور الدول النامية بمحاذير و أخطار استمرار هذه الظاهرة بل و ميلها للتعاظم و التفاقم فان الجهود التي تبذلها للاحتفاظ بعلمائها و مفكرها للاستفادة من قدراتهم الخلاقة مازالت متواضعة للغاية ، أو ربما في كثير الأحيان تمارس على هذه الفئة ضغوط و تصرفات تشكل عوامل نبذ لمغادرة أوطانهم و البحث عن أوطان أخرى

<sup>28</sup> . و لتوضيح خطورة هذه الظاهرة على الجزائر بالأخص و على الدول العربية بشكل عام ، فجاء في تقرير اليونسكو أن هذه الظاهرة تعرف بما أطلق عليه بالنقل العكسي للتكنولوجيا . و في دراسة حديثة نسبيا عن وضع العلماء و الفنيين العرب المتميزين في أهم الجامعات الأمريكية و الكندية ، تبين أن هناك في أوساط عقد التسعينات حوالي 400 عالم تقني عربي مميز في مجال الهندسة النووية و غيرها من التخصصات <sup>29</sup> . و 350 باحثا في الوكالة الأمريكية للأبحاث الفضائية للناسا " NASA " بقيادة الدكتور " فاروق الباز " <sup>30</sup> .

#### 2/4) الحلول و العلاج لوضع حد لتسرب الأدمغة:

بعدها استعرضنا أهم العوامل و الأسباب التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر لهجرة الأدمغة محليا أو عربيا أو على مستوى الدول النامية و أثر السلبيات المنتظرة من هذه الخسارة ، يبقى السؤال الأهم الذي لا بد من طرحه هو كيف يتم معالجة قضية يمثل هذا الحجم الذي يكبل الدول خسارة كبيرة و هو الاستثمار في الكفاءات العالية و المورد البشري الذي بواسطته تبني عليه الدول و تؤرخ تاريخها . و سعيا لوضع خطة طويلة المدى لهدف نبيل، نقترح هذه التوصيات:

- الإغراءات بالامتيازات المالية و الاجتماعية لأصحاب الكفاءات العالية .
- إنشاء مراكز و مؤسسات مرموقة من حيث التسيير و العتاد و التجهيزات .
- الاستفادة من الكفاءات المهاجرة من خلال تنظيم مؤتمرات للمغتربين في الوطن الأم و طلب مساعدتهم و مساعدتهم في تنفيذ مشروعاتهم العلمية البحثية .
- دعم دور النشر و تعزيز الاتصال ما بين الباحثين على المستوى الداخلي مع غيرهم الموجودين في المهجر .
- تطوير أنظمة الأجور و الرواتب المتعلقة بالخبرات و المهنيين الفنيين .
- منح الحرية الكاملة للتنقل و السفر لأصحاب الكفاءات للمشاركة في المؤتمرات و النقاشات الدولية .
- تأمين البيئة العلمية و النفسية المواتية مع توفير المناخ الصحي في مراكز البحوث التي تضمن أسباب العمل المنتج المفيد و المبدع .
- اعتماد خطة اقتصادية و اجتماعية شاملة و كاملة و مشاركة الكفاءات في صنع القرارات و السياسات للتنفيذ و التطبيق .

- القيام بإجراءات وإصلاحات جذرية في قطاع التعليم و الجماعات مع ربط هذا العامل بسوق العمل و حاجات المجتمع .
- تعزيز مكانة العلم و البحث العلمي.

### الخاتمة:

باعتبار أن موضوع البحث العلمي هام و حيوي ليس فقط في الوسط الجامعي فحسب، بل المجتمع بأسره ذلك أن البحوث العلمية تمد المجتمع بكل ما هو نافع و جديد للإسهام في تطوره و تقدمه و تلبية حاجاته في التنمية الشاملة، حيث أن بعض خصوصيات البحوث و ابتكاراتها و مدى استجاباتها لتلبية حاجات المجتمع، ومدى توظيف نتائجها لحل المشكلات والمعضلات التي تواجهها مؤسساته للإسهام الفاعل في رفع درجة التقدم و رقيه . يلاحظ أنه نتيجة لضعف القاعدة البشرية في البلدان النامية و منها الأقطار العربية لذا لا توجه الموارد البشرية و المادية إلى البحوث بسبب عدم قدرة هذه البلدان على تعبئة القدرات و الأشخاص المؤهلين لإجراء البحوث ذات الصلة بحاجاتها و عليه نرى أنه من الضرورة العاجلة أن تتولى الجهات المسؤولة عن شؤون العلم و المعرفة و البحث العلمي لنهج و رسم سياسة واضحة تتكفل بالدرجة الأولى بالاهتمام بالكفاءات العلمية المهجورة من أساتذة و أطباء و مهندسين و ذلك بتوفير البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و الظروف الأكاديمية و العيش الكريم لهذه الفئات سيما القيام بتقديم كل الامتيازات الكافية لهؤلاء ، حيث تسعى أجهزة الدولة على المستوى الخارجي- القنصليات- بالتواصل مع هذه الشريحة و حثهم للعمل مع الخبرات الوطنية بشكل جزئي أو متقطع أو كلي من أجل التطوير العلمي و التكنولوجي و الاقتصادي للأمة العربية حتى تتخلص من التبعية الفكرية و العلمية .

**قائمة المراجع :**

- 1- محمد عبد العليم مرسي : نزيف العقول البشرية ، عالم الكتب الرياض ، 1982 .
- 2 - محمد عبد العليم مرسي : هجرة العلماء من العالم الإسلامي ، السعودية ، إدارة الثقافة و النشر جامعة الإمام محمد سعود ، د س ن .
- 3- انطوان زحلان ، هجرة الكفاءات العربية و السياق القومي الدولي ، بيروت ، 1997 .
- 4- عبد الله زاهي الراشدان ، في اقتصاديات التعليم ، داروائل للنشر، عمان ، 2005.
- 5- رياض عواد : هجرة العقول ، دارالملتقى ، قبرص ، 1993.
- 6- نادر فرحاني : هجرة الكفاءات و التنمية في الوطن العربي ، دار لبنان للطباعة و النشر، بيروت ، 1987 .
- 7- عامر القاديلي ، العرب في المهجر الأمريكي ، بغداد ، دار الحرية ، 1977 .
- 8- الياس زين : أخطار نزيف الأدمغة على الأمة العربية – المستقبل العربي ، بيروت ، 1978
- 9- عصام خوري : "هجرة الكفاءات العلمية العربية" – مركز الدراسات و البحوث الإستراتيجية دمشق – سوريا – 2 جوان 2006 .
- 10- عصام قمر ، عزة جلال مصطفى ، البحث العلمي في الجامعات العربية : الإشكاليات وسيناريو المواجهة ، الندوة الإقليمية لإدارة الموارد البشرية و متطلبات الارتقاء بمؤسسات التعليم العالي لدول مجلس التعاون الخليجي ، صلالة ، محافظة ظفار، سلطنة عمان ، 2007/3/15-13.
- 11- محمد علي عاشوري ، "تسرب الأدمغة: متى ينتهي هذا الضياع" ، جريدة الخبر الجزائرية تاريخ 27 مارس 1997 العدد 798.
- 12 - تقرير منظمة اليونسكو لعام 2006، التعليم للجميع: حق من حقوق الإنسان و عامل محفز في التنمية ، الموقع: <http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001477/147794a.pdf>
- 13- تقرير منظمة اليونسكو لعام 2007، ضرورة توازن الإنفاق على مستويات التعليم و على مختلف الأقاليم، الموقع: <http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001416/141639a.pdf>

14- عبد الله تركماني: "جدل العلاقة بين الحريات الأكاديمية والنسق السياسي العربي"  
مركز دمشق للدراسات النظرية و الحقوق المدنية،  
الموقع: <http://www.mokarabat.com/s4378.html>

15-Algérie. **Fuite des cerveaux : La guerre des chiffres,**

site:<http://www.algerie-focus.com/2011/04/algerie-fuite-des-cerveaux-la-guerre-des-chiffres/>

الهوامش

<sup>1</sup> Algérie. **Fuite des cerveaux : La guerre des chiffres,** site: <http://www.algerie-focus.com/2011/04/algerie-fuite-des-cerveaux-la-guerre-des-chiffres/>

- <sup>2</sup> - محمد عبد العليم مرسي : **نزيف العقول البشرية ، رياض ، عالم الكتب ، 1982 ، ص ص 13-14 .**
- <sup>3</sup> - محمد عبد العليم مرسي : **هجرة العلماء من العالم الإسلامي ،** السعودية ، إدارة الثقافة و النشر جامعة الإمام محمد سعود ، د س ن ، ص ص 17-18
- <sup>4</sup> - نفس المرجع السابق ، ص 22.
- <sup>5</sup> - انطوان زحلان ، **هجرة الكفاءات العربية و السياق القومي الدولي ،** بيروت ، 1997 ، ص 37
- <sup>6</sup> - عبد الله زاهي الراشدان ، **في اقتصاديات التعليم ،** دار وائل للنشر، عمان ، 2005 ، ص 284.
- <sup>7</sup> - محمد عبد العليم مرسي ، **هجرة العلماء من العالم الإسلامي ،** نفس المرجع السابق ، ص ص 15-18 .
- <sup>8</sup> - عبد الله زاهي الراشدان ، نفس المرجع السابق ، ص 285 .
- <sup>9</sup> - عبد الله زاهي الراشدان ، مرجع سابق ، ص 281.
- <sup>10</sup> - رياض عواد : **هجرة العقول ،** قبرص ، دار الملتقى ، 1993، ص 55.
- <sup>11</sup> - نادر فرحاني : **هجرة الكفاءات و التنمية في الوطن العربي ،** دار لبنان للطباعة و النشر، بيروت ، 1987 ، ص ص 75-88.
- <sup>12</sup> - عامر القاديلي ، **العرب في المهجر الأمريكي ،** بغداد ، دار الحرية ، 1977 ، ص ص 28-30 .
- <sup>13</sup> - نفس المرجع ، ص 32.
- <sup>14</sup> - محمد عبد العليم مرسي ، **نزيف العقول البشرية ،** المرجع السابق ص 79-129 .
- <sup>15</sup> - محمد عبد العليم مرسي ، **هجرة العقول البشرية ،** المرجع السابق ، ص 112 .
- <sup>16</sup> - عبد الله زاهي الراشدان ، المرجع السابق ، ص 318..
- <sup>17</sup> - محمد علي عاشوري ، " **تسرب الأدمغة: متى ينتهي هذا الضياع**" ، جريدة الخبر الجزائرية، تاريخ 27 مارس 1997 العدد 798، ص 4.
- <sup>18</sup> - عبد الله تركماني: "جدل العلاقة بين الحريات الأكاديمية والنسق السياسي العربي"، مركز دمشق للدراسات النظرية و الحقوق المدنية، نقلا من الموقع: <http://www.mokarabat.com/s4378.html>

19 - تقرير منظمة اليونسكو لعام 2006، التعليم للجميع: حق من حقوق الإنسان وعامل محفز في التنمية، ص 31، الموقع:

<http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001477/147794a.pdf>

20 - تقرير منظمة اليونسكو لعام 2007، ضرورة توازن الإنفاق على مستويات التعليم وعلى مختلف الأقاليم، ص 77، الموقع:

<http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001416/141639a.pdf>

21 - عبد الله زاهي الرشدان ، المرجع السابق ، ص 324 .

22 - عبد الله زاهي الرشدان : المرجع السابق ، ص 326 .

23 - عبد الله زاهي الرشدان ، نفس المرجع السابق ، ص 326.

24 - عبد الله زاهي الرشدان : نفس المرجع السابق ، ص 328 .

\*- الأونكتاد - UNCTAD: منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية.

25 - إلياس زين : أخطار نزيف الأدمغة على الأمة العربية - المستقبل العربي ، بيروت ، 1978 ، ص ص 87-88 .

\*- الاسكوا - ESKWA: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا.

26 - عصام قمر ، عزة جلال مصطفى ، البحث العلمي في الجامعات العربية: الإشكاليات وسيناريو المواجهة ، الندوة الإقليمية لإدارة الموارد البشرية ومتطلبات الارتقاء بمؤسسات التعليم العالي لدول مجلس التعاون الخليجي ، صلالة ، محافظة ظفار، سلطنة عمان ، 13-15/3/2007

27 - عبد الله تركماني : ، : جدل العلاقة بين الحركات الأكاديمية والنسق السياسي العربي ، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية، نقلا من الموقع: <http://www.mokarabat.com/s4378.html>

28 - عصام خوري: هجرة الكفاءات العلمية العربية - مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية دمشق - سوريا - 2 جوان 2006، ص 41.

29 - عصام خوري ، المرجع السابق ، ص 42.

30 - نفس المرجع، ص 44.

# التصورات النظرية للمقاولة

جامعة البويرة

د. نعيمة نيار

## ملخص:

ملخص:

Afin de garantir un certain épanouissement, toutes les économies sont obligées d'adopter le principe de l'entrepreneuriat. L'entreprise et la pierre angulaire de tout développement social et économique puisqu' elle offre des postes d emploi et garantie une augmentation de la production et la richesse. Le sujet d'entrepreneuriat a pris la part du lion dans la recherche scientifique et a été étudié par les différent économistes qui considèrent que la gain matériel et une tige fondamental de l'inspiration individuelle, par contre les sociologues considèrent que les l'initiative individuelle est soumis aux facteurs culturelles et à la personnalité de l entrepreneur. Ce dernier est le maillon principal de chaque processus de création d'entreprise. Cette réalisation requête des personnes créatives ayant la capacité d'observation et d'imagination et qui disposent des caractéristiques comportementales spécifiques.

أوضحت إقتصاديات المجتمعات باختلاف درجات تقدمها وإزدهارها تعتمد على المقاولة من أجل تحقيق تطورها ونموها، فالمقاولة تحرك دواليب التنمية الإجتماعية والإقتصادية من خلال توفير مناصب العمل وتكثيف الإنتاج السلعي، ويعتبر موضوع المقاولة مجالاً خصباً للبحث العلمي ولطالما عولج موضوعها من طرف الإقتصاديين الذين يتصورون أن الربح المادي هو الدافع الأساسي للمبادرة الخاصة، لكن جاء فيما بعد علماء الإجتماع الذين يرجعون أسباب المبادرة الخاصة إلى عوامل ثقافية وإلى شخصية المقاول الذي يمثل أهم حلقة في مسار إنشاء المؤسسة. فسيرورة المقاولة تتطلب شخصيات مبدعة وريادية لديها القدرة على الملاحظة والتصور، كما أنها ترسم ملامح من الخصائص السلوكية لبعض الأشخاص يتم من خلالها تقديم خدمات وسلع جديدة، وبناء قاعدة إقتصادية قوية وتزويد سوق العمل بمناصب شغل، فالمقاولة تحدث التغيير على مستوى العمل والمجتمع وهي تسعى لتحقيق التنمية بأبعادها الإجتماعية والإقتصادية والثقافية التربوية.

**Abstract:**

All economies according to the degree of their development are based on entrepreneurship, in order to guarantee their development, the enterprise and the cornerstone of all social and economic development since it offers jobs and increases production and Wealth, the subject on entrepreneurship has taken the lion's share in scientific research and studied by economists who consider material gain to be an engine for individual incentives. On the other hand, sociologists consider that the reasons for individual initiative come from Cultural factors and the personality of the entrepreneur who presents the main shekel in the process of creating the business, whose business process requires creative people with the ability to observe and imagine as well as have behavioral characteristics..

## مقدمة

لقد تناولت الدراسات العلمية المقاولة نظرا لتأثيراتها الإيجابية وإرتباطها بالقيم الثقافية والاجتماعية للأفراد، ففعل المقاولة يتطلب عوامل ثقافية إجتماعية ويتجلى مضمونها في تحقيق الربح والمنافع الإقتصادية، كما تلعب المقاولة دورا هاما ومحوريا في تنشيط إقتصاد الدول على إختلاف درجات تطورها، ويحقق الأفراد عن طريقها الربح والرضا الشخصي وتحقيق مكانة إجتماعية لهم ولعائلاتهم، كما تساهم المقاولة في تطوير وخلق مناصب عمل جديدة، وتوفير منتوجات جديدة من سلع وخدمات تلي الإحتياجات المختلفة للسوق، وهي أساس كل إبداع وإبتكار ومجالا رحبا لبروز أصحاب المبادرات الذين يملكون صفات تميزهم عن الآخرين، هؤلاء هم المقاولون الذين يعتبرون الأساس والمحرك في فعل المقاولة وذلك بإنشائهم المشاريع الخاصة.

## 1-تحديد المفاهيم :

## 1\_1 المقاول:

لقد إستخدم هذا المفهوم من طرف العديد من المفكرين والباحثين وتم تناوله من زوايا مختلفة كالنشاط والمبادرة، وهناك من يعتبره أنه "الشخص الذي يقوم بوظائف المشروع الرئيسية ويكون مسؤولا على إتخاذ القرارات وتحمل المخاطر"<sup>1</sup>، فالمقاول في نظر هؤلاء الباحثين هو الذي يأخذ المبادرة ويقوم بكل الوظائف المتعلقة بإنشاء وتنظيم المشروع، وهناك من يميز المقاول عن باقي الأشخاص بصفتي تحمل المسؤولية والمخاطرة فهو"الشخص الذي تجتمع فيه وظيفتان تحمل المسؤولية عن المخاطر التي يتعرض لها المشروع والقيام بأعمال الإدارة"<sup>2</sup>.

تتوفر في المقاول خصائص منها "القدرة على التجديد والإبتكار بمعنى أن المنظم يخرج منتجات جديدة ولا يتردد في إستخدام أساليب الإنتاج الجديدة وما إلى ذلك"<sup>3</sup>، فالمقاول مخاطر بالدرجة الأولى، مجدد، مبدع وهو "الشخص الذي تتوفر فيه الصفات التالية: المخاطرة، التجديد، الإبداع والإبتكار وحب المبادرة"<sup>4</sup>، ولقد قدمت برجيت بيرجير مواصفات للمقاول تتوافق إلى حد بعيد مع المواصفات التي قدمها الباحثون السابقون وإعتبرت أن للمقاول "صفات مميزة مثل الدافع القوي للربح والنزوع للشك والذهن المتفتح والإستعداد لتحمل المخاطر والقدرة على الإبتكار... وإتخاذ قرارات هادفة، والمثابرة في وجه المحن بإعتبار ذلك ضروري لتنظيم العمل"<sup>5</sup>، بينما إعتبر جوزف شمبيتر المقاول

على أنه "المنشئ الذي يحدث الإبداع التكنولوجي، ويحرك رؤوس الأموال، وينظم قوى العمل في منظور المشروع الصناعي أو التجاري الموجه لتحقيق الربح"<sup>6</sup>. ويعتبر ماكس فيبر Max weber المقاتل هو الشخص الذي يحمل قيم دينية وبالخصوص البروتستانتية حيث أكد أن "رؤساء المؤسسات وحاملي رؤوس الأموال وأيضا الممثلين للطبقات العليا لليد العاملة...هم في معظمهم بروتستانتين"<sup>7</sup>، وتوصل فيبر إلى وجود علاقة ما بين الأخلاق الدينية والبروتستانتية الكالفينية وروح المبادرة للنشاط الإقتصادي، وأشار أن "المخاطرة تكون عند أشخاص خارقين للعادة الذين لا يتصرفون بصفة عقلانية ولكن حسب منطق باطني خارج عن المنطق المنتظر أو اللازم، وهؤلاء الأشخاص الخارقين للعادة هم المقاتلون الذين يأخذون المبادرة ويخاطرون"<sup>8</sup>. ونهتم في هذه الدراسة بالمقاتل الشاب ويوجد إختلاف بين الباحثين في تحديد مفهوم الشباب ولم يتفقوا على تحديد فئتهم العمرية، غير أنهم يتفقون على أنها مرحلة ما بين البلوغ والنضج وهي "فترة من الحياة تبدأ من نهاية الطفولة إلى سن الرشد...الشباب هو منتج العصرية ومعايير الإستقلالية، التفتح، الحرية الفردية"<sup>9</sup>.

## 2-1-المقاولة:

من خلال المقاولة يتم تقديم خدمات جديدة وسلع تهدف إلى بناء قاعدة إقتصادية وتزويد سوق العمل بمناصب جديدة فهي "تنطوي على إحداث التغيير في بنية العمل والمجتمع"<sup>10</sup>، وتعتبر المقاولة "عملية ديناميكية التي يتم من خلالها توليد الثروات المتزايدة، ويتم إيجاد الثروة من خلال أفراد يتكبدون المخاطر الأساسية من حيث المساواة أو الوقت أو الإلتزام المهني، أو توفير قيمة معينة من أجل القيام بخدمة أو شراء سلعة معينة، إن إنتاج أي سلعة قد يكون أو لا يكون بالشئ الجديد أو الخاص، ولكن يجب على منظم المشروعات أن يحدد القيمة من خلال إستلام وتوزيع المهارات والمصادر الرئيسية"<sup>11</sup>.

تعد المقاولة كجسر يوصل ما بين الإبداع والإبتكار والتطبيق فمن "أكشاك سوق مغربي مكشوف إلى المؤسسات ذات التكنولوجيا الرفيعة في وادي سيليكون بكاليفورنيا يقوم تنظيم العمل بتغيير الكرة الأرضية بوسائل لم يفهمها بعد كثيرون ممن يدرسون العالم ولعلمهم كانوا يتوقعون نوعا مختلفا من الثورة، نوع تقوم فيه الدولة بجر عربة

التنمية سواء كانت إشتراكية أو رأسمالية، ولكن كما تظهر ثقافة تنظيم العمل فإننا نشهد الآن ظهور آلية جديدة للتنمية<sup>12</sup>.

ولقد سيطر علماء الإقتصاد ولزمن طويل على دراسة موضوع المقاولة مركزين على عناصر إقتصادية بحتة، متجاهلين بذلك عناصر مهمة من بينها أن الأفراد يبادرون لإنشاء مشاريع مخاطرين جسديا وإجتماعيا ونفسيا، فالمقاولة هي "العملية التي يتم من خلالها إنتاج شيء جديد ذي قيمة، وذلك عن طريق تكريس الوقت والجهد اللازمين، وإستغلال المخاطر الجسدية والإجتماعية والنفسية والحصول على النتائج المتوخاة كتحقيق عائد مالي وقناعة شخصية بما تم تحقيقه"<sup>13</sup>.

## 2\_ التطور التاريخي لمفهوم المقاول:

يعتبر المقاول الحلقة الهامة في فعل المقاولة كما تحمل تاريخيا أدوارا إقتصادية وإجتماعية هامة، "فنشاط المقاول إذن يختلف جوهريا عن نشاط الفاعلين الإقتصاديين الآخرين في المجتمع عامة والمؤسسة الرأسمالية خاصة، لأن المقاول يؤدي مهام حاسمة في النشاط الإقتصادي خاصة وفي ظل النظام الرأسمالي عامة، فسلوكه كمجموعة سلسلة الأفعال القرارية والتسييرية التي يوجه بواسطتها نشاط المؤسسة"<sup>14</sup>، ويرتبط ظهوره حتى في المجتمعات التي ليس لها تاريخ في المقاولة بتوفر الظروف والفرص الملائمة ولقد "برز كقوة إجتماعية.....وهو ليس منتجا من الناحية الإقتصادية إلى حد كبير فحسب، بل إنه أيضا واحد من أدوات النقل الرئيسية لطرق حديثة مميزة عن المعرفة والسلوك التي تعد أساسية لمجتمع صناعي حديث"<sup>15</sup>.

وتعتبر المقاولة ميدانا خصبا للبحث وقد عولجت من طرف العديد من الباحثين واختلفت تصوراتهم النظرية لهذه الظاهرة، فهناك من ينظر إليها من زاوية المنافع التي تحققها ونجد في هذا الإطار التصور الفييري، كما هناك من ينظر إليها ويحللها من جانب قدرة المقاول على الإبداع والإبتكار ونخص هنا بالذكر جوزيف شمبيتر Josef alois schumpeter، كما نجد تصور ثالث مبني على تحين الفرص والبحث عنها وحسن إستغلالها للباحثين شان وفانكاترمان Shane et vankataman، ولكن ما يجدر الإشارة إليه أن المقاول أو المؤسسة المنشئة من طرفه لم تكن في صلب إهتمام رجال

الإقتصاد الكلاسيكيون، حيث تحليلهم لفعل المقاولة أخذ طابعا عاما أي ماكرو إقتصادي، وركزوا إهتمامهم في شرح كيفية تدوير الماقل للثروة وإنتاجه لها. وإنطلاقا من القرن الثامن عشر بدأت تظهر بعض إهتمامات الإقتصاديين بشخصية الماقل وإعتبروه "كمغامر ومكانته ليست جيدة بسبب الخوف منه"<sup>16</sup>، كما نجد إهتمام فرنسوا كيزناي François quesnay بهذه الشخصية المتميزة التي تقوم بتدوير الثروة بدلا من إنتاجها وفي نظر ريتشارد كانتيلون Richard cantillon أن الماقل هو فاعل مهم وضروري من أجل السير الجيد لإقتصاد السوق، وهو بذلك يتحمل كل المخاطر التي تنتج عن تحريكه للثروة ووضع كانتيلون "قواعد للذي سوف يصبح مستقبلا مقاولا، حيث أن نشاط الماقل مبني على مبدأين هما: الشك والمخاطرة"<sup>17</sup>، ولقد أضاف جين بابتيست ساي Jean baptiste say لهذين المبدأين مبدأ ثالث وهو الإبداع، فروح الإبداع ضرورية للماقل في سياق العلاقات السلعية وفي إطار النشاط الصناعي المتطور، فالفلاح والتاجر والحرفي أيضا مقاولون لأنهم يتحملون مخاطر الإستثمار بدون وجود ضمانات، وفي رأيه أن "الماقل يطور الإقتصاد بفضل مشاريعه، لكن المجتمع يخاف من هذا الفرد المطلق، ويرفضه في كثير من الأحيان"<sup>18</sup>.

هذه النظرة السلبية إزاء الماقل ونشاطه في المجتمع في تلك الفترة ( القرن الثامن عشر) تعود إلى عدم فهم دور ومكانة الماقل وتأثيره الإيجابي على الإقتصاد والمجتمع على حد سواء، ولكن أعطى جوزيف شمبيتر رأيا آخر حينما كتب أن "الماقل جاهز للموت من أجل مؤسسته"<sup>19</sup>، ولقد إبتعد جارمي بنتام Jermey Bentham في طرحه على سابقه، والذي أشار أن إنشاء مؤسسة لا يرتبط بعوامل إقتصادية بحتة أي الحصول على الربح والمنافع وتحين الفرص، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك حينما ربط إنشاء المشروع بالنشوة والرغبة في الإنجاز وتحقيق الذات، على الرغم من أن الطريق المؤدي للنجاح مملوء بالمصاعب والعراقيل والمخاطر، ويعتبر أن "الماقل هو أصل الإختراعات والإبداعات الكبيرة التي هي أساس وروح النمو والتطور الإقتصادي"<sup>20</sup>، وهو في هذا الشأن يوافق جوزيف شمبيتر في طرحه أن الماقل هو من يحدث التغيرات التقنية والنجاح الإقتصادي، وسوف نعرض فيما يلي تغير النظرة للماقل عبر المراحل التاريخية المختلفة والتي لخصها الباحثين روبرت هيزريش وبيتر مايكل فيمايلي<sup>21</sup>:

\_أصل كلمة ماقول فرنسي ومعناها: الشخص الذي يذهب بين إثنين أو يأخذ بين إثنين.

- \_ في العصور الوسطى : الشخص المسؤول عن المشاريع الإنتاجية الضخمة.
- \_ في القرن السابع عشر: شخص يتحمل المجازفة في الحصول على أرباح أو تكبد خسائر في عقد ثابت القيمة مع الحكومة، ولقد عرف كانتيلون المقاول وحدد خصائصه فهو " الفاعل الذي يعمل في الخطر بدون أجر ثابت ، في سوق مليئ بالشك وعدم إستقرار أسعار البيع"<sup>22</sup>.
- \_ سنة 1797 عرفه بودو على أنه: شخص يتحمل المخاطر والتخطيط والإشراف والتنظيم والتملك.
- \_ سنة 1803: جين باتيست سين: فصلت أرباح المنظم عن أرباح رأس المال ولقد أطلق على المقاول " الفرد الصناعي، النشيط المغامر، المبادر، رجل الأعمال الذي يقوم بتطبيق الإكتشافات التقنية من أجل مواكبة إنتاج الثروة بإستعمال رؤوس الأموال والأرض"<sup>23</sup>.
- \_ سنة 1876: فرانسيس والكر: ميزت بين هؤلاء الذين مولوا المشاريع وحصلوا على فوائد وبين هؤلاء الذين حصلوا على فوائد من خلال قدراتهم الإدارية.
- \_ سنة 1934: جوزف شمبيتر: المنظم مبدع ويطور التقنيات التي لم تجرب في السابق.
- \_ سنة 1961: جوزف مكلايلاند: المنظم إنسان نشط معتدل في المجازفة.
- \_ سنة 1975: ألبرت شايبرو: يأخذ المنظم بزمام المبادرة ، ينظم بعض التقنيات الإجتماعية والإقتصادية ويتقبل مخاطر الفشل.
- \_ سنة 1980: كارل فيسبر: يختلف الإقتصاديون ، علماء النفس ورجال الأعمال والسياسيون في نظرتهم للمنظم.
- من خلال ماجاء به هذان الباحثان نستنتج أن النظرة للمقاول أو المنظم تغيرت عبر الزمن، فبعدهما كان الشخص الذي يقوم بإدارة المشاريع الكبرى في العصور الوسطى أصبح يقوم بإبرام عقود مع الدولة ويتحمل المجازفة في القرن السابع عشر، لتتأكد صفة المخاطرة في القرن الثامن عشر، لأنه يشتري بثمن مؤكد ويبيع بثمن غير مؤكد، ليتطور هذا المفهوم ويصبح المقاول مالك رؤوس الأموال والمبدع والمبادر والمتقبل للمخاطرة، ليصبح حالياً المبدع والمبتكر والمحرك للمجتمع بخدماته فهو متعهد يعمل كوسيط بين رأس المال والعمل وهو الشخص الذي يحاول إستغلال الفرص التي تتميز بالمخاطر، وفي المجتمعات المعاصرة تتعدد وظائف المقاول وتنقسم إلى ثلاث أنواع:<sup>24</sup>

1\_وظيفة التنظيم: مثل رئيس المؤسسة التي لا تتطلب فقط معارف تقنية بل أيضا خصائص نفسية ومعنوية التي تعطي للفرد السلطة على العمال والتي تسمح له أن يكون قائدا عليهم.

2-الوظيفة الرأسمالية: هذه الوظيفة يمكن أن تنجز من طرف مجموعة من الأشخاص الذين هم بعيدين عن عملية التنظيم.

3-الوظيفة الإجتماعية: والتي في رأينا هي ضرورية في نظام الصناعة الكبيرة.

### 3\_التصورات النظرية للمقاولة:

تعبع المقاولة دورا هاما ومحوريا في تنشيط إقتصاد الدول على إختلاف درجات تطورها، فهي مجال تحقيق الربح والرضا الشخصي وتحقيق المكانة الإجتماعية، وتوفير مناصب الشغل، ولقد تناول العلماء والباحثون موضوع المقاولة ودرسوه من زوايا مختلفة، نظرا لتأثيراتها الإيجابية على الأفراد والمجتمعات، وسوف نحاول فيمايلي تلخيص الإقترايات النظرية وما جاءت به أهم المدارس الفكرية التي تناولت حقل المقاولة، هذا الحقل الذي إنفجر ولقي الإهتمام من طرف العديد من العلماء منهم الإقتصاديون، وعلماء الإجتماع وعلماء التاريخ وعلماء النفس وحتى المتخصصين في علوم التسيير وعلوم السلوك.

#### 1-3: التصور القيمي الثقافي:

يعطي هذا التصور أهمية بالغة للقيم والأخلاق والعادات والتقاليد الإجتماعية في سيرورة المقاولة، ويحاول البحث في العلاقة الثنائية ما بين الثقافة والمقاولة، وهناك العديد من الباحثين الذين أدركوا أهمية العوامل الثقافية في بروز المقاولة، وصنع الشخصيات الريادية نجد من بينهم: ماكس فيبر، وبريجيت بيرجير وسوف نتناول فيمايلي أهم ماجاء به هذان الباحثان :

#### 3\_1\_1\_ التصور الفيبري ( البناء الفيبري تأثير الأخلاق على فعل المقاولة) :

لقد ربط ماكس فيبر بين العوامل الدينية ودور الأخلاق البروتستانتية الكالفينية ببروز الرأسمالية ولقد "كانت البروتستانتية عاملا هاما إن لم يكن الأهم، في تشجيع الروح الفردية بجعل الفرد هو المسؤول الوحيد على نفسه في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، وحثته على الكد والجد والتقشف في العيش لضمان خلاصه في الآخرة وإعتبار النجاح في النشاط الإقتصادي وجمع الثروة علامة الرضا عن الفرد"<sup>25</sup>. هذا

النظام الأخلاقي المتشدد والصارم يقضي بتمجيد وإعطاء مكانة كبيرة للعمل في الحياة والجد في الكسب، والتكشف وعدم تبذير الأموال الآتية من النشاط الإقتصادي وينبذ الإسراف، فالعمل واجب والنجاح في هذا العمل معناه أن صاحبه سوف يفوز لا محالة بالجنة.

يكون بذلك ماكس فيبر من بين الأوائل الذين وضعوا الأسس الأولى لبناء نظري حول المقاولة يربط بين السلوك الثقافي والعقيدة على وجه الخصوص، والمتمثلة كما أشرنا في السابق في المذهب البروتستانتي والفعل المقاولاتي، ويقوم هذا المذهب على قيم عديدة كقيم المواطنة والأمانة والمسؤولية في كل مجالات حياتهم، مما أدى بتفضيل أفراد المجتمع العيش المتواضع، والتخلي على الرفاهية الإجتماعية معتقدين بذلك ووفقا لتعاليم هذا المذهب أن الطريق للجنة يمر بالإزدهار والتطور في الحياة الدنيا، ونتج عن هذا النوع من الاعتقاد تراكم كبير لرأس المال الذي سمح بتشجيع الإستثمار وإعادة الإستثمار عوض صرفها (رؤوس الأموال) في الترف والبذخ لأن مبادئ المذهب البروتستانتي خصوصا أخلاق كالفين لا تسمح بذلك.

فسر ماكس فيبر "الإزدهار الإقتصادي لإنجلترا في بداية الرأسمالية في القرن التاسع عشر، أنه مرتبط بالدور الإقتصادي الذي لعبته القيم الأخلاقية في الثورة الصناعية"<sup>26</sup>. وبذلك فإن الطرح الفيبري يربط بين تأثير الثقافة على الفعل المقاولاتي، ولقد إعتبرت مقارنة ماكس فيبر "كنقطة إنطلاق للبحوث المهمة بالأشكال الثقافية للمقاول، فالباحثون الذين جاءوا من بعده قد إتفقوا على أن الظروف الثقافية تمثل الوعاء الذي تصب فيه العادات المقاولاتية، فنشاط المقاولين ومن ثم المقاول في مجتمع ما محفز وموجه بالثقافة السائدة فيه، إن المقاول يتكيف مع المحيط الثقافي"<sup>27</sup>.

في الواقع أن ماكس فيبر لم يطور تعريف محدد لخصائص المقاول بل تعرض إلى نشأة الرأسمالية التي تعرف بالتنظيم العقلاني للنشاط من طرف المقاول، ويؤكد فيبر أن الرأسمالية ظهرت في الغرب "إنه في الغرب حيث وجدت الرأسمالية توسعها الأكبر وعرفت أنواعا ونماذج وإتجاهات التي لم ترى النور أبدا في أماكن أخرى"<sup>28</sup>، وفسر ذلك بأن أصحاب رؤوس الأموال والمؤسسات والطبقات الإجتماعية العليا هم في معظمهم من عقيدة البروتستانتيّة.

الرأسمالية في نظر ماكس فيبر هي عبارة عن التابع العقلاني للربح المحسوب وفي نظره أن "المؤسسة العقلانية، المحاسبة فيها عقلانية، والتقنية عقلانية والقانون عقلائي، هي التي ولدت الرأسمالية ويجب إضافة تفكير عقلائي"<sup>29</sup>، العقلانية هي "أساس سير كل نظام مصنعي التي تتجسد في سلسلة القرارات التسييرية التي يقوم بها المقاول من عد وحساب وإختيار لتحقيق ربحا أقصى"<sup>30</sup>، وتعني عند ماكس فيبر عدم الإسراف ف"الموارد المكتسبة والثروة المتراكمة لا يجب أن تصرف بطريقة مسرفة"<sup>31</sup>، لقد تطورت هذه الوجهة للعالم في جو فردي فالأفراد يقابلون الله فرادى والله يقوم بمحاسبهم بإختيار الواحد دون الآخر، كان هناك "تجانس روحاني بين روح البروتستانتية والرأسمالية"<sup>32</sup>، وبذلك يرتكز التنظيم العقلائي للعمل على إنتاج الربح وإدخاره وإعادة إستثماره مرة أخرى وهكذا، وجزء الفرد من هذا الربح يتمتع به في نهاية حياته، ووفق لهذا المنظور فإن المقاول لا يشغل وظيفة في المجتمع وإنما هو مكلف بمهمة إلهية ونجاحه يقاس بمدى نجاحه في هذه المهمة.

لقد توصل فيبر إلى وجود علاقة بين الأخلاق الدينية المنبثقة من البروتستانتية الكالفينية وروح المبادرة للنشاط الإقتصادي الرأسمالي وأن "المخاطرة تكون عند أشخاص خارقين للعادة الذين لا يتصرفون بصفة عقلانية ولكن حسب منطق باطني خارج عن المنطق المنتظر أو اللازم، وهؤلاء الأشخاص الخارقين للعادة هم المقاولون الذين يأخذون المبادرة ويخاطرون"<sup>33</sup>، والمقاول في فكر فيبر هو مخاطر وخارق للعادة أي يتميز بخصائص شخصية تختلف عن خصائص الأشخاص العاديين.

تناول فيبر في تحليلاته أهمية العوامل الدينية والثقافية في فعل المقاولة عكس علماء الإقتصاد الذين إهتموا بالجانب الإقتصادي، وأبرز أهمية الأخلاق البروتستانتية في نشأة الرأسمالية والمجتمعات الصناعية، لكن تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض العلماء الذين إعتضوا على الطرح الفيبري وتفسيره وتصوره لتطور الرأسمالية وتعميمه أن نشأة الرأسمالية كانت من الأخلاق البروتستانتية وأشار فيليب برنوخ Philippe bernoux أن "تعميم التفكير... أن البلدان التي معظم سكانها بروتستانتيون تتطور إقتصاديا، أكثر من البلدان التي معظم سكانها كاثوليك هو شرح خاطئ من ماكس فيبر"<sup>34</sup>.

3\_1\_2\_ أهمية العوامل الثقافية في نشأة المقاولة: ( بريجيت بيرجير):

أرادت بريجيت بيرجير في دراستها للمقاولة أن تتعرف على العوامل الثقافية الرئيسية وراء ظهورها، وشرح الحدود الخارجية لنظرية ثقافية للمقاولة، حاولت إدراك العلاقة بين الثقافة والمقاولة، هذه العلاقة التي لطالما أهملت من طرف الإقتصاديين الذين درسوا هذا الموضوع، وحسب هذه الباحثة فإن "منظم العمل الحديث ليس منتجا من الناحية الإقتصادية إلى حد كبير فحسب بل إنه واحد من أدوات النقل الرئيسية لطرق حديثة مميزة عن المعرفة والسلوك التي تعد أساسية لمجتمع صناعي حديث"<sup>35</sup>. وتؤكد بذلك على أهمية العوامل الثقافية وأن المفاولين ليسوا منتجين من الناحية الإقتصادية وإنما كذلك على المستوى الثقافي، وأكدت على أن ما يعيشه العالم من خير عام وإزدهار يعود إلى "الدور المبتكر الذي قامت به سلالة من منظمي العمل، ويميل محللون ذو عقائد مختلفة إلى الإتفاق على أن تاريخ المجتمعات الصناعية الصاعدة في الغرب وفي فترة أكثر حداثة في دول المحيط الهادي المزدهرة هو إلى حد كبير تاريخ منظم العمل الحديث، إن منظم العمل الحديث قد يبرز كقوة إجتماعية جديدة، من خيوط متشابكة من تأثيرات ديمغرافية وقانونية، وتكنولوجية، ومادية، ومثالية وثقافية"<sup>36</sup>. ويعود التحسن في المستوى المعيشي والتطور الإقتصادي الذي تشهده بعض الدول إلى المقاولة.

وأعطت بريجيت بيرجير دلائل متعددة حول تأثير العوامل الثقافية والإجتماعية في الإقتصاد والصناعة إذ أن في حد تعبيرها "مولد الثقافة الصناعية الحديثة متأصل في قيم وعادات الكثير من المجموعات المحلية الصغيرة، وهنا وجد المجتمع الحديث مرتكزه ومحركه"<sup>37</sup>. ويعد تأثير القوى الإجتماعية والإيديولوجيات القومية المرتبطة بثقافة الشعوب، هي أهم محرك للمقاولة، فالأفراد إذا أتيحت لهم الفرصة سوف يبرزون من العدم ويشاركون في عملية التنمية، فالمقاولة تبرز إذا توفرت ظروف مناسبة وتنتج المقاولة ثقافتها الخاصة "فالتاريخ الحديث للإبتكار الإنتاجي وإنتشار خدمات جديدة كان يتقدمه منظموا العمل على نطاق صغير كراس حربة لأنه يبدوا أن تنظيم العمل على نطاق صغير يناسب جيدا بوجه خاص ظهور أنشطة إقتصادية مبتكرة... إن تنظيم العمل الحديث والتركيبات الذهنية الخاصة به لها طاقة كامنة فريدة لأخذ صناعات قديمة راسخة في إتجاهات جديدة"<sup>38</sup>.

إن تنظيم العمل الحديث هو متغير جديد خلقته الثقافة وأبدعته في نفس الوقت، فقواعد الأخلاق وثقافات المجتمعات والإيديولوجيات المرتبطة بها في دراسة وفهم سيرورة المقاولة التي غيرت العالم بوسائل لم يفهمها الكثير من الدارسين والباحثين.

### 2\_3: تصور الإبداع والابتكار:

تعتبر الثلاثية المتكونة من جين بابتيست ساي، وكانتليون، وشمبيتر المؤسسين للنظرية الإقتصادية للمقاولة وهو في أعينهم الوسيط بين المفكر الذي ينتج المعارف والعامل الذي يطبق هذه المعارف في إطار النشاط الصناعي، ويشير جين بابتيست ساي بأن يكون الشخص مقاولا فهو يمارس مهنة حقيقية، وينظر إلى المقاول على أنه فاعل رئيسي في عملية الإنتاج الصناعي، كما شدد على ضرورة إمتلاك المقاول لبعض الصفات المميزة التي لخصها في مايلي "القدرة على الحكم... وهذا العمل يتطلب خصائص معنوية، فلا يجب على المقاول أن يدخل في الروتين، ولا يجب عليه أن يتوقف عن الإبداع والابتكار"<sup>39</sup>، أي أن المقاول يجب أن يبتكر منتجات بصورة مستمرة وبدون توقف لضمان تحقيق النجاح والريح وخلق الديناميكية الإقتصادية.

### 1\_2\_3\_ الماقل المبدع لجوزيف شمبيتر:

لقد تناول جوزيف شمبيتر المقاولة في إطار نظرية التطور وهو من المنظرين الذين إعتبروا المقاولة هي الإبداع ولقد أوضح أن الماقل تطور في مرحلتين "مرحلة روتينية أو مقفلة والحالة المتغيرة والديناميكية"<sup>40</sup>، وبحسبه فإن هذا الإنتقال من مرحلة إلى أخرى لا يتم إلا عن طريق تنظيم جديد لعوامل الإنتاج والتغيير في الفضاء الإقتصادي، بمعنى إبتكار طرق جديدة في العمل، كما يعتبر شومبيتر الماقل هو الفاعل الرئيسي والمحوري في عملية النمو الإقتصادي "فالماقل ليس مسيرا أو ممولا ولكنه قبل كل شيء مبدع"<sup>41</sup> يبحث دائما عن وسائل الإنتاج الجديدة والمتطورة في كل الأوقات، ورغبته في تحسين أوضاعه الإقتصادية وإكتساب مكانة إجتماعية مرموقة يحفزه للبحث عن الجديد وهو "فرد قائد مسير بالإرادة للمحاربة، للتأكيد على أنه أعلى من الآخرين"<sup>42</sup>، وهو أساس التغيرات التقنية والنجاح الإقتصادي.

لقد قدم لنا شومبيتر نظرية حول الإبداع بواسطة المقاولة وإعتبر في صلب تفكيره أن المقاولة هي الإبداع، والماقل في سيرورة المقاولة ماهو إلا مبدع يقوم بإبتكار

طرق عمل جديدة للإنتاج ومنتجات جديدة في المؤسسة، البحث عن مصادر جديدة للمواد الأولية، ووضع تنظيم جديد للإنتاج، وخلال مرحلة الإنتاج يجب على المقاول أن يقوم بمايلي:<sup>43</sup>

\_ استعمال كل الوسائل اللازمة.

\_ تنظيمها بحكمة وعقلانية إقتصادية وإجتماعيا لتكون صالحة.

\_ ربط عوامل إجتماعية لازالت لحد الآن منفصلة.

\_ إدراك الخطر حتى يمكن التحكم فيه.

كما شدد شومبيتر على أن الإقتصاد الذي يغيب فيه المقاول يكون إقتصادا ساكنا، فالمقاول يدرس المخاطر ويدركها وبذلك يستطيع تجنبها وبذلك قدم لنا نظرية للإبداع والإبتكار عن طريق المقاوله والتي يكون الفاعل الرئيسي فيها المقاول المبدع الذي يستعمل التقنيات الجديدة وعوامل الإنتاج الجديدة لتحقيق الربح، فالإنتقال من نظام إقتصادي مستقر إلى نظام إقتصادي متطور يعود إلى الدور الذي يلعبه المقاول ولقد أوضح شومبيتر "أن القوة التي تدفع النظام الرأسمالي نحو التطور تتمثل في النشاط الذي يظهر بواسطة الأهداف الجديدة للإنتاج والأسواق الجديدة، بالإضافة إلى الطرق الجديدة للتنظيم الإنتاجي"<sup>44</sup>، والمقاول يقوم بصنع وإنتاج الجديد أو تغيير منتج للأحسن ويستعين في ذلك بطرق جديدة في إنتاج السلع وفي تسويقها، ويعمل جاهدا على البحث عن أسواق جديدة بصفة مستمرة، والتجديد المستمر من مصادر توريد المواد الأولية، كما أنه يسعى إلى تجديد تنظيم العمل في المؤسسة.

ويمثل المقاول في هذا المنظور "ذلك الشخص الموجود بين عالم التقنية وعالم الإقتصاد، فهو المبدع الذي يصبح مقاولا عندما يطبق بطريقة مستحدثة تكنولوجيات عالم التقنية، فهو محفز بالإحساس بالفوز، وإنشاء أكثر من البحث عن الربح، الذي يعتبر سعر الإبتكارات الذي يتحصل عليه المقاول، هذا السعر يسمح له بالإستفادة من مركز إحتكاري للمؤسسة (المقاول)، المبتكر، إنه يحب ويتوقع أحسن من الآخرين طلب المستهلكين"<sup>45</sup>، لقد تناول جوزيف شمبيتر نموذج المقاول المحفز وهو ذلك الشخص الذي يحمل مشروع في ذهنه ويبحث عن إنشاء مؤسسة خاصة به يبحث عن الفرص في السوق ويكتشفها.

## 3\_3: التصور النفعي ( البحث عن الربح وتعظيم الأرباح):

تعتبر المقاولة وفقا لهذا التصور النظري أنها ظاهرة لخلق القيمة والثروة وخلق تنظيم جديد المتمثل في المؤسسة، هذا التصور أخذ مبادئه من المدرسة الإقتصادية الألمانية التي تعتبر المقاولة هي أساس خلق القيمة والثروة فهي "ظاهرة لخلق القيمة والثروة وخلق تنظيم"<sup>46</sup>، فالمقاولة هي فعل إنشاء الثروة أو العمل بإنشاء أو إعادة بعث مؤسسة، والمقاول هو الشخص الذي يقدم مجهوداته لكي يحول أفكاره وإبداعاته إلى فوائد إقتصادية.

إذن يبني هذا التصور على مفهوم الفرص المقاولاتية التي تكتشف وتقيم وتستغل من طرف المقاول ليقدم في الأخير سلعا وخدمات جديدة، ووفقا لهذا التصور "يفترض مسبقا أن الفرص موجودة في الطبيعة كماهي لكن يجب إمتلاك القدرة للتعرف عليها والحصول عليها وتحويلها إلى حقيقة إقتصادية"<sup>47</sup>، ولهذا فالمقاول الناجح هو ذلك الشخص الذي يكتشف الفرص المتاحة والمربحة .

## 3\_3\_1\_ اليقظة المقاولاتية ( الوعي المقاولاتي) وإستغلال الفرص:

حسب هذا التصور فإن المقاولة هي في الأساس إدراك الفرص و إكتشافها، فإكتشاف الفرص هو عامل أساسي لسيرورة المقاولة، ولقد ظهر الشغف بدراسة إغتنام الفرص مؤخرا وجاءت الدراسات حول مفهوم الفرص قيمتها وأهميتها، وحسب هؤلاء الباحثين فإن المقاولين يكتشفون الفرص من خلال ما يمتلكونه من معارفهم السابقة، "فالمقاول يكتشف فقط الفرص المرتبطة بمعارفه السابقة"<sup>48</sup>، فالمقاولة وفقا لهذا الطرح تفترض بالأساس وجود الفرص، فالفرص موجودة ومتاحة وهي عامل أساسي للنشاطات المقاولاتية وإكتشافها يدل على الذكاء الإقتصادي للمقاول.

ويعتبر كيرزner israel kirzner أول من إستعمل مفهوم اليقظة أو الوعي في التعرف على فرص الربح ولقد عرفها على أنها " القدرة على المعرفة بدون البحث عن الفرص التي هي مهمة حتى الآن"<sup>49</sup>، فالمقاولون الذين يتمتعون بهذه اليقظة والذين يملكون الوعي المقاولاتي والمقصود به "الميل لإيجاد معلومات حول المنتجات، نماذج السلوك وخاصة مشاكل المنتجين والمستهلكين، ومعرفة الإحتياجات والمنافع والإمكانات الجديدة لتوليف الموارد"<sup>50</sup>، فالفرص على حسب تفكيره موجودة في البيئة المحيطة وأن الأفراد الذين يحملون اليقظة المقاولاتية سوف يتعرفون عليها دون الآخرين.

وكتب إسرائيل كيرزнер"بدأ يتضح أن الكتابات الضخمة عن النمو والتنمية تخفي فجوة واسعة، ويشير هذا الفراغ إلى فهم دور منظم العمل في التنمية الإقتصادية، سواء على المستوى النظري ومستوى التاريخ الإقتصادي الماضي والمرتبب...وفي الكتابات التي تتناول بصورة أكثر نماذج النمو، فإن هذه الفجوة كاملة تقريبا ولا تكاد تكون مثيرة للدهشة بسبب إهتمامها السائد بالعلاقات الإقتصادية الكبيرة، وعلى العكس فإن الكتابات التي تناولت التنمية بمعناها الحقيقي، تعطي بعض الإهتمام لتنظيم العمل على الرغم من تخصيص جهد قليل لصياغة فهم نظري واضح لدور تنظيم العمل"<sup>51</sup>، يبرز لنا كيرزнер أن المقاول يلعب دورا بالغ الأهمية في التنمية الإقتصادية وهو القوة التي تدفع نحو التغيير الإقتصادي وذلك بالتجديد والإبداع، ولكن هذا الدور لم يتضح للعلماء والباحثين وغيب لزمان بعيد نتيجة إهتمامهم بالعلاقات الإقتصادية الكبيرة.

لقد تطرق كيرزнер إلى خصائص المقاول ورتبها حسب أهميتها و يشير إلى أن "الخاصية الأولى للمقاول هو أن يكون فردا يقظا للفرص الملائمة"<sup>52</sup>، وفي نظره أن الفرص الملائمة موجودة هذه مسلمة يجب أن يقتنع بها المقاول وما على هذا الأخير إلا إكتشافها وتفسيرها، وينطوي الإكتشاف على التغيير الجذري وإكتشافات مدهشة والإنفصال التام عن النماذج السابقة، وهذا لب المقولة التي تنطوي في جوهرها على جلب منتوجات جديدة وإستعمال طرق جديدة للإنتاج وتحقيق إبداعات وإبتكارات جديدة وحقيقية، بينما يشير التفسير إلى أن الفرص المكتشفة للربح من طرف المقاول ليست عفوية، وإنما هي عبارة عن تفسير لما يلاحظه لأن الأرباح لا تقاس بل تقراء، ويكتشف المقاول هذه الفرص بالنظر إلى تجربته في سيرورة الأسواق ويفترض كيرزнер أن "سيرورة السوق تتصف بالأخطاء لكن أيضا المقاولون لديهم القدرة لإكتشافها وإعطائها إجابة ملائمة"<sup>53</sup>، فالمقاول هو يقظ لديه القدرة على إكتشاف الفرص وتفسيرها وإغتنامها، يشم الأعمال الناجحة، وبذلك فإن المقولة وفق هذا التصور تنطوي على إكتشاف فرص الربح من طرف المقاول والتي لم ينتبه لها الآخرون، وهي تتعلق بالإكتشاف والإدراك الحسي، والتفسير لفرص العمل المربحة والتي ترتبط بعوامل ثقافية أكثر منها إقتصادية.

ما يمكن الإشارة إليه من خلال ماسبق أن إفتراض كيرزرن يتعين حول اليقظة المقاولاتية ولا يرتبط مع النظرة للفرص المتاحة وإنما في نظره أن الفرص هي موجودة في البيئة ويكتشفها فقط الأفراد الذين يحملون الحس أو اليقظة المقاولاتية ففي رأيه يوجد أفراد يقظون، ولقد إتفق العديد من الباحثين في هذا الشأن أن السمات الشخصية التي يحملها المقاولين وتشجيع البيئة هي من بين المحفزات الرئيسية لخلق اليقظة، ف"كل الأشخاص لا يتحصلون على نفس المعلومة في نفس الوقت"<sup>54</sup>. هذا الحس والميزة يمتلكها فقط المقاولون.

### 3\_3\_2- دور الإبداع في تحيين وإكتشاف الفرص:

يرى هذا التصور أن الإبداع والإبتكار هو أساس إكتشاف وتحيين الفرص وأنصار هذا التوجه نجد هيل الذي "يرى أن الإبداع والقدرة على خلق الجديد هي مهمة جدا للتعرف وتحيين الفرص الموجودة في السوق"<sup>55</sup>، وفي إطار الإبداع والخلق يميز هذا الباحث بين ثلاث أنواع من المقاولين وهم:<sup>56</sup>

\*المنشئ المحفز: الذي يقترن بنموذج المقاول الشمبيري، معناه ذلك الذي يحمل مشروع ويبحث عن خلق مؤسسته، هذا النموذج المثالي هو أكثر طبيعة في إقتراب كيرزرن للفرص المقاولاتية، الفرد هنا في مواجهة لفرص السوق، التي يمتلكها ويبعثها بمفرده.

\*المنشئ المبدع المحرض والمؤطر: ويتعلق في معظم الأحيان بفرد يحمل كفاءات أو مشروع جاهز لتثمينه، لكنه حذر في تحمل المخاطر، وعملت الإعانات المالية المعتبرة والتشريعات على إعطائه مكانة.

\*المبدع المضطر: وهو الذي كان بطالا، والذي إستفاد من الإعانات العمومية لإنشاء مؤسسته، فالحاجة دفعته للبحث عن فرصة لإنشاء وخلق مؤسسته، وإنشاء مؤسسة بالنسبة إليه هو إستراتيجية للتخلص من مشكل البطالة.

### 3\_4: التصور التنظيمي :

لقد كان قارتنر Gartner من الممهدين لطرح فكرة المقاولة والدفاع عنها، وإعتبر أن المقاولة هي عبارة عن إنشاء تنظيم جديد، ودراسة المقاولة تكون بالرجوع إلى دراسة نشأة وميلاد تنظيم جديد، "فالفرد يقوم بعدة نشاطات تسمح له بإنشاء تنظيم جديد"<sup>57</sup>، ونجد في هذا الإطار قاي مانقيت minguet الذي يتصور أن المقاولة هي عبارة

عن إنشاء تنظيم إقتصادي وقانوني جديد ويعرفها على أنها "العملية الديناميكية التي تهدف إلى خلق وحدة إقتصادية وقانونية جديدة"<sup>58</sup>، فالمقابلة وفق هذا التصور هي إنشاء تنظيم جديد.

### 3\_4\_1- إنشاء مشروع جديد وتطويره ( هيزريش روبرت ومايكل بيترز)

في تصور هذين الباحثين أن إنشاء مشروع جديد وأن فعل المقابلة وسيرورتها محاطا دائما بالمخاطر والتي يتحمل مسؤوليتها المقاول الذي ينشئ المشروع، وحاولا من خلال دراستهما تسليط الضوء والاهتمام بالمقاول الذي يتقبل المخاطر والجهد المضني لإنشاء مشروع جديد، هذا المقاول يمكن أن يكون رجل أو امرأة، من طبقة غنية أو فقيرة، من مستوى دراسي وعلمي عالي أو يكون فاشلا في دراسته، وهو بذلك الشخص الذي يتوفر على الأنماط السلوكية تتضمن "المبادرة وتنظيم وإعادة تنظيم التقنيات الإجتماعية والإقتصادية لتحويل المصادر والأوضاع لتكون أكثر عملية، تقبل المجازفة أو الخسارة"<sup>59</sup>، ولقد فرقا بين وجهات النظر للمقاول فالمختصين في الإقتصاد يرون أنه الشخص الذي يوفر المواد الأولية واليد العاملة وبيئته منتوجات وطرق جديدة للعمل، بينما المختصين في علم النفس يرون أن "هذا الشخص يعمل بدافع من عوامل معينة، ربما كانت الحاجة إلى الحصول على شيء ما، أو التجربة، أو الإنجاز، أو ربما الهروب من سلطة الأفراد الآخرين"<sup>60</sup>.

كما أن المقاولين يعملون في نشاطات متعددة ويتميزون بخصائص معينة نذكر منها "التجديد والتنظيم والإبداع والثروة والمخاطرة"<sup>61</sup>، وهنا نحن أمام الرؤية السوسيوولوجية للمقاول، والتي تشير إلى أن هناك عوامل عديدة تؤدي بالأفراد إلى إنشاء مؤسسات، والإنتقال من أسلوب حياة إلى أسلوب آخر يعتمد على إنشاء مشروع جديد، كما أن هناك عوامل سلبية تؤدي بالأفراد لإنشاء مؤسسات مثل التقاعد من العمل أو الفصل من العمل، كما أن إنشاء مؤسسة قد يعود للخلفية الإجتماعية للمقاول، والذي ينحدر من عائلة مقابلة وتحمل أسرته ثقافة حول العمل الحر، وهي الثقافة التي تقدر العمل الفردي وإنشاء مؤسسات خاصة وتشجيع الوالدين للأبناء على الإستقلالية، كما يعود إلى تشجيع الأساتذة للطلبة عن طريق دروس مثيرة حول التنظيم والإبداع والإبتكار، وأخيرا دور الرفاق المقاولين فإذا كان الفرد في بيئته لديه أصدقاء مقاولين فهو يميل أن يصبح مثلهم فهذا المحيط له دور في ترسيخ فعل المقابلة لدى الأفراد.

حسب هذين الباحثين ينطوي إنشاء مؤسسة جديدة على عاملين هما: الرغبة والإمكانية حيث أن الرغبة في إنشاء مشروع جديد وحدها غير كافية، فيجب أن ترافقها الإمكانية وهناك عوامل كثيرة تمكن من ذلك وهي تتعلق بالبيئة المحيطة مثل "الحكومة والخلفية والتسويق والتمويل"<sup>62</sup>، وبذلك يعتبر هذين الباحثين المقاولة على أنها العملية التي يتم من خلالها إنتاج شيء جديد ذي قيمة وذلك عن طريق تكريس الوقت والجهد اللازمين وإستغلال المخاطر الجسدية والإجتماعية والنفسية للحصول على النتائج المتوخاة. كتحقيق الربح المالي والقناعة الشخصية بما تم إنجازه، وهذه العملية هي محفوفة بالمخاطر النفسية والمالية المرتفعة.

## خاتمة:

أبرزت التصورات النظرية السابقة أهمية المقاولة وإرتباطها بعوامل متعددة منها ماهو ثقافي وديني ومنه ماهو إقتصادي كالبحث عن الربح والثروة، ومنها مايتعلق بشخصية المنشئ للمؤسسة، أي المقاول من صفات شخصية كالإبداع والإبتكار وروح المخاطرة والمجازفة، تحين الفرص وإستغلالها أحسن إستغلال .

المقاولة تعني الإبداع وإكتشاف الفرص التي لا يراها الآخرون، وهي عبارة عن ظاهرة لخلق الثروة والقيمة وخلق تنظيم جديد يتمثل في المؤسسة، فهي فعل لإنشاء الثروة أو العمل والمقاول هو الذي يقوم بمجهودات كبيرة لكي يحول الأفكار التي تراوده إلى إبداعات وإبتكارات تعود بالمنفعة عليه، إن هذا المقاول هو شخصية فريدة يحمل سمات شخصية مبنية على الإصرار والرغبة في الإنجاز والمثابرة والتفاؤل، ونجد إهتمام كبير بحقل المقاولة في الدول المتقدمة حيث كما أشار إلى ذلك ماكس فيبر أن المقاولة وجدت في الغرب .

## \_ قائمة المراجع والمصادر:

- 1-نبيل، غطاس وآخرون. قاموس الإدارة مع سرد بالمصطلحات الإنجليزية المقابلة.بيروت:مكتبة لبنان،1983.
- 2- إبراهيم، مذكور.معجم العلوم الإجتماعية. مصر:الهيئة المصرية للكتاب، 1975.
- 3- أحمد، زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية: إنجليزي -فرنسي-عربي.بيروت:مكتبة لبنان ،1978.
- 4- بريجيت، بيرجير. ثقافة تنظيم العمل.ترجمة: محمد مصطفى غنيم. مصر: الدار الدولية للنشر والتوزيع،1995.
- 5- روبرت، هيزريش ومايكل بيترز. تنظيم المشروعات: إنشاء مشروع جديد وتطويره وإدارته. ترجمة: فاروق منصور. أروين: دون سنة.
- 6\_علي، زكاز ونصر الدين بوشيشة .الديناميكيات الإجتماعية للعمل في المؤسسة الصناعية الجزائرية. توطئة: محمد بومخلوف. الجزائر:كنوز الحكمة.
- 7\_عبد المجيد، لبصير. موسوعة علم الإجتماع ومفاهيم في السياسة والإقتصاد والثقافة العامة. الجزائر: دار الهدى، 2010
- 8\_ماكس، فيبر. الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية . ترجمة: محمد علي مقلد. لبنان:مركز الإنتماء القومي للنشر والتوزيع، بدون سنة
- 9\_كريم، شويمات. "دوافع إنشاء وسيرورة المؤسسة المصغرة لدى الشباب البطال" ، أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر، 2010.

10- Robert Hisrich et Michæl Piters, **Entrepreneurs hip : Lancer élaborer une entreprise**, Paris, Economica, 1991.

11- François Gresle et Al., **Dictionnaire des sciences humaines : Sociologie, Psychologie social ,Anthropologie**. France : Nathan, 1990.

12- Max, Weber, **L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme**, Tr : Jaque chavy, T 1, partie 1, Paris, Polon ,1920.

13- Raymond, Boudon et Al. **Dictionnaire de sociologie**, Paris, La rousse Montparnasse.

- 14- Sophie bontilier et Dimitri uzundis. **L'aventure des entrepreneurs**. France, Studyrama Perspectives, 2006.
- 15- Martin Germain et Philippe Simon, **Le chef d'entreprise, Evolution de son rôle au xx e siècle**, Paris, Bibliothèque de philosophie scientifique Flammarion, 1946
- 16- Khaled Bouabdallah et Zouache abdallah, "Entrepreneuriat et développement économique". Cahier de CREAD, N° 73, 2005.
- 17- Philippe Bernoux, **La sociologie des organisations**, Paris, Seuil, 1985.
- 18- Thierry Verstraet et Alain Fayolle, "Paradigmes et entrepreneuriat". **Revue de l'entrepreneuriat**, vol 4, N° 1, 2005.
- 19- Joseph Schumpeter, **Capitalisme, Socialisme et démocratie**, Paris, Payot, 1951.
- 20- Oualid chortani, Le rôle moteur d'accompagnement des pépinières d'entreprises en Tunisie, Regards croisés sur les pratiques d'accompagnement entrepreneurial, papier présenté la 3° **rencontre entre acteurs des réseaux et chercheurs**, 11 janvier 2013, Lille.
- 21- Franck Bares et Al., Métamorphose des organisations : logique de création. **La création et le développement d'opportunités vers une relecture du rôle de l'accompagnement en entrepreneuriat**. papier présenté au 4eme colloque, 21-22 Octobre, 2004, Nancy
- 22- Guy Minguet, "De l'art d'entreprendre une sociologie de l'initiative économique, **diplôme d'habilitation a diriger des recherches**, Université de Nantes, France, 1995.

- <sup>1</sup> - نبيل، غطاس وآخرون. قاموس الإدارة مع سرد بالمصطلحات الإنجليزية المقابلة. بيروت: مكتبة لبنان، 1983، ص182.
- <sup>2</sup> - إبراهيم، مذكور. معجم العلوم الإجتماعية. مصر: الهيئة المصرية للكتاب، 1975، ص288.
- <sup>3</sup> - أحمد، زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية: إنجليزي - فرنسي - عربي. بيروت: مكتبة لبنان، 1978، ص35.
- <sup>4</sup> - Robert, Hisrich et michaël Piters. **Entrepreneurs hip : Lancer élaborer une entreprise**. Paris : Economica, 1991, P22.
- <sup>5</sup> - بريجيت، بيرجير. ثقافة تنظيم العمل. ترجمة: محمد مصطفى غنيم. مصر: الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1995، ص17.
- <sup>6</sup> - François , gresle et Al. **Dictionnaire des science humaines ,Sociologie, Psychologie social ,Anthropologie**. France : Nathan, 1990,P105.
- <sup>7</sup> - max, Weber. **L éthique protestante et l esprit du capitalisme** . Tr : Jaque chavy.T 1 .Partie 1. Paris : Polon ,1920,P17.
- <sup>8</sup> - Ibid,p39.
- <sup>9</sup> - Raymond, Boudon et Al. **Dictionnaire de sociologie**. Paris : La rousse Montparnasse,P 128.
- <sup>10</sup> - روبرت، هيزريش ومايكل بيترز. تنظيم المشروعات: إنشاء مشروع جديد وتطويره وإدارته. ترجمة: فاروق منصور. أروين: دون سنة، ص24.
- <sup>11</sup> - نفس المرجع، ص24.
- <sup>12</sup> - بريجيت، بيرجير. مرجع سابق، ص7.
- <sup>13</sup> - روبرت، هيزريش ومايكل بيترز. مرجع سابق، ص24.
- <sup>14</sup> - علي، زكازونصر الدين بوشيشة. الديناميكيات الإجتماعية للعمل في المؤسسة الصناعية الجزائرية. توطئة: محمد بومخلوف. الجزائر: كنوز الحكمة، 2013، ص23.
- <sup>15</sup> \_ بريجيت، بيرجير. مرجع سابق، ص11.
- <sup>16</sup> \_ Sophie, bontilier et Dimitri uzundis. **Laventure des entrepreneurs**. France : Studyrama Perspectives, 2006, P129.
- <sup>17</sup> \_ Ibid, p 129.
- <sup>18</sup> \_ Ibid, p130.
- <sup>19</sup> \_ Ibid, p130.

<sup>20</sup> \_ Ibid, p130.

<sup>21</sup> \_ روبرت، هيزريش وبيترز مايكل. مرجع سابق، ص20.

<sup>22</sup> \_ Martin, Germain et Philippe Simon. **Le chef d entreprise, Evolution de son rôle au xx e siècle.**

Paris : Bibliothèque de philosophie scientifique Flammarion, 1946, P9.

<sup>23</sup> -Ibid , p9.

<sup>24</sup> -Ibid,p40

<sup>25</sup> \_ عبد المجيد، لبصير. **موسوعة علم الإجتماع ومفاهيم في السياسة والإقتصاد والثقافة العامة.** الجزائر: دار الهدى، 2010، ص107.

<sup>26</sup> \_ ماكس، فيبر. **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.** ترجمة: محمد علي مقلد. لبنان: مركز الإنتماء القومي للنشر والتوزيع، بدون سنة، ص36.

<sup>27</sup> \_ نفس المرجع، ص39.

<sup>28</sup> \_ Max, Weber. Opcit, p11.

<sup>29</sup> \_ khaled, Bouabdallah et Zouache abdallah. " Entrepreneuriat et developpement economique".

Cahier de cread : N73 , 2005 ,P11 .

<sup>30</sup> - علي، زكاز ونصر الدين بوشيشة. مرجع سابق، ص19.

<sup>31</sup> \_ Philippe, Bernoux. **La sociologie des organisations.** Paris : Sewil, 1985, P38.

<sup>32</sup> \_ Ibid, p39.

<sup>33</sup> \_ Max, Weber. Opcit, P31.

<sup>34</sup> \_ Philippe, Bernoux. Opcit, P39.

<sup>35</sup> \_ بريجيت، بيرجير. مرجع سابق، ص11.

<sup>36</sup> \_ نفس المرجع، ص12.

<sup>37</sup> \_ نفس المرجع، ص29.

<sup>38</sup> \_ نفس المرجع، ص12.

<sup>39</sup> \_ Thierry, Verstraet et Alain Fayolle. "Paradigmes et entrepreneuriat" **Revue de l**

**entrepreneuriat.** vol 4, N 1, 2005, P131

<sup>40</sup> \_ khaled, Bouabdallah et Zouache abdallah. Opcit, P12.

<sup>41</sup> \_ Ibid, p13.

<sup>42</sup> \_ Ibid, p14 .

<sup>43</sup> \_ Joseph, Schumpeter. **Capitalisme, Socialisme et démocratie**. Paris : Payot, 1951, P79.

<sup>44</sup> \_ كريم، شويمات. "دوافع إنشاء وسيرورة المؤسسة المصغرة لدى الشباب البطال"، أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر، 2010، ص89.

<sup>45</sup> \_ نفس المرجع، ص90.

<sup>46</sup> \_ Thierry, Verstraet et Alain Fayolle. Opcit ,P 34.

<sup>47</sup> \_ Oualid ,chortani. Le role moteur d accompagnement des pépinière d entreprises en tunisie, Regards croisés sur les pratiques d accompagnement entrepreneurial. paper presented to th **3 eme rencontre entre acteurs des reseaux et chercheurs**. 11 janvier 2013, Lille , P4.

<sup>48</sup> \_ Franck , bares et Al. Metamorphose des organisations logique de creation. **La creation et le developpement d opportunités vers une relecture du role de l accompagnement en entrepreneuriat**. paper presented to th 4eme colloque, 21\_22 Octobre, 2004, Nancy , P7.

<sup>49</sup> \_ Ibid, p6.

<sup>50</sup> \_ Ibid, p 6 .

<sup>51</sup> \_ إسرائيل، كيرزنر. الإدراك الحسي : الفرصة والريح. في **ثقافة تنظيم العمل**، مرجع سابق، ص49

<sup>52</sup> \_ khaled, Bouabdallah et Zouache abdallah. Opcit, P16

<sup>53</sup> \_Ibid, P17.

<sup>54</sup> - franck , bares et Al, Opcit, P7.

<sup>55</sup> - Ibid, P9.

<sup>56</sup> - Ibid, P11.

<sup>57</sup> Oualid ,chortani. Opcit,P4.

<sup>58</sup> \_ Guy, Minguet . "De l art d entreprendre une sociologie de l initiative économique". **diplôme d habilitation a diriger des recherches**, Université de Nantes, France, 1995, P37.

<sup>59</sup> \_ روبرت، هيزريش وبيتز مايكل. مرجع سابق، ص23.

<sup>60</sup> \_ نفس المرجع، ص23.

<sup>61</sup> \_ نفس المرجع، ص24.

<sup>62</sup> \_ نفس المرجع، ص28.

# مخرجات الجامعة وإشكالية اللاتجسير مع المحيط الاجتماعي

د. مختار رحاب جامعة المسيلة

د. عبد النور أرزقي جامعة البويرة

## Résumé:

## الملخص:

L'université est un établissement qui exécute plusieurs taches dans le but de former les personnes sur le plan scientifique, intellectuel et professionnel, pour servir la société dans tous les domaines et secteurs. Ainsi elle mène des études sur déférentes affaires sociales, psychologiques et économiques. L'université donc est la locomotive de développement et de progrès.

Est-ce-que nos universités ( en Algérie ) prend en charge les problèmes et les aspirations de notre société ?

Est-ce-que il ya un lien ou un pond de complémentarité entre les deux parties?

## Abstract:

The university is a superior institute, who does lot of tasks as persons educating, in sciences and technology. It should play a big and important roll in development of each society; it is the engine of each change, or the strength and the spirit of progress.

Have our universities this roll?

Have a band with our society?

Have our students' capacities to serve the social and economics aims?

الجامعة هي مؤسسة تعليمية عليا، تؤدي مجموعة من وظائف تنصدها إعداد الأفراد علميا، فكريا ومهنيا لخدمة المجتمع، وتجري أبحاثا ودراسات حول مختلف القضايا الاجتماعية، النفسية والاقتصادية وتهتم بالتطور العلمي والتكنولوجي، فهي بذلك تعد قاطرة النمو والتنمية بكل جوانبهما. مكانة تجعل منها بمثابة مرجعية وقائدا للمجتمع. لا بد إذن من ربطها بالمجتمع خدمة ومنبعا فهل هي كذلك ببلادنا؟

هل يوجد تواصل بينها ومحيطها الاجتماعي؟

هل يوجد بين مخرجاتها ومحيطها جسر تواصل وتكامل؟

إنّ العلاقة بين الجامعة والمجتمع في الجزائر، إذا ما استثنينا وظائف التدريس، وتخريج دفعات الطلبة، يمكن القول بأنّها تشهد حالة اللاتجسير والاتواصل، بل في الكثير من الأحيان يغيب أي نوع من علاقة تأثر وتأثير، وحتى نوعية المتخرجين تطرح أكثر من سؤال.

## مقدمة:

أصبح وجود وتشكل المجتمع قائم على المعرفة ، وقد أسهمت الثورات بمختلف أشكالها في تشكيل مجتمع جديد سميّ بمجتمع المعرفة، وضمنها لعب التعليم دورا مهما في النمو الاقتصادي للمجتمع ، وذلك من خلال الاستثمار في الرأسمال البشري، ومن ثمّ تلعب المعرفة دورا أساسيا في تحسين مستوى الإنتاج في مختلف القطاعات. وإذا كانت المعرفة قوة "knowledge is power" كما ذكر العالم والمفكر فرانسيس بيكون، وكما ذكر الكاتب ألفن تافلر حينما قال بأنّ قوّة المعرفة هي أكثر أنواع القوّة تأثيرا وفعالية وإيجابية، وإذا كان لكلّ المنشآت الاجتماعية دور في ذلك فإنّ المؤسسة الرئيسية ذات الدور الرائد هي الجامعة بكلّ ما توفره من تعليم وبحث علمي.

يهدف هذا المقال لتوصيف العلاقة بين الجامعة والمجتمع في الجزائر، ومحاولة تقديم مقترحات ورؤى لتجسير وتوثيق العلاقة بينهما، ووضع إستراتيجية تضمن التواصل الفعّال بينهما، وتساهم في إيجاد آليات تعمل من خلالها الجامعة كمؤسسة حضارية ، ثقافية وعلمية على إنجاز مشاريع التنمية.

ولتحقيق هذا ارتأينا أن نتناول من خلاله العناصر التالية :

- مفهوم الجامعة، المجتمع، التعليم الجامعي والتنمية.
- وظائف الجامعة، وعلاقتها بالمجتمع.
- كيفية إسهام الجامعة في مواكبة متطلبات مجتمع المعرفة.
- دواعي تدعيم العلاقة بين الجامعة والمجتمع.
- واقع العلاقة بين الجامعة والمجتمع في الجزائر.
- رؤية استشرافية لتوطيد العلاقة بين الجامعة والمجتمع في الجزائر في صورة " إستراتيجية التواصل الفعّال " للمساهمة في إنجاز مشاريع التنمية.

أولا / تحديد المفاهيم:

### 1- الجامعة: The university

يعود المصطلح الانجليزي university إلى مصدر universities والتي تعني التجمّع الذي تتحد من خلاله أقوى الأسر نفوذا في المجال السياسي، وذلك بهدف ممارسة السلطة. وبالمقابل تستخدم كلمة " الجامعة " لتدل على تجمّع هيئات التدريس والطلبة

من جنسيات مختلفة ومناطق متباعدة. وتعد الكلمة العربية " جامعة " ترجمة دقيقة للكلمة الانجليزية المرادفة لها، لأنّها في مدلولها العربي تعني التجمع والتجميع<sup>1</sup>. والجامعة هي مؤسسة علميّة منظمة تقع في قمة الهرم التعليمي والتكويني في أيّ مجتمع، لها مجموعة من الوظائف، أبرزها إعداد الفرد فكريًا ومهنيًا لخدمة أفراد المجتمع بواسطة الخدمة العامة، هذا بالإضافة إلى قيامها بالبحث العلمي الذي يخدم مخططات التنمية الشاملة للمجتمع، وفي هذا يرى آلين تورين بأنّها مكان يتحقق فيه الاحتكاك بين عمليّة تنمية المعرفة وخدمة المجتمع والحاجة إلى الخريجين. وذهب البعض الآخر إلى أنّ الجامعة هي المؤسسة التي تقوم بصورة رئيسية بتوفير تعليم متقدّم لأشخاص على درجة من النضج، ويتصفون بالقدرة الفعلية والاستعداد النفسي على متابعة دراسات متخصصة في مجال أو أكثر من مجالات المعرفة<sup>2</sup>.

من خلال التعاريف السابقة يمكن القول بأنّ الجامعة هي فضاء أو منبر لإعطاء العلم عن طريق عمليّة التدريس، بالإضافة إلى القيام بالبحث العلمي، وابتكار المعرفة وإبداع وإيجاد حلولاً للمشكلات المطروحة، وهي مركز إشعاع علمي وثقافي واجتماعي يهدف لتنمية المجتمع من كلّ النواحي: الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والحضارية. وعلى ذلك لا يمكن تصوّر أيّ تغيير دون لمسة الجامعة، أو لنقل لا يمكن أن ينجح أيّ تغيير ما لم تُشرك الجامعة فيه، بل هي منطلقه ومصدره. وقد أصبح الحديث عن الجامعة يعني الغوص في طموح المجتمع وتطلّعات أفرادها، " وبالرغم من أنّ الجامعة كمؤسسة تعليمية لإنتاج المعرفة حديثة النشأة نسبيًا فإنّ جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، تعود إلى مدارس الحكمة في الصين القديمة أو ما يماثلها في الحضارات القديمة في الهند ومصر وحضارة وادي الرافدين وغيرها"<sup>3</sup>

## 2- المجتمع: The society

هو جمع من النّاس مختلفي الأنواع والأنماط يسكنون رقعة جغرافية معلومة الحدود، لهم ولاءات ورغبات ومشكلات مشتركة، لهم مصير متقارب أو مشترك، ويعيش هؤلاء الأفراد في جماعات وفي داخلها كلّ أنواع العلاقات بحيث يكون المجتمع متكاملًا<sup>4</sup>. لا يمكن تصوّر فرد بمعزل عن الأفراد الآخرين، هم يعيشون في مجتمع يتميّز بعادات وتقاليد وأنظمة عيش.

## 3- التعليم الجامعي:

هو التعليم في الجامعات العامة أو كما تسمى الجامعات الحكومية، أو في الجامعات الخاصة، يلي مباشرة مرحلة التعليم الثانوي، وغالبا ما تتراوح مدته في الجزائر ما بين ثلاث إلى سبع سنوات وبعدها تأتي مرحلة الدراسات المعمقة كالمجستير والدكتوراه، ويمنح الطالب بعد هذه المراحل شهادات، تمكنه من العمل في قطاعات ومهن مختلفة. ويعتبر الإنسان الرأسمال الحقيقي في أية تنمية، وهو الغاية من كل نشاط، وتحدد طاقته الإنتاجية ومستوى مشاركته في النهوض بمجتمعه بما يتمتع به من مهارات وقدرات. ولا شك أنّ وراء اكتشاف القدرات وصقلها وتنميتها عملية التعليم. وعلى ذلك تكتسي التنمية البشرية The Human development أهمية بالغة وتحظى باهتمام كبير من قبل كلّ الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، والواقع أنّ من بين أسباب التفاوت في مستوى التطور والتقدم الاختلاف من حيث إدراك مكانة العنصر البشري وبالتالي التحكم في تنميته. أدى ويؤدي الاستثمار في التعليم عموما والتعليم الجامعي خصوصا إلى إحداث التنمية الشاملة في العديد من الدول، لكون العنصر البشري هو الأساس. " يمثل التعليم العامل الأساسي لتنمية القوى البشرية بوصفها الثروة الحقيقية للدول والمجتمعات، بها تستطيع مواجهة التحديات المعاصرة"<sup>5</sup>. وهو ضرورة ووسيلة للعيش والاستمرار في عالم تميّزه المنافسة الاقتصادية والثقافية، فلا مناص من الاستثمار فيه. وفي هذا أشارت الدراسات إلى وجود علاقة قوية بين تنمية الموارد البشرية والنمو الاقتصادي<sup>6</sup>، والأکید أن لا فرق بين البشر عند الولادة من حيث القدرات والاستعدادات، إنّما يظهر التفاوت بمرور الوقت وبفعل التكفل تربية وتعلّما.

تقوم التنمية البشرية على محورين أساسيين هما :

- بناء القدرات البشرية.

- التوظيف الكفاء للقدرات البشرية في جميع مجالات النشاط الإنساني.

وتعرّف بأنها تفعيل القدرة البشرية وتأهيلها للمشاركة الكاملة في السيادة على موارد المجتمع والإمساك بالقوى التي سترسم مستقبله وتحدد مصيره.<sup>7</sup> وتعرّف أيضا بأنها " التنمية التي تعنى بكلّ جوانب الحياة الإنسانية وبكلّ عناصر التقدم المجتمعي"<sup>8</sup>.

4- التنمية: The development

مفهوم التنمية معقد ومتشابك ومتداخل مع مفاهيم كثيرة تلتقي معه كالتقدم، التطور، التحديث، التصنيع وحتى التكنولوجيا. والواقع أنّ تحديده يرتبط بالمجتمع وثقافته، فعرفت " بعملية تنشيط الاقتصاد القومي وتحويله من حالة ركود وثبات إلى مرحلة الحركة والديناميكية عن طريق زيادة إجمال الناتج القومي"<sup>9</sup>، وإلى جانب هذا التعريف الاقتصادي البحت ظهر تعريف اجتماعي وهو: " عملية توفير الاحتياجات الأساسية للإنسان من مأكّل، ملبس، مسكن، صحة، تعليم وعمل"، وتعريف سياسي وهو: " توفير فرص المشاركة في تقرير المصير، حرية التعبير والتفكير والأمن والتمتع بروح المواطنة..."<sup>10</sup> ولذلك ظهر من تحدّث عن كل ذلك وجمعه في تعريف واحد. وفي هذا الإطار يرى بوزيك Pusic Eugen بأنّ " التنمية عملية متكاملة، وهي التفاعل الديناميكي بين المجتمع و مستوى الإنتاجية التي بلغها. الإنتاجية التي تعني طاقات جميع أفراد المجتمع"<sup>11</sup>.

والتنمية في مفهومها الشمولي " هي ذلك الاستنهاض الواعي المتكامل لكلّ المقومات المادية والروحية للمجتمع/ الأمة وتوظيفها لمواجهة التحدّيات التي تفرضها اللحظة الحضارية الراهنة، وتحقيق الحاجيات والمتطلّبات، وتوفير الشروط الضرورية التي تجعل المجتمع المعني متمكناً، بنوع من الجدارة والاستحقاق، للقدرة على اختراق أزمنة الحداثة والانتماء إليها، والتواصل والتبادل المتكافئ معها، والتأثير فيها كطرف فاعل مبدع، وليس كتابع هامشي مستقبل ومنفعل فقط"<sup>12</sup> وقد ظهرت التنمية كعملية أو كشعار تسعى الدول لتجسيده على أرض الواقع بعد الحرب العالمية الثانية، لتصب جلّ المشاريع والخطط والاستراتيجيات فيها، كما حظيت باهتمام الباحثين الجامعيين بمختلف تخصصاتهم ، وعلى ذلك أجريت دراسات وألفت كتب كثيرة حولها، مع العلم أنّ موضوع التنمية لا ينتهي أو لا يقتصر على فرع علمي واحد، إنّما كلّ تخصص يتناوله في اهتماماته.

وهناك عدّة عوامل أدت إلى ظهور هذا المفهوم يمكن إجمالها في:<sup>13</sup>

- سيطرة الدولة على مجريات وقضايا المجتمع مما أدى إلى ظهور مفهوم التخطيط العلمي لتحقيق التنمية الشاملة.

- الأزمة الاقتصادية العالمية ( 1929 ) التي أدت إلى إفلاس الوحدات الصناعية والتجارية بأوروبا الغربية وأمريكا وما أنتجه من هزات اجتماعية وسياسية.

- اهتمام الدول النامية بالنهوض باقتصادها بعد حصولها على الاستقلال.  
- الحربان العالميتان الأولى والثانية وعواقبهما الاقتصادية الوخيمة، التي أدت إلى تدخل الدول لتنظيم وتنشيط وإعادة بناء النشاط الاقتصادي.

- التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين الدول المتقدمة والدول النامية، ما دفع الباحثين من مختلف التخصصات للسعي لإيجاد طريقة لتقليص الهوة ( التنمية ).

- ظهور وانتشار المجتمع الصناعي الرأسمالي عقب الثورة الصناعية في منتصف القرن الثامن عشر. والملاحظ هو أنّ هناك الكثير من المفاهيم تشبه وتتداخل مع مفهوم التنمية وإن كان بينها اختلاف ولو بسيط، منها التقدّم، التطوّر، التحديث والتصنيع. مع العلم أنّ تحقيق مستويات متقدمة من التنمية يعني حدوث التقدّم، التطوّر والتصنيع. " وقد فضّل البعض استعمال لفظ الإنماء بدل التنمية لكونه يعبر عن الاتجاه القصدي بينما التنمية على العمليّة ذاتها. "<sup>14</sup> وإذا كانت للتنميّة أنواع، أو بتعبير آخر توجد التنمية في كلّ المجالات كالمجال الاقتصادي ( التنمية الاقتصادية )، المجال الاجتماعي ( التنمية الاجتماعية )، المجال السياسي ( التنمية السياسية ) .. فلا يمكن أن تحدث في مجال دون آخر في واقع أو مجتمع واحد. على هذا المنحى " يرى أوجن بوزيك Eugen Pusic بأنّها عمليّة متكاملة لا تنقسم، يُنظر إليها كتفاعل ديناميكي بين بناء مجتمع معيّن ومستوى الإنتاجية التي بلغها هذا المجتمع. "<sup>15</sup> والتنمية إذن تعبر عن المستوى الذي بلغه المجتمع من تطوّر بأبعاده الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية، الإدارية والسياسية، فلا يرتبط بقطاع دون آخر ويشير إلى حركيّة مجتمعيّة متكاملة ومتفاعلة في إطار منظّم ومنسجم.

لقد ظهر ضمن عمليّة التنمية أو في إطار حركة التنمية التي مست العالم مفهوم ( أو عمليّة ) تنمية المجتمع Community development وهي " حركة إنسانية تستهدف النهوض بالريف والحضر على أساس من تكامل الجهود بين كلّ أفراد المجتمع وقدراته، يتوقف نجاحها على المشاركة النشطة للمواطنين في تحديد البرامج، تدعيمها والانصياع فيها. "<sup>16</sup> على هذا الأساس يمكن اعتبار التنمية عمليّة تحوّل شامل : اجتماعي،

اقتصادي، سياسي وثقافي. " وتمثل نهوضا حضاريا ، لا مجرد تغيير اقتصادي لا يتعدى مجال ارتفاع متوسط دخل الفرد"<sup>17</sup> وإذا كان الأمر كذلك فمما لا ريب فيه أن وراء تحريك مقومات المجتمع لاسيما الروحية والنفسيّة ودفعها، ناهيك عن دراسة الوضعيات ووضع البرامج، منشآت اجتماعية لا بد أن تكون قوّة وواعية وذات صلة وثيقة بالمجتمع وواقعه، أولها الجامعة. كما ينبغي التأكيد على ضرورة توليد التنمية من الواقع وارتكازها على معطيات وحيثيات محليةّة، لا يمكن استنساخها واستيرادها، فلكي تنجح لا بد أن تكون نتاج معطيات ثقافية، حضارية وحتى اقتصادية وسياسية محليةّة.

5- اللاتجسير: هو عدم وجود علاقة بين شيئين أو أمرين، أو عدم وجود جسر بينهما. نقصد به في بحثنا عدم وجود علاقة بين الجامعة بمكوناتها والمحيط الاجتماعي بحيثياته ومتطلباته، أو ضعفها.

### مقومات التنمية:

توجد شروط مرتبطة بالتنمية، وجودها وقوتها يحددان مستواها ومدة حياتها، نذكر بعضها في ما يلي:

- 1- السكان: للنمو الديمغرافي ارتباط وثيق بالتنمية فمعدله ونسبته مقارنة بالمساحة يلعبان دورا سالباً أو موجبا. وطبعا لليد العاملة دخل في ذلك، إضافة إلى التركيبة العمرية، فهناك فرق من حيث الدور بين مجتمع نسبته الكبرى شباب ومجتمع آخر نسبته العظمى شيوخ. وقد يتحوّل تعداد السكان إلى عالة وسبب من أسباب إعاقة التنمية، فعدم تبني سياسة تنموية راشدة، تجعل من زيادة السكان ارتفاع نسبة الإعالة وزيادة الطلب على الخدمات ومن ثمّ انخفاض مستوى المعيشة، حالة نجدها عند بعض الدول النامية التي لم تتمكن من التحكم في تنميتها. وبالمقابل يشكل كبر عدد السكان قوّة، لأنّ أي برنامج لا يمكن تطبيقه في حالة غياب العنصر البشري. أصبح المورد البشري أهمّ شروط التنمية، لكن بتوفير شروط وأسباب تحوّل إلى القوّة ولا يتمّ ذلك سوى بوجود منشآت اجتماعية قوّة وفعالة أولها وأهمها المدرسة، فبعض الدول تجعل من ارتفاع عدد سكانها قوّة تحقق بها تنمية كبيرة ، والصين مثال حيّ عن ذلك.
- 2- قوّة العمل: المقصود هو عدد الأفراد القادرين على العمل، إذ تشكل الأعداد الكبيرة لليد العاملة قوّة حقيقية وقاطرة قوّة للتنمية، كلّما اتسم مجتمع بارتفاع المقبلين على العمل وزاد عن عدد المحالين على التعاقد كلّما كان بمنأى عن الأزمات، لكن بشرط

التحكّم في التشغيل أولاً وتفعيل هذه القوّة بتكوينها مهنيًا وتوجيهها وإرشادها ثانياً، وطبعاً تمثل مشكلة البطالة أهمّ وأخطر المشاكل التي تواجه وتجاها الاقتصاد. ولاشك أنّ بعض الدول الأوروبية كفرنسا التي يتسمّ تعداد سكانها بالشيخوخة قد أدركت الخطورة فتوجّهت إلى تشجيع الهجرة لاسيما ما يعرف بالهجرة الاقتصادية L'émigration économique أو الهجرة الانتقائية Séléctionnée. أدركت بأنّه لا يمكن إحداث تنمية اقتصادية ما لم تتوفر الموارد البشرية.

3- القوّة التكنولوجية: إذا كان لابد من يد عاملة فنيّة مؤهلة لدفع التنمية قدماً لاسيما في عالم تسوده المنافسة، فإنّها تبقى قليلة المنفعة ما لم ترافق بآلات حديثة وتجهيزات متطورة. اكتسحت الآلة بشكل غريب عالم الشغل، بل من النادر وجود عمل دونها حتّى في أبسط المهن، وذلك لما توقّره من إنتاج ووقت وجهد. والتنمية الاقتصادية تعريفاً هي "عملية التغيير التي يقوم بها الإنسان للانتقال من مجتمع تقليدي زراعي لمجتمع متقدّم صناعياً"<sup>18</sup>، وطبعاً التقدّم الصناعي يتطلّب إلى جانب الموارد البشرية والطبيعية القوّة التكنولوجية.

4- السياسة الاقتصادية: تبقى المقومات السابقة عديمة أو قليلة الفائدة ما لم تدعّم بسياسة اقتصادية حكيمة، تسعى إلى التحديث والاستقرار والارتقاء بمستوى المعيشة ومحاربة البطالة، صيانة الشباب، توسيع قاعدة التكامل الاجتماعي، تطوير الإدارة، الاستغلال الأمثل للطاقات الإنتاجية... وهذا لا يتمّ سوى باعتماد التخطيط كمنهاج للتنمية، الذي يُعد ضرورة فرضتها الأوضاع والظروف المتغيرة في ظل اقتصاد السوق والعولمة. وتزداد أهميته بندرة الموارد الاقتصادية وعدم توازنها مع النمو الديمغرافي المطرد. أصبح التوجيه المهني إحدى المسائل الأساسية في الاقتصاد في وقت يشكّل فيه توزيع اليد العاملة نقطة حساسة في تحولات العالم.<sup>19</sup>

#### ثانياً / وظائف الجامعة وعلاقتها بالمجتمع:

بين الجامعة والمجتمع صلة وثيقة، فلا يمكن تصوّر منظومة تربويّة أو تعليميّة أو تكوينية في أيّ مجتمع وفي أيّ بلد كان، منعزلة أو منفصلة عن المجتمع، والنظام التعليمي يعوّل عليه في بناء الدول بناء علمياً محكماً، وذلك من خلال ما يقدمه من قوى بشرية تتمتع بقدرات علمية وتكوينية في تخصصات ضرورية تقوم عليها عملية البناء والتنمية، ويعتمد عليه الإقلاع الحضاري.

للمؤسسات التعليمية في المجتمعات لاسيما السائرة في طريق النمو، تشهد عمليات تحوّل وتغيّر في نظمها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أهمية كبيرة ، فالتغيير المنشود والناجح لا بد وأن تكون خطته منسجمة مع السياسة التعليمية المنتهجة، ذلك لأنّ النظام التعليمي قد يعمل على إنجاز مشاريع التنمية كما قد يكون سببا في تكريس الفشل وتدعيم التخلف. " ونظرا لخطورة وأهميّة هذا الدور تعمد كلّ البلدان والدول على تأكيد ضرورة إشراك المؤسسات التعليمية في تحقيق التنمية في شتى الجوانب.<sup>20</sup> وللجامعة وظائف متعددة ومشاركة في آن واحد بين أغلب الجامعات، الأولى تتمثل في العمليّة التدريسية، والثانية في القيام بالبحث العلمي وهاتان الوظيفتان ترتب عليهما وظيفة ثالثة تلقائية وهي خدمة المجتمع، فمن خلال التدريس تنتشر المعرفة، كما يسهم البحث العلمي في إنتاج المعرفة وتطويرها، وأخيرا يمكننا الاستعانة بهذه المعارف في حلّ مشكلات الفرد وتحسين مستوى المعيشة من خلال إنجاز برامج وعمليات التنمية على كلّ المستويات. وفي هذا ذكر مؤرخو العلوم أنّ الوظيفة الأساسية للجامعات عند نشأتها كانت عمليّة التدريس، ولأهميّة هذه الوظيفة نالت إجماع الممارسين والمنظرين على حد سواء، مما جعل الجامعات توظف كلّ إمكاناتها المادية والبشرية من أجل تحقيق هذا الهدف، لذا فإنّ مؤسسات التعليم الجامعي ركزت جلّ اهتمامها منذ بداية مسيرتها التاريخية، حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر على توفير نوع من التعليم ذي المستوى العالي،<sup>21</sup> هذا النوع من التعليم هو الذي يسهم في تنمية الطلبة معرفيا وتقنيا، وإعدادهم لتحمل المهام التي تتطلبها عمليّة تنمية وتطوير المجتمع، وذلك من خلال تحصيل العلم والمعرفة واكتساب المهارات وتكوين الاتجاهات. بذلك تسهم الجامعة من خلال عمليّة التدريس بشكل مباشر في إعداد رأسمال بشري، أي الاستثمار في إعداد وتنمية أحدّ الموارد المهمة داخل المجتمع وبالتالي المساهمة في تطويره وتنميته. وعلى الرغم من أهميّة هذه العملية التي تقوم بها الجامعة، إلا أنّ التدريس في أغلب الجامعات العربية ، بقيّ عمليّة تقليدية، تقوم على المحاضرات النظرية، وترتبط بامتحانات تركز على الحفظ والذاكرة، دون الاهتمام بالعمل الجماعي، وتطبيق المعارف وتجديدها وإنتاجها، وهو ما أثر سلبا على مخرجات التعليم الجامعي، التي ارتفعت من حيث الكم، وانخفضت من حيث النوع والكيف، هذا فضلا عن الأستاذ الجامعي الذي لا ينمو بالشكل المطلوب حيث يقتصر عمله على التدريس

التقليدي دون استخدام أساليب متطورة في التدريس والتقويم ودمج التكنولوجيا في عملية التعليم<sup>22</sup>. ويعتمد أداء المؤسسة الجامعية لهذه الوظائف على ثلاثة أطراف رئيسية وهي: الأستاذ، الطالب والهيكل التنظيمي. أما الأستاذ فهو حجر الزاوية في العملية، هو المكلف بالتدريس، البحث والإنتاج لكونه الناقل للمعرفة والمبادر والموجه للبحث والمسئول أو السبب في السير الحسن للعملية البيداغوجية. نشير هنا إلى أنّ دوره أو مقامه يختلف جذريا عن مقام أستاذ مراحل ما قبل الجامعة، "هو منظم لنواحي النشاط المؤدية لاكتساب المعرفة والمهارات لدى الطلبة"<sup>23</sup>، والمشجعة على البحث والإنتاج، كما لا يمكن الحديث عن أستاذ جامعي دون البحث العلمي بل لا يمكن أن نصبح أساتذة جامعيين دون أن نمضي أوقانا ونبدل جهودا في البحث.

"يرى جاسبرز Jaspers بأنّ الباحث - على عكس الموظف يؤدي مهامه وفق قواعد مسطرة - لا أحد يمكن أن يملي عليه كيفية القيام ببحثه على أحسن ما يرام"<sup>24</sup>. الطالب هو فرد منتقل من المرحلة الثانوية إلى مرحلة أعلى بفضل كفاءاته العلمية، ليصبح في ما بعد من إطارات المجتمع، ويعتبر أحد العناصر الأساسية في الجامعة ومقصد العملية التعليمية والتكوينية. أما الهيكل التنظيمي فهو تلك المكونات البشرية والإدارية المتكاملة والمتناسقة، التي تسهر على السير الحسن للجامعة إداريا، ماليا، بيداغوجيا وبحثا.

أما في ما يخص البحث العلمي فأصبح يحتل موقعا متميزا في كلّ جامعات العالم المعاصر، ولم يعد التدريس الوظيفة الوحيدة للجامعات، وذلك من أجل تحقيق التقدّم في كافة المجالات التنمويّة وكذا التنافسية بين الأمم والتهديدية في المجالات الحربية وميادين الصراع، فالتقدّم الذي يشهده العالم الغربي هو انعكاس مباشر ونتيجة حقيقية للأبحاث التي تجرّيها الجامعات ومراكز البحث في مختلف المجالات. وأصبحت المكانة الحقيقية للأستاذ الجامعي مرتبطة بالبحث والاكتشاف والنشر والتأليف، فمن خلال القيام بالأبحاث العلمية في شتى التخصصات تتجدد المعلومات والمعارف لدى الأستاذ مما ينعكس إيجابا على الطلبة داخل الجامعة، هذا بالإضافة إلى مساهمة نتائج الأبحاث العلمية التي تجرّيها الجامعة في تمويلها، فنتائج الاكتشافات العلميّة والإبداعات وبراءات الاختراع تشكل موردا هاما في تمويل الجامعة، من خلال تعاملها مع قطاعات المجتمع المختلفة وتزويدها بهذه الاكتشافات والاختراعات، غير أنّ

نظرة متعمقة للبحث العلمي في الجامعات العربية بشكل عام، تبين أنّ البحث العلمي يعاني من مشكلات عديدة، كـنقص التمويل حيث أنّ البحث العلمي عند أغلبية مكونات المجتمع يعد ترفاً ويجب صرف الانتباه والأموال عنه، كما يعاني البحث العلمي في معظم الجامعات العربية من اعتباره مجرد أداء وظيفي، يقوم به الأستاذ لتحقيق أهداف ذاتية منفصلة عن حاجة المجتمع، كالأهداف المتمثلة في نيل الدرجات العلمية أو الترقية، الأمر الذي يجعل هذه البحوث روتينية يكرر بعضها البعض الآخر، وتدور في فراغ تخطيطي، وتبقى نتائجها حبيسة المكتبات والمكاتب، كما تبقى أهميتها ظرفية والفائدة منها محدودة. "ومن بين المشكلات التي يعاني منها البحث العلمي في العالم العربي عدم وجود رؤية واضحة للبحث العلمي بمعنى الافتقار لخطط منهجية علمية، أي غياب خطط ومشاريع حكومية تترتب عنها التزامات بحثية، وبالتالي وجود انفصال بين الجامعة والمجتمع، هذا بالإضافة إلى غياب مناخ اجتماعي يشجّع على القيام بالبحث العلمي"<sup>25</sup>.

وفي ما يخص الوظيفة الثالثة الرئيسية لأيّ جامعة فهي المساهمة في خدمة المجتمع، من خلال ما تقدمه من خدمات عامة سواء كانت مهنية أو اجتماعية أو ثقافية. هي البعد الثالث لوظيفة الجامعة، حيث تعمل من خلال هذه الوظيفة على تجسيد نتائج الأبحاث والمعارف في تنمية المجتمع وتطويره وتحسين وضعيّة الأفراد، وإيجاد حلول للمشاكل المطروحة في كافة المجالات، وخدمة قطاعات المجتمع المختلفة من خلال رسم الخطط الإستراتيجية، ووضع قواعد للمعلومات والمعطيات والإحصاءات، وتسطير برامج تكوينية وإعدادية وتدريبية، وإقامة شراكات حقيقية مع المؤسسات الاقتصادية والمجتمعية الفاعلة والمنتجة، وبالتالي تخرج الجامعة عن دورها التقليدي والعمل داخل أسوارها إلى المجتمع للتفاعل معه، ومع التطوّرات الجارية من حولها سواء على المستوى المحلي أو المستوى العالمي، لتتلمس قضايا المجتمع وحاجاته الحقيقية، تربوية، اقتصادية، تقنية، ثقافية، فكرية ومعرفية، وتسعى للاستجابة إليها وتلبيتها وبالتالي تجسيد فكرة الجامعة كمنظمة مفتوحة على المجتمع، تؤثر فيه وتتأثر به، وتسهم في خدمته والارتقاء بمستوى أداء الأفراد فيه.<sup>26</sup>

ثالثاً / مواكبة الجامعة متطلبات العولمة ومجتمع المعرفة:

تطوّرت بنيّة المجتمعات البشرية مع مرور الزمن وذلك بسبب الثورات والتغيّرات التي عرفها هذه المجتمعات، كالثورة الزراعية ثمّ الثورة الصناعية فالانتقال إلى مجتمع ما بعد الحداثة، ونشهد اليوم تسميّات متعددة تطلق على المجتمعات المعاصرة كالمجتمع المعلوماتي، مجتمع اقتصاد المعرفة ومجتمع المعرفة وغيرها من التسميّات أو المصطلحات. لقد أدى الاستخدام الهائل لتكنولوجيا المعلومات وتعدد مصادرها، التي تخلت عن البيئة التقليدية، إلى بروز بيئة الكترونية ذات خصائص مميّزة. ولم يعد استخدام التكنولوجيا رفاهية للمجتمع، إنّما أصبح ضرورة تملها تطوّرات العصر، هذا العصر الذي أصبح فيه اقتصاد الدول يعتمد على صناعة المعلومات.

والسؤال المطروح ما هو مجتمع المعرفة؟ وما دور الجامعة في بنائه؟

مجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يعتمد على حسن استعمال المعرفة في إدارة شؤونه، وتسطير السياسات الرشيدة، واتخاذ القرارات الصائبة والسليمة، ويعمل على إنتاج المعلومات لاستشراف المستقبل، ويستخدم مجتمع المعرفة المعارف كثروة وذلك من خلال استخدام موارده البشرية المكونة والمدرّبة كأساس للتنميّة الشاملة، وبالتالي يمكن القول أنّ مجتمع المعرفة يرتبط فيه الاقتصاد والمعرفة ببعضهما البعض، حيث تمثل المعرفة ثروة اقتصادية، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور ما يسمى باقتصاد المعرفة، الذي يحتل مكانا معتبرا ضمن مجتمع المعرفة، هذا الأمر يؤكد ضرورة الاهتمام بالفرد وإعداده والعناية به باعتباره المورد الأساسي للمعرفة، ومن ثمّ يشكل مجتمع المعرفة فرصة عظيمة ونقله نوعية للاهتمام بالعنصر البشري باعتباره يشكل المورد الأساسي للمعرفة، والمعرفة تشكل أساس السلطة والكسب والجاه، وبمن ثمّ فمجتمع المعرفة لا يعتمد على الموارد الطبيعية، إنّما على العقول المفكرة التي تسهم في إنتاج المعرفة وتحويلها إلى قوّة اقتصادية تحقق الرقي. وبالتالي تبين أنّ " المعادلة الاقتصادية الجديدة لا تعتمد أساسا على وفرة الموارد الطبيعية ولا على وفرة الموارد المالية، بل على المعرفة والكفاءات والمهارات، أي على العلم والابتكار والتجديد".<sup>27</sup>

انطلاقا مما سبق يمكن القول بأنّ مجتمع المعرفة يستوجب توفير إمكانات كبيرة وقدرات فائقة، تعمل على تكوين الأفراد وإعدادهم لمسايرة ركب مجتمع المعرفة، وهذا الإعداد بلا شك يرتكز في أساسه على طبيعة النظم التعليمية السائدة في المجتمع،

إضافة إلى طبيعة الهياكل المادية والتكنولوجية والبيداغوجية المتوفرة، ذلك أنّ مجتمع المعرفة يتطلّب نظاما تعليميا معاصرا يقوم على أساس تكنولوجيا المعرفة، والعقول المبدعة التي تمارس الإبداع والابتكار ولا تقف عند حدود النقل والتخزين. هذا الأمر يبرز أهميّة التعليم عموما والتعليم الجامعي أو العالي خصوصا في الاستجابة لتحديات مجتمع المعرفة، حيث يمكن للجامعة أن تؤدي وظيفة تطوير المجتمع وتهيئته لمسايرة التطور العالمي الحاصل، وذلك من خلال إعداد الفرد، حيث يظل المنحى المجتمعي إما صاعدا أو منحصرًا. والمجتمع الجزائري في حاجة إلى مؤسسة الجامعة من خلال تجديد نظمها وتطوير قدراتها لتنتقل من دور نقل المعلومة وتخزينها إلى مستوى إنتاج وبناء المعارف، ثمّ الارتقاء إلى إمكانية تطبيق وتجسيد هذه المعارف خدمة للفرد وللمجتمع، فمن خلال بناء نظم معرفية جادة تستجيب للمشكلات المجتمعية المطروحة تستطيع الجامعة الجزائرية أن تقوم بدور الموجه والمخطط والضامن لنجاح عمليات التنفيذ. كما أنّ العلاقة تبدو وثيقة بين اقتصاد المعرفة والجامعة. ذلك لأنّ اقتصاد المعرفة يعتمد على إنتاج المعارف، وإنتاج المعارف يمثل إحدى أهمّ وظائف الجامعات المعاصرة، حيث تسهم في مختلف دول العالم بدور أساسي في إنتاج المعارف، وتطوير آليات اقتصاد المعرفة من خلال ما تجرّبه من دراسات وبحوث تضيف لمجالات العلم المختلفة معارف جديدة، تسهم في حلّ المشكلات وتطوير المجتمع، وكذلك من خلال استجابتها لحاجات عالم الشغل من مهن وتخصصات، وتوفير نظم تعلّم تستند إلى التقنيات وتكنولوجيا المعرفة، وهو ما يسهم بدور كبير في تفعيل آليات ومتطلبات اقتصاد المعرفة.

#### رابعا / دواعي تدعيم العلاقة بين الجامعة والمجتمع:

إنّ توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع مطلب وشرط أساسي لإنجاح البرامج التنمويّة في كافة المجالات ومختلف القطاعات، فلا يمكن تنمية وتطوير أيّ مجتمع دون توثيق صلته وعلاقته بالجامعة وإحداث عملية تبادلية بين الجامعة والمجتمع، ذلك لأنّ غاية التنمية هي خدمة الإنسان وتحقيق رفاهيته، ولذلك تعمل دول العالم المعاصر جاهدة لتوثيق العلاقة بين الجامعة بتخصصاتها المتنوعة ومراكز الأبحاث المختلفة، والمجتمع بمختلف مؤسساته وقطاعاته، وذلك بهدف تحقيق التنمية ومسايرة متطلبات الثورة المعلوماتية والمعرفية، من خلال الإطارات التي تتخرج من الجامعة، حيث تمتلك القدرة على التعامل بكفاءة مع مجتمع المعلوماتية والمعرفة والتكنولوجيا، أي أنّ الفضاء

الجامعي هو فضاء النخبة، التي تصنع الجامعة وتعطيها بعدها العلمي والفكري وتجعل من وتيرة تطوّر المجتمع حقيقة، فالجامعة في العديد من دول العالم المعاصر هي القائدة للحركات الاجتماعية والفكرية، لها دور قيادي داخل المجتمع من خلال النخبة المبدعة المسيرة لمتطلبات العصر. كما تعمل الجامعة على بناء الإنسان وتنميته تنمية متكاملة، وتزوده بالمعارف اللازمة والمهارات المختلفة، لتسيير قطاعات مختلفة كالزراعة، الصناعة، التجارة... إنّ من دواعي تدعيم العلاقة بين الجامعة والمجتمع إحداث شراكة وتبادل بينهما من خلال استغلال الموارد المختلفة، والمجتمع بنظرة استثمارية اقتصادية عبارة عن طاقات كامنة، تنتظر التربيّة والصقل والتوظيف، فكيف يتحقق ذلك إذا كانت الجامعة في غير هذا المستوى؟

عموماً هناك مجموعة من الدواعي والمبررات تدعم وتوثق علاقة الجامعة بالمجتمع نذكرها في ما يلي:

- المبررات الاجتماعية الثقافية وذلك من خلال إحداث تغييرات اجتماعية وثقافية داخل المجتمع، وتدعيم ثقافة الانتماء، والمشاركة المجتمعية، وتعزيز الهوية الثقافية، والإسهام في تحقيق التنمية الاجتماعية. كما توجد مجالات أخرى متعددة يمكن أن تفيدها الجامعة لا يمكن حصرها، كالجانب الثقافي والترفيهي والاجتماعي إلى غير ذلك، وفي قطاعات مختلفة سواء عمومية أو خاصة، وذلك من خلال ثلاثة محاور هي:

أ- التكوين والتأطير والتأهيل

ب- البحث والدراسات ( البحث العلمي والتكنولوجي )

ج- الإشراف والمشاورات والخبرة

وعلى ذلك يجب السعي إلى خلق وتمتين علاقة الجامعة بمحيطها، الذي لا يمكن أن ينجح إلا باستغلال الإمكانيات العلمية والاقتصادية المحلية. في هذا الإطار نؤكد على فكرة كون البلد تخدمه طاقاته لا غير، وهو مفتاح نجاح العلاقة خصوصاً إذا علمنا أنّ التنمية لا يعيقها عدم وجود الإمكانيات بقدر ما تعيقها أساليب استغلال هذه الإمكانيات. لهذا وجب تعبئة جميع الفاعلين المتدخلين في إطار التشارك والتضامن والتكامل، " هو التوجّه الجديد وما تؤكد عليه العولمة من قيم القدرة والكفاءة والحوار

والشراكة للانخراط في رهانات هذا النظام الكوني والمشاركة فيه، ومما لا ريب فيه أنّ امتلاك هذه القدرة لا يتمّ إلا عبر شروط كثيرة ومتعددة.<sup>28</sup>

د- المبررات السياسية : تساهم الجامعة في أغلب الأحيان في ضمان الاستقرار السياسي، والتقليل من حدّة الصراعات، وتدعيم ثقافة المشاركة السياسية، كما تعمل على نشر قيم التسامح والسلام، إضافة إلى تنمية الوعي السياسي للمواطن، والعمل على تحقيق المواطنة وتدعيم العدالة، الحرية، الديمقراطية.

هـ- المبررات الاقتصادية : تسعى الجامعة إلى تأهيل الفرد وتحسين مستواه الاقتصادي وذلك من خلال إيجاد علاقة بين التعليم والإنتاج، إضافة إلى دعم التنمية الاقتصادية داخل المجتمع.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه مع بداية عصر المعلومات تمّ تطوير فلسفة جامعية جديدة أشد ارتباطا بالثقافة العالية، والتي تنصدر الواجهة الأمامية للعلم والصناعات المستقبلية. وهنا نشير إلى التجربة التي قام بها فردترمان عميد كلية الهندسة في جامعة ستانفورد عام 1951 الذي سمّي في حينها بمنتهزه البحوث Park Research ثمّ عرف بعدئذ باسم وادي السيلكون، وهو ما يسمى اليوم بمنتهزه العلم Science Park أو مدينة العلم. أقيمت قرب جامعة ستانفورد في جنوب سان فرانسيسكو في كاليفورنيا مراكز للبحوث العلمية المتقدمة وصناعات ريادية، تعتمد على الابتكارات وعلى نتائج البحث والتطوير. وحققت هذه المنظومة تبادلا سريعا جدا للمعلومات بين الجامعة ومراكز البحوث والصناعة الريادية. وقد انتشرت هذه الفلسفة في الولايات المتحدة إذ أقيم ما يزيد عن مائة وخمسين مدينة علم حتىّ العقد الأخير من القرن الماضي.<sup>29</sup>

#### خامسا / واقع العلاقة بين الجامعة والمجتمع في الجزائر:

لقد تغيّر موقع المعرفة جذريا في المجتمع، فبعدها كان حكرا على النخبة أصبح اليوم متداولاً على نطاق واسع، وتعددت مصادر المعرفة وأصبحت مشاعة بين الأفراد، ولم تعد الجامعة أداة لنقل المعرفة الأكاديمية فقط، بل أصبحت مصدرا للقيم ومصدرا لشرعية النخبة الوطنية في كلّ دولة ، وباتت مؤسسة معرفية في أغلب دول العالم المعاصر. من أبرز ما نصت عليه نصوص إصلاح الجامعة الجزائرية في فترة السبعينيات من القرن الماضي ضمان تكافؤ الفرص للجميع مع الحفاظ على مستوى علمي لائق. وبلا شك أنّ المعارف التي تنتجها الجامعة هي قاعدة للحياة الاجتماعية

والاقتصادية، لا يتعلّق الأمر إذن بمجرد معارف وأفكار أو معلومات تتداول على نطاق الجامعة، لكن الأمر يتعلّق أساساً بقيم الحرّية والابتكار والإبداع الفكري والعلمي والتجديد المعرفي. لا يتمثل التحدي في امتلاك رصيد من المعارف فقط بل المطلوب هو إنشاء نسق وطني للابتكار والإبداع، يستند إلى منظومة كاملة من القيم والآليات والنظم والإجراءات العمليّة التي تكون الجامعة أساسها. " هذا النسق الوطني للإبداع والابتكار والتجديد والاختراع هو الضمانة الأساسية لتكوين النخبة وتراكم المعرفة ونموّها وتجديدها".<sup>30</sup> وهل الجامعة الجزائرية قادرة على أداء هذا الدور؟

إنّ المتمعن في العلاقة بين الجامعة والمجال الصناعي في الجزائر كمثال يدرك الحلقة المفقودة بين الجامعة والصناعة والاقتصاد، حيث نجد أغلب الوزارات أسست وكالات ومراكز ومعاهد تابعة لها مباشرة بهدف صناعة إطارات، وأصبح المجال العلمي والمعرفة منقسم ومجزء، مما انعكس سلباً على تطوير المعرفة وبالتالي على التنمية وتكوين ما يسمى " الفكر والمعرفة الشاملان" على المستوى الوطني ، وقد رأينا المؤسسات الجامعية تفتح مستويات تكوين دنيا في حين تنشئ المؤسسات الصناعية والإدارية والقضائية مؤسسات تكوين الإطارات ذوي المستوى الجامعي. وذلك اتجاه يستجيب تماماً لمنطق سيطرة المحيط على الجامعة بدلاً من أن تكون الجامعة قائداً للمجتمع ومنازة في محيطها المباشر أو البعيد. يحدث هذا ويستمر في عصر أصبح فيه تداول المعارف قاعدة لتداول الموارد بل شرطه الأساسي.

#### سادساً / رؤية استشرافية لتوطيد العلاقة بين الجامعة والمجتمع:

إذا عدنا إلى تعريف التنمية نجد أنّها تستوجب تجنيد كلّ طاقات ومقومات المجتمع المادية و الروحية، أي تحفيز و تفعيل الأشخاص والمؤسسات في سبيل خلق التواصل بين كلّ الأطراف الفاعلة. في هذا الإطار تدخل الجامعة لكونها مؤسسة ضمن الأطراف المعنيّة وبوصفها مكوّناً أو موجّهاً أو شريكاً أو خبيراً.

أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية إلى قلة الموارد المخصصة وتدني مستوى المناهج وعدم تحديثها، وقدم أساليب التعليم المتبعة، إضافة إلى تدني مستويات وكفاءة أداء التدريس وقلة الحوافز، بل انعدامها في غالب الأحيان. في ظل هذا الواقع كان من اللزوم

التفكير في استراتيجيات وخطط وآليات يمكن من خلالها أن تتدعم العلاقة بين الجامعة والمجتمع، لذلك نرى بأنه لا بد من :

- ربط كلّ المشاريع بالبحث العلمي.
- ضرورة وجود إرادة سياسية حقيقية للاهتمام بالجامعة كمؤسسة هامة داخل المجتمع.
- العمل على تعزيز مكانة الجامعة في أذهان المواطنين.
- غرس ثقافة عدم جدوى أي تغيير بدون جامعة ومن خلالها البحث العلمي والتكنولوجي.

- التجديد والتطوير في البرامج الجامعية في مختلف فروع المعرفة العلميّة، بمواجهة الذات والنقد الصريح لما يعانیه التعليم. فالتعليم ما هو إلا منظومة فرعية من نظام أكبر هو البنية المجتمعية، ومن ثمّ فهذه المنظومة الفرعية تصح بصحة الجسم الكبير وتمرض بمرضه، ومعنى هذا أنّ المجتمع إذا كان متخلفا فسوف تشيع علل التخلف في التعليم نفسه، سواء في الفلسفة أو الأهداف أو في التنظيم أو مناهج التعليم أو إدارته، ومن ثمّ يعمل التعليم على إعادة إنتاج مفاهيم وأساليب وقوى بشرية تركز التخلف وتعززه.

- تأسيس بنيّة تحتية قويّة من شبكة الاتصالات الحديثة وقواعد المعلومات، والتكنولوجيا لأنّ ذلك يدعم بناء نظم معرفية ذات قيمة، تسهم في إنتاج المعرفة وخدمة أفراد المجتمع. أوصلت الثورة العلميّة والتقنية وثورة الاتصالات العلم إلى أن يكون عنصر إنتاج إضافة إلى عناصر الإنتاج الأخرى، كالأرض والرأسمال والعمل والتنظيم. هذا العنصر الجديد المهم لا ينفذه إلا ذوو الكفاءة والإعداد العلمي العالي والعمل الرصين من الباحثين والمفكرين والعلماء والتقنيين المهرة. أصبحت الجامعات مصدرا لهذه الكفاءات ووسيلة لبناء قدرات وملكات أخرى في حقل العمل بالمعارف والخبرات الجديدة، مما قاد إلى توسع خدمة المجتمع كوظيفة من وظائف الجامعات.

- إعداد برامج لدعم التنمية المهنية للأستاذ الجامعي للإسهام في تحسين الأداء والقيام بالواجبات بمهنية عالية.
  - إنشاء إطار وطني للابتكار والإبداع يعتمد على منظومة كاملة من القيّم والآليات والنظم، حيث تكون مؤسسة الجامعة الركن الأساس في هذه العملية، وذلك لتوليد نخبة تكون قادرة على نشر المعرفة والقيام بالبحث والإبداع.
  - ضرورة إيجاد فضاء جامعي بشروط علمية ومادية داعمة للإنتاج، مع تحقيق التوازن بين نشر وإنتاج المعرفة وخدمة المجتمع.
  - وضع خطط استراتيجية توجه من خلالها الجامعة البحوث العلميّة لخدمة قطاعات الإنتاج وفق عقود تبرم بين الجامعات والمؤسسات الإنتاجية.
  - ربط مشاريع البحث العلمي داخل الجامعة بمؤسسات ومراكز الإنتاج، وقضايا المجتمع ومشكلاته.
  - نشر الوعي لدى أفراد المجتمع، خاصة أصحاب المشاريع الكبرى، وأرباب الأعمال، وأصحاب رؤوس الأموال بضرورة توطيد العلاقة مع الجامعة من خلال عمليّات التمويل للمشاريع البحثية الجامعية، والاستفادة من الأفكار والاختراعات التي تنجزها الجامعة.
  - تقديم الاستشارات والخدمات المناسبة وذلك من خلال شراكة فعليّة بين الجامعة والقطاعات المختلفة داخل المجتمع.
  - انتهاج سياسة وطنيّة لتسويق البحوث العلميّة والارتقاء بها لتصبح سلعة ذات قيمة لدى المجتمع.
  - التوسّع في إعداد وتنفيذ البرامج التكوينية والتثقيفية.
  - ربط مشاريع التنمية بالجامعة ومراكز البحث، ومتطلّبات سوق العمل.
  - تسهيل إجراءات البحث وإعطاء الباحثين الجامعيين كلّ الوسائل والأدوات .
  - توفير الظروف والتحفيزات أمام الباحثين .
  - فرض على كلّ المؤسسات الإنتاجية الاستعانة بالجامعة لإجراء الدراسات والبحوث في مشاكلها.
- خاتمة:**

إنّ العلاقة بين الجامعة والمجتمع في الجزائر، إذا ما استثنينا وظائف التدريس، وتخرج الطلبة، يمكن القول بأنّها تشهد حالة اللاتجسير والاتواصل، بل في

الكثير من الأحيان تتأثر الجامعة بالمجتمع، وتسود حالة العربة قبل الحصان، وأسباب ذلك متعددة وواضحة كما ذكرنا، وإصلاح وتوثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع شروطها وآلياتها واضحة لا يختلف فيها عاقلان، فهل نحن فاعلون؟ والواقع أنه يجب الخروج من جدلية أو صراع: من ينبغي أن يبادر أو يتصل، الجامعة أم المحيط (المجتمع)؟

كلاهما لا بد أن يسعى لربط العلاقة والتواصل. هي صورة لإدراك حضاري لدور وواجب الجامعة باعتبارها مصدر ومنبر البحث وبداية التنمية. يجب أن تكون الجامعة بمثابة المرآة للمجتمع، عبره تبصر كل صغيرة وكبيرة، ينبغي أن تكون منبر مناقشة كل قضاياها، ومنطلق كل الحلول وواضع كل الخطط والمشاريع والاستراتيجيات، لا أن تبقى منعزلة عن المجتمع وغير شاعرة وواعية بما يجري فيه، وغير مشتركة في حركية نموه ومسار تطوره.. بل هي منقذه وواقية من كل المخاطر.

## المراجع:

- 1- إبراهيم أحمد، السيد إبراهيم، (2008). التعليم والتنمية البشرية- خبرات عالمية (ط 1). الإسكندرية: دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر.
- 2- أحمد حسين، الصغير، (2005). التعليم الجامعي في الوطن العربي، تحديات الواقع ورؤى المستقبل. القاهرة: عالم الكتب.

- 3- أحمد عبد الفتاح ناجي، ( 2010 ). التخطيط للتنمية في الدول النامية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- 4- الفاروق زكي يونس، ( 1967 ). تنمية المجتمع في الدول النامية. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.
- 5- أندريه إيمار، جانين أوبوايه، ( 1986 ). تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان . ترجمة فريد م. داغروفؤاد ج. ابوديمان، بيروت: منشورات عويدات.
- 6- أسامة عبد الرحمن، ( 1982 ). البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية. عالم المعرفة، العدد 7، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب.
- 7- جان دريقيون، ( 1998 ). التوجيه التربوي والمهني ( ط 2 ). ( ترجمة ميشال أبي فاضل)، بيروت: عويدات للنشر والطباعة.
- 8- مليحان معيض البثي، ( 2000 ). الجامعات: نشأتها، مفهوما، وظائفها، دراسة وصفية تحليلية. المجلة التربوية، مج14، ع54، الكويت: جامعة الكويت.
- 9- محمد بن أحمد، ( 2002 ). الثقافة والتنمية في عصر العولمة، عن كتاب السياسات الثقافية من أجل التنمية في الوطن العربي. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- 10- محمد منير مرسي، ( 2002 ). الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه. القاهرة: عالم الكتب.
- 11- مصطفى محسن، ( 1999 ). التعريب والتنمية. طنجة: منشورات ، سلسلة شراع.
- 12- إسماعيل نامق ( 1998/ 11/23-26 ). نظرة في التعليم الجامعي. بحوث مؤتمر المجمع العلمي العراقي ، بغداد.
- 13- سعيد التل، ( 1997 ). قواعد الدراسة في الجامعة. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر.
- 14- سعيد إسماعيل علي، ( 1994 ). نحو صيغ تعليمية جديدة في إطار التنمية الشاملة. الكويت: جمعية المعلمين الكويتية.

- 15- عاطف عبد الله قبرصي، ( 2000 ). التنمية البشرية المستدامة في ظل العولمة ، التحدي العربي. نيويورك: سلسلة دراسات التنمية البشرية.
- 16- إسماعيل عاشور فني، الجامعة الجزائرية: أسئلة لبيدات القرن . تم استرجاعها بتاريخ 05-10-2010 من الموقع الإلكتروني.
- 17- عاشور فني. الجامعة الجزائرية : أسئلة لبيدات القرن. تم استرجاعها في 05.10.2010 من الموقع.
- 18- عبد المنعم شوقي، ( دون تاريخ النشر). تنمية المجتمع وتنظيمه. القاهرة: معهد الإدارة العامة.
- 19- فضيل دليو، الهاشمي لوكيا وميلود سفري، ( 2006 ). المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة. قسنطينة ( الجزائر): مخبر علم الاجتماع والاتصال.
- 20- رابح كعباش، ( 2007 ). سوسيولوجيا التنمية. جامعة منتوري- قسنطينة ( الجزائر ): مخبر علم اجتماع الإتصال للبحث والترجمة.
- 21- رشاد أحمد عبد اللطيف، د.ت.ن. التنمية الاجتماعية في إطار مهنة الخدمة الاجتماعية ( ط 1 ). الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- 22- خالد يوسف العمري، ( 1997 ). آفاق وتطلعات حديثة للتعليم الجامعي: منظور تربوي، مؤتمر تربية الغد. الدوحة: جامعة الإمارات كلية التربية.
- 23- تقرير التنمية الإنسانية العربية، 2003.
- 24- Eugen Pusic. ( 1992 ). social welfare and social development. New-york: Mac millan Co.
- 25- Gholamallah M. ( Sans date ). Eléments de réflexion sur L'université , sa vocation et ses fonctions . Oran: URASC ,Université D'oran .
- 26- United nations. ( Janury1991 ). Governance for sustainable human development.

- 1- عبد المنعم شوقي، ( دون تاريخ النشر). تنمية المجتمع وتنظيمه. القاهرة: معهد الإدارة العامة، ص 10.
- 2 - سعيد التل، ( 1997 )، قواعد الدراسة في الجامعة. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، ص 129.
- 3 - أندريه إيمار، جانين أوبوايه. ( 1986 ) . تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان . ترجمة فريد م. داغر وفؤاد ج. ابوديمان، بيروت: منشورات عويدات، ص 109.
- 4 - عبد المنعم شوقي، مرجع سبق ذكره، ص 07.
- 5 - إبراهيم أحمد، السيد إبراهيم. ( 2008 ). التعليم والتنمية البشرية- خيرات عالمية ( ط1 ). الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ص 10.
- 6- إبراهيم أحمد، السيد إبراهيم، نفس المرجع، ص 27.
- 7- United nations. ( Janury1991 ). Governance for sustainable human development.p-01
- 8- عاطف عبد الله قبرصي. ( 2000 ). التنمية البشرية المستدامة في ظل العولمة ، التحدي العربي. نيويورك: سلسلة دراسات التنمية البشرية، ص 29.
- 9 - رشاد أحمد عبد اللطيف، د.ت.ن. التنمية الاجتماعية في إطار مهنة الخدمة الاجتماعية ( ط1 ). الإسكندرية: دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر ، ص 8.
- 10 - رشاد أحمد عبد اللطيف، نفس المرجع، ص 10.
- 11 - أسامة عبد الرحمن. ( 1982 ). البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية. عالم المعرفة، العدد7، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 24.
- 12 - مصطفى محسن. ( 1999 ). التعريب والتنمية. طنجة: منشورات ، سلسلة شراع، ص 37.
- 13 - رشاد أحمد عبد اللطيف، مرجع سبق ذكره، ص5.
- 14 - رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 7.
- 15 - Eugen Pusic. ( 1992 ). social welfare and social development. New-york : Mac millan Co, p-09.
- 16 - رابع كعباش. ( 2007 ). سوسيولوجيا التنمية. جامعة منتوري- قسنطينة ( الجزائر): مخبر علم اجتماع الإتصال للبحث والترجمة، ص29.
- 17 - رشاد أحمد عبد اللطيف، مرجع سبق ذكره، ص 15.

- 18 - أحمد عبد الفتاح ناجي. (2010). التخطيط للتنمية في الدول النامية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص 33.
- 19 - جان دريقون. (1998). التوجيه التربوي والمهني (ط 2). (ترجمة ميشال أبي فاضل)، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ص 31.
- 20 - الفاروق زكي يونس. (1967). تنمية المجتمع في الدول النامية. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ص 283.
- 21 - مليحان معيض البيثي. (2000). الجامعات: نشأتها، مفهوما، وظائفها، دراسة وصفية تحليلية. المجلة التربوية، مج 14، ع 54، الكويت: جامعة الكويت، ص 226.
- 22 - أحمد حسين، الصغير. (2005). التعليم الجامعي في الوطن العربي، تحديات الواقع ورؤى المستقبل. القاهرة: عالم الكتب، ص 25.
- 23 - فضيل دليو، الهاشمي لوكيا وميلود سفري. (2006). المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة. قسنطينة (الجزائر): مخبر علم الاجتماع والاتصال، ص 93.
- 24 - Gholamallah M. (Sans date). Eléments de réflexion sur L'université , sa vocation et ses fonctions . Oran: URASC ,Université D'oran, p- 02.
- 25 - أحمد حسين، الصغير. مرجع سبق ذكره، ص 26-28.
- 26 - خالد يوسف العمري. (1997). آفاق وتطلعات حديثة للتعليم الجامعي: منظور تربوي، مؤتمر تربية الغد. الدوحة: جامعة الإمارات كلية التربية، ص 132.
- 27 - محمد بن أحمد. (2002). الثقافة والتنمية في عصر العولمة، عن كتاب السياسات الثقافية من أجل التنمية في الوطن العربي. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 26.
- 28 - مصطفى محسن. (1999). التعريب والتنمية: طنجة: منشورات ، سلسلة شراع، ص 11.
- 29 - إسماعيل نامق (26-11/23/1998). نظرة في التعليم الجامعي. بحوث مؤتمر المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ص 179.
- 30 - عاشور فني. الجامعة الجزائرية : أسئلة لبدايات القرن. تم استرجاعها في 2010.10.05 من الموقع.

## تقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي في ضوء مهامهم الإشرافية من وجهة نظر المعلمين.

د. نقبيل بوجمعة د. مكفس عبد المالك جامعة المسيلة

### Summary:

### الملخص:

The present study deals with evaluating the performance of the educational supervisors of the primary stage in light of their supervisory duties according to the views of the teachers. The supervising role of this group is an important element in the educational process and its development aims to improve the supervisory performance and avoid the erroneous supervisory performance and enhance the proper supervisory behavior of educational supervisors Needs to be given objective and accurate feedback on what supervisory practices are doing in primary school classrooms.

تتناول الدراسة الحالية تقويم أداء المشرفين التربويين للمرحلة التعليمية الابتدائية في ضوء مهامهم الإشرافية، بحسب آراء المعلمين، وذلك باعتبار أن الدور الإشرافي لهذه الفئة يعد عنصرا مهما في العملية التعليمية، وتطويره يهدف الى تحسين الأداء الإشرافي، وتجنب الأخطاء الإشرافية الخاطئة، وتعزيز السلوك الإشرافي السليم للمشرفين التربويين، وهذا الأمر يحتاج الى تغذية راجعة موضوعية ودقيقة. حول ما تقوم به هذه الفئة من ممارسات إشرافية داخل الصفوف الدراسية بالمدارس الابتدائية.

- إشكالية وتساؤلات الدراسة: تواجه العملية التربوية في المدرسة الكثير من المشكلات، ومن أهمها المشكلات المتعلقة بتقويم أداء المشرف التربوي، إذ أن تقويم السلوك الإشرافي لهذه الشخصية التربوية الهامة يعد من أهم المؤشرات التي لها علاقة مباشرة بسلوك المتعلمين، وعلى ذلك فإن الوصول بمستوى المعلمين إلى الإتقان والتمكين للأداء التدريسي يتطلب التحقق من زيادة فاعلية السلوك الإشرافي، وهذا يتطلب نوعا من التقويم الموضوعي الهدف منه تجنب الأخطاء الإشرافية الخاطئة، وتحسين الأداء وتعزيز كل ما هو سليم من عمل المشرف التربوي.

ونظرا لأهمية تقويم أداء المشرف التربوي وحساسيته فإن مشكلة الدراسة الحالية تتمثل في القضايا والأمور المتعلقة بأداء المشرف التربوي، خاصة وأن الكثير من أعضاء هيئة الاشراف التربوي يرفضون فكرة تقويم أدائهم لاقتصار ذلك على أسلوب واحد غالبا ما يرتبط بالمعلم في غرفة الصف، إلى جانب اعتقادهم أن فكرة التقويم تهدد مكانتهم الوظيفية وتقلل من شأنها، وبغض النظر عن رأي هذه الفئة في عملية التقويم، فإن هذه العملية توفر فرصة حقيقية وموضوعية لتحليل أداء المشرف التربوي وقياسه كوسيلة لتحسينه، ولذا فإن تقويم الأداء الإشرافي يصبح أمرا مهما ومطلبا ملحا في كل النظم التربوية الحديثة إذ يخضع أعضاء هيئة الاشراف التربوي لعمليات تقويم مستمرة وديناميكية لتحسين أدائهم وإنتاجيتهم وتطويرهم مهنيًا بما يتناسب مع أهدافهم والمهام الملقاة على عاتقهم ثم أن هذه العملية توفر معلومات لهذه الفئة ذات صلة بأدائهم الإشرافي وبمحتوى هذه العملية الإشرافية والعوائق التي تعوقها، ولقد شغلت مسألة تقويم أداء عضو هيئة الاشراف التربوي الباحثين في التربية والتعليم ولقد أشارت العديد من الدراسات إلى قصور العملية الإشرافية وإلى ضعف الممارسات الإشرافية للمشرفين التربويين وإلى اعتمادهم على أسلوب الزيارة الصفية بشكل رئيس، في حين أن هناك العديد من الأساليب والأنماط الإشرافية الحديثة لم تنل حقا من التفعيل في الميدان، رغم أهميتها القصوى في تحسين وتطوير العملية التعليمية. حيث أكدت بعض الدراسات المحلية كدراسة (مباركي بوحفص، 1993) إلى أن التقويم المطبق حاليا في المدارس الابتدائية يعتبر ضمن التقويم السيئ، وأن اتجاهات المعلمين نحو شخصية المشرف (المفتش) وطريقة تقويمه سلبية، وقد أوضحت دراسة

(حسين قرساس، 2008) أن ضعف عملية الإشراف التربوي المطبقة في مدارسنا يعود إلى ضعف كفايات المشرفين التربويين من جهة، وضعف الأساليب الإشرافية من جهة أخرى، كما أكدت دراسة (قاسم بوسعدة، 2010) على أن واقع الإشراف التربوي في بلادنا يعاني كثيرا من النقائص والمعوقات، وتعتبر أساليب الإشراف التربوي المطبقة عديمة الفاعلية وتتصف بالتمطية والارتجالية.

كذلك أنه لا توجد مصادر للمعلومات كافية لتقويم أداء المشرفين التربويين في بلادنا، ولا تؤدي إلى تقويم دقيق للممارسات الإشرافية مما يشكك في أن الأحكام المأخوذة من بعض الدراسات قد تكون غير دقيقة ولا تملك من الموضوعية للدفاع عنها، وعليه جاءت هذه الدراسة لتشارك فئة مهمة (المعلمين) في العملية التعليمية في بيان رأيها وذلك لكونها على تماس مباشر بالمشرفين التربويين وتقويم المعلمين لهم مساهمة إيجابية في تطوير أدايم وفي المساعدة على اتخاذ القرار السليم بالنسبة للجهات الوصية.

وانطلاقا من كل ما سبق يرى الباحثان استحقاق الدراسة لاستطلاع رأي المعلمين في أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

#### - السؤال الرئيسي:

س: ما مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية بحسب وجهة نظر المعلمين؟

#### - الأسئلة الفرعية:

س<sub>1</sub>: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية تبعا لمتغير المؤهل العلمي؟

س<sub>2</sub>: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية تبعا لمتغير سنوات التدريس؟

- أهمية الدراسة: يحتل الإشراف التربوي مركزا مهما في العملية التعليمية، إذ يعد من المكونات الرئيسية للنظام التربوي، لما له من تأثير في العملية التربوية وتطورها، فهو

يسعى إلى تحسين مخرجات التعليم بأبعاده المختلفة، ويتفق التربويون، على أن الهدف الأساسي للإشراف التربوي يتمثل في تحسين ممارسات المعلمين التدريسية لتحقيق الأهداف التربوية بشكل فعال<sup>(1)</sup>.

والاهتمام بالإشراف التربوي من الطبيعي أن ينعكس على المشرف التربوي لما له من فاعلية في التأثير على العملية التعليمية وتطويرها لإعداده لمواكبة التغيرات والتطورات الإدارية والإشرافية المطلوبة منه بصورة تكفل له القيام بدوره بما يحقق الأهداف التربوية.<sup>(2)</sup>

ويحتل المشرفون التربويون مركزا مهما في الأنظمة التعليمية، حيث تتجه أنظار العاملين في الحقل التربوي إليهم باعتبارهم خبراء ومتخصصين في المناهج وطرق التدريس الحديثة، وينبغي عليهم تطوير العملية التربوية وتحسينها عن طريق مساعدة المعلمين وتوجيههم نحو السبل التي تزيد فعاليتهم، ليحققوا أفضل انجاز في عملهم، وحيث أن المشرف التربوي هو المخطط والمنفذ لعملية الإشراف التربوي والموجه لنتائجه المدرسية، فقد تطور دوره لينسجم مع تغيرات العصر وحاجات التربية الحديثة التي تنظر إلى المشرف التربوي على أنه "قائد تربوي يسعى إلى تحسين العملية التعليمية التعليمية ويعمل على تطويرها،" لذا على المشرف التربوي أن يعي الأهداف التي يسعى الإشراف التربوي إلى تحقيقها والتي تعينه على إدراك مهمته ومساعدته على القيام بها على خير وجه<sup>(3)</sup>

ومن ثم فإن المشرف التربوي يعد موجها لمسار العمل التربوي، ومن ثم فإن ما قد يحدث من قصور في أداء المعلم يكون ضمن مسؤولية المشرف، إذ عليه أن يكون قائدا وموجها مبتكرا ومجددا ومعلما ومجديا وباحثا وقدوة حسنة للمعلم في كل شيء ومن هنا فإن التأكد من مستوى المشرف التربوي يبي الحرص على مستوى أداء المعلم، فإذا كنا نسعى إلى التطوير الحقيقي للمشرف التربوي فلا بد أن يخضع للتقويم من حيث مستوى الأداء.<sup>(4)</sup>

إضافة إلى ذلك فإن تقويم الأداء يساعد في تشخيص المشكلات وحلها ومعرفة نقاط القوة والضعف.<sup>(5)</sup>

ولذلك فإن عملية تقويم الأداء ضرورية للمؤسسات التعليمية وللعاملين بها لما تقدمه من دور كبير في تحديد واكتشاف مواطن القوة وتعزيزها، ومواطن الضعف والعمل على معالجتها وتجاوزها بما يحقق الأهداف المرجوة.

- أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية بحسب آراء عينة الدراسة.

- التعرف على مدى ارتباط وصف أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية بالخصائص الوظيفية لعينة الدراسة (المؤهل العلمي، سنوات التدريس)

- مصطلحات ومفاهيم الدراسة: اشتملت الدراسة على عدد من المصطلحات والمفاهيم التي تم تعريفها إجرائيا وهي كالتالي:

- تقويم الأداء (إجرائيا): عملية جميع البيانات والمعلومات الخاصة بأداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية وإصدار أحكام بهذا الأداء وبيان أوجه القوة والضعف فيه من خلال النتائج المتحصل عليها ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها المستجيب على فقرات أداة الاستبانة المعدة لهذه الدراسة.

- المهام الإشرافية (إجرائيا): هي مجموعة الأعمال الإجرائية التي يقوم بها مفتشو التعليم الابتدائي لتحسين عملي التعليم والتعلم من خلال مساعدة المعلمين على النمو المهني وتحسين أدائهم التعليمي وتقاس من خلال استجابات المعلمين على أداة الدراسة المعدة لهذا الغرض والمتضمنة المجالات التالية (الإشراف على التدريب -التطوير المهني -تطوير المناهج -العلاقات الإنسانية - القيادة -إدارة الصفوف -التقويم والاختبارات).

- مفتش التعليم الابتدائي (إجرائيا): هو الشخص المعين رسميا من قبل وزارة التربية الوطنية (المفتش التربوي للمواد المدرسة باللغة العربية بالمرحلة الابتدائية) لمساعدة المعلمين على تحسين أدائهم ونموهم المهني والعمل على تطوير العملية التعليمية لتحقيق أهدافها.

- الدراسات السابقة: يستعرض الباحثان الى بعض الدراسات ذات العلاقة بالموضوع الحالي للبحث والتي يمكن أن تخدم إشكالية البحث بصورة مباشرة أو غير مباشرة وفيما يلي عرض لهذه الدراسات.

## أولا-الدراسات العربية:

- دراسة قرساس (2008): بعنوان "تقييم عملية الإشراف التربوي المطبقة في مرحلة التعليم الابتدائي من خلال آراء المدرسين" وهدفت الدراسة إلى الكشف على واقع الإشراف التربوي الجزائري في مرحلة التعليم الابتدائي حسب آراء المدرسين ومدى احترامه لمعايير الإشراف التربوي الحديث، وتكونت عينة الدراسة من (128) معلما ومعلمة تم اختيارهم بالطريقة الطبقيّة العشوائية حيث يمثلون (15%) من مجتمع الدراسة موزعين على (06) مقاطعات تعليمية تابعة لمديرية التربية لولاية المسيلة، واستخدم الباحث استبانة مكونة (59) فقرة موزعة على (03) محاور، وأظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

- ضعف عملية الإشراف التربوي ترجع إلى ضعف الكفايات عند المشرفين التربويين في كامل مجالات الأداة.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء المعلمين في تقييمهم لعملية الإشراف التربوي ترتبط بمتغيرات الموقع الجغرافي للمدرسة والأقدمية في المهنة وكذلك بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي الا فيما يتعلق بالكفايات المعرفية والشخصية للمشرف التربوي.

- دراسة ستارك والخصاونة (2004): بعنوان "تقويم أداء المشرفين التربويين في الأردن في ضوء مهماتهم والاتجاهات الإشرافية الحديثة" وهدفت الدراسة إلى تقويم أداء المشرفين التربويين لمهامهم الإشرافية في ضوء الاتجاهات الإشرافية الحديثة من وجهة نظر مديري المدارس والمعلمين، ومعرفة أثر التغيرات التالية (الجنس والتحصيل العلمي والخبرة التعليمية)، وتكون مجتمع الدراسة من (693) مدرسة موزعة على ثلاث مناطق (عمان، إربد، الكرك) يعمل فيها (693) مديرا و(8118) معلما ومعلمة، وشملت عينة الدراسة (8 %) من مجتمع الدراسة تم اختيارهم بالأسلوب العشوائي الطبقي، وقد استخدم الباحثان ثلاث أدوات لتقويم المشرفين، الأولى من قبل المعلمين مكونة من (42) فقرة، والثانية من قبل المديرين مكونة من (42)، والثالثة في ضوء الاتجاهات الإشرافية الحديثة من قبل المعلمين والمديرين مكونة من (40) فقرة وهي عبارة عن استبيانات، وقد توصلت هذه الدراسة للنتائج التالية:

- رأى مديرو المدارس أن مستوى أداء المشرفين لازال دون مستوى الطموح، وجميع المجالات كان أداؤها متوسطا على التخطيط كان عاليا.
- رأى المعلمون أيضا أن مستوى ممارسات المهمات لازال دون مستوى الطموح المعهود، وأن جميع المجالات تمركزت عند الوسط باستثناء الإشراف على التدريب كان عاليا.
- لا زالت ممارسات المشرفين التربويين للاتجاهات الإشرافية الحديثة متوسطة متواضعة في قواعدها الأولية.
- لا توجد تأثيرات ذات دلالة إحصائية لمتغيرات الدراية (الجنس، التحصيل العلمي، الخبرة الوظيفية) بين المديرين والمعلمين في تقويم أداء المشرفين التربويين لمهامهم الإشرافية وللاتجاهات الإشرافية الحديثة.
- لا توجد تأثيرات ذات دلالة إحصائية لمتغيرات الدراية (الجنس، التحصيل العلمي، الخبرة الوظيفية) بين المديرين في تقويم أداء المشرفين التربويين لمهامهم
- دراسة الجلال (2004): بعنوان "دور المشرفين التربويين في تحسين الأداء التدريسي لمعلمي التربية الإسلامية في الأردن".
- هدفت الدراسة إلى التعرف على دور المشرفين التربويين في تحسين الأداء التدريسي لمعلمي التربية الإسلامية في الأردن
- في ضوء متغيرات الدراسة التالية: (الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي)، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته موظفا الاستبانة كأداة للدراسة، وتألفت من (87) فقرة، وتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ومعلمات التربية الإسلامية للمرحلتين الأساسية والثانوية في المدارس التابعة لمديرتي إربد الأولى والثانية والبالغ عددهم (476) معلما ومعلمة، وشملت عينة الدراسة (147) معلما ومعلمة تم اختيارهم بالأسلوب العشوائي الطبقى، وقد توصلت الدراسة للنتائج التالية:
- دور المشرفين كان متوسطا في تحسين أداء معلمي التربية الإسلامية بوجه عام.
- دور المشرفين التربويين قد تشابه في جميع جوانب العملية التعليمية التعليمية.

- دور المشرفين التربويين في مجالات الدراسة جاء مرتبا تنازليا كما يلي: النمو المعرفي والمهني للمعلم، التقويم، استراتيجيات تنفيذ الحصة، التخطيط، المحتوى التعليمي، الوسائل التعليمية، الأنشطة التعليمية.
- عدم وجود أثر دال إحصائيا لمتغيرات الجنس والخبرة والمؤهل العلمي على دور المشرفين التربويين في تحسين أداء المعلمين.
- دراسة العنزي (2003): بعنوان "مدى تحقيق المشرفين التربويين لأهداف الإشراف التربوي من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية في الكويت".
- هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تحقيق المشرفين التربويين لأهداف الإشراف التربوي من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية في الكويت، فتكونت عينة الدراسة من (527) معلما ومعلمة، استخدم الباحث استبانة مكونة من (49) فقرة، موزعة على المجالات التالية: (مجال النمو المهني، مجال المنهاج المدرسي، مجال تنظيم الموقف التعليمي، مجال توفير المواد التعليمية، مجال تقويم العملية التعليمية)، وتوصلت الدراسة إلى أن درجة تحقيق المشرف التربوي لأهداف الإشراف التربوي متوسطة، كما وجدت فروق دالة إحصائيا تعزى لمتغير الجنس والمؤهل العلمي.
- دراسة العوفي (2000): بعنوان "واقع الإشراف التربوي بمدارس التعليم العام بسلطنة عمان واتجاهات تطويره".
- هدفت الدراسة إلى تحليل واقع الإشراف التربوي بمدارس التعليم العام بسلطنة عمان من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التربويين، وكانت عينة الدراسة مكونة من (238) مشرفا ومشرفة و(270) معلما ومعلمة، واستخدم الباحث استبانة مكونة من ثلاث مجالات هي تنظيم وظائف وأساليب الإشراف التربوي، وبينت الدراسة أن درجة ممارسة أنشطة الإشراف التربوي كما يراها المشرفون التربويون تزيد عن المتوسط، بينما يرى المعلمون أن درجة ممارسة وظائف الإشراف أقل من المتوسط، ولم توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الممارسة كما يراها المشرفون التربويون تعزى لمتغير الخبرة، ولكن توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات المعلمين تعزى لمتغير الجنس لصالح الإناث والخبرة لصالح ذوي الخبرة الطويلة.
- دراسة مطر (1999): بعنوان "واقع الممارسات الإشرافية الفنية لمديري ومديرات مدارس وكالة الغوث في الخليل التعليمية كما يراها المديرون ومعلمو الصف".

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع الممارسات الإشرافية لمديري ومديرات مدارس وكالة الغوث في منطقة الخليل التعليمية وبيان أثر كل من الجنس والمؤهل العلمي والخبرة الإدارية على هذه الممارسات في ضوء معايير محددة للمجالات الإشرافية الفنية وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي استخدم استبيان مكون من (55) فقرة موزعة على سبعة مجالات وقد تكون مجتمع الدراسة من (24) مديرا ومديرة و(110) معلما ومعلمة وتكونت عينة الدراسة إلى النتائج التالية:

- وصف المديرين والمديرات لواقع الممارسات الإشرافية التي يمارسونها بأنها تتسم بدرجة عالية في جميع المجالات.
- لم يظهر أثر لمتغيري الجنس والمؤهل العلمي على تقديرات أفراد العينة. وكان من توصياتها:

- رفع كفاءة المدراء والمديرات في الممارسات الإشرافية (التقويم - التخطيط - المنهاج).

- تنظيم برامج تدريبية خاصة بالإشراف التربوي للمدراء والمديرات لإكسابهم مهارات إشرافية في الممارسات الإشرافية التي أظهرت نتائج الدراسة أنها يمارسونها لدرجة متوسطة.

- دراسة دويفر (1990): بعنوان " واقع الإشراف التربوي بدولة البحرين".

كان الهدف منها دراسة واقع الإشراف التربوي في المدرسة الثانوية بدولة البحرين، وتحديد المشكلات التي يعاني منها المعلمون في مجال الإشراف، وتكونت عينة الدراسة من (18) مشرفا و(12) معلما من المعلمين الأوائل، و(28) معلما، واستخدمت الباحثة استبانة اشتملت على خمسة محاور هي: تطوير المناهج، النمو المهني للمعلم، تطوير طرق التعليم وأساليبه، رعاية المعلم المبتدئ، متابعة تقويم التلاميذ، واتضح من النتائج:

- تباين الاستجابات حول دور المشرف التربوي في تطوير المناهج، فبينما ترتفع ارتفاعا ملحوظا بين المشرفين، وتنخفض تماما عند المعلمين، وبالنسبة لدور المشرف التربوي في تطوير النمو المهني للمعلم، يرى المعلمون أن المشرف نادرا ما يساهم في نموهم المهني.

- كما وجد أن دور المشرف التربوي لازال غير فعال في تطوير طرق التعليم وأساليبه، واتضح وجود تقارب بين آراء المشرفين والمعلمين (الأوائل) فيما يختص رعاية المشرف للمعلم المبتدأ، بينما يخالفهم المعلمون الرأي، أما بالنسبة لدور المشرف التربوي في تطوير أساليب التقويم اتضح وجود متابعة جيدة نوعا ما من قبله.

#### - ثانيا- الدراسات الأجنبية:

- دراسة كابوسو وزغلو وبالابان (Kapusuzoglu and balabanm, 2010): بعنوان "أدوار مشرفي المرحلة الأساسية في تدريب المعلمين على وظائفهم" وهدفت الدراسة إلى تعرف أدوار مشرفي المرحلة الأساسية في تدريب المعلمين على وظائفهم، وذلك من خلال آراء المعلمين والمشرفين أنفسهم، ككون مجتمع الدراسة من (297) معلما و(35) مشرفا يعملون في منطقتي بولو وديوز في تركيا، وتكونت عينة الدراسة من (152) معلما، و(26) مشرفا، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة، وأجابوا على استبانة مكونة من (48) فقرة، وأظهرت نتائج الدراسة أن المعلمين لا يعتقدون أنهم تلقوا دعما كافيا من المشرفين، لبتما رأى المشرفون أنهم أدوا أدوارهم بشكل كبير جدا.

- دراسة هيتش (Hitch,1990): هدفت للتعرف على دور المشرف التربوي في شمال كارولينا، وقد طبقت الدراسة في ثلاث مناطق تعليمية وشملت عينة الدراسة (47) مشرفا (90) معلما، وكان من نتائج الدراسة أن دور المشرف التربوي قد تحول من البيروقراطية إلى المشاركة، وأصبح ينظر للمشرفين التربويين كداعمين للمديرين والمعلمين، ولاحظ أن المناطق التعليمية، لم تقدم للمشرفين التربويين أي خدمات تطويرية تساعدهم على ممارسة دورهم الجديد.

- دراسة بيتش (Betch, 1986): هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على رؤية المعلمين، ومديري المدارس والمشرفين التربويين للخدمات الإشرافية المقدمة في المدارس (بولاية تينيسي) وكانت عينة الدراسة مؤلفة من (381) معلما، و(317) مدير مدرسة، و(278) مشرفا تربويا وقد أظهرت هذه الدراسة النتائج الآتية:

أن نظام الإشراف التربوي والخدمات الإشرافية اتصفت بالفشل، وعدم القدرة على تحقيق نتائج ملموسة، وأظهرت آراء المعلمين بأن هناك سوءا في التخطيط، وفي

الدراسات الصفية، والمؤتمرات الإشرافية الأمر الذي يجعل الإشراف التربوي عاجزا عن حل المشكلات التعليمية، مما يولد اتجاهات سلبية لدى المعلمين نحو الإشراف التربوي. - دراسة ديلورم (Delorme,1985): بعنوان "التعرف على آراء معلمي المدارس الابتدائية حول الإشراف وأساليب التقويم".

هدفت الدراسة إلى معرفة آراء معلمي المدارس الابتدائية في ولاية داکوتا الشمالية حول الإشراف وأساليب التقويم، وتكونت عينة الدراسة من (100) معلم واستخدم الباحث المنهج الوصفي مطبقا استبانة قام بإعدادها، ومن نتائج الدراسة:

- اتفاق المعلمين على أن هدف عمليتي الإشراف والتقويم هو تحسين التعليم.

- يوجد قصور في الممارسات الإشرافية الحالية تحول نحو تحقيق هذا الهدف.

- كلما زادت أعمار المعلمين قلت إيجابيات آرائهم نحو الإشراف والتقويم.

#### أهمية الدراسات السابقة بالنسبة للدراسة الحالية.

تندرج أهمية هذه الدراسات بالنسبة للدراسة الحالية فيما يلي:

- ساعدت الدراسات السابقة في تكوين تصور نظري حول الإشراف التربوي ودور المشرف التربوي فيه ومكانته وأهمية الدور الذي يؤديه بشكل عام في العملية التعليمية.

- ساعدت في توجيه الدراسة الحالية في التعرف على أهم الخصائص المنهجية والطرق اللازمة لدراسة مثل هذا الموضوع.

- ساهمت الدراسات السابقة في بناء الإطار النظري للدراسة الحالية.

- ساعدت الباحثان في تبني (الاستبانة) كأداة لجمع البيانات من عينة الدراسة.

- وجهت الباحثان إلى المراجع ذات الصلة بموضوع الدراسة الحالية.

- ساعدت الدراسة الحالية في تحديد الأساليب الإحصائية المناسبة لمعالجة

البيانات.

- ساعدت الباحثان في مناقشة وتفسير نتائج الدراسة الحالية.

- الجانب النظري للدراسة:

- مفهوم الإشراف التربوي: تباين الباحثون وخبراء التربية في الاتفاق حول تعريف محدد للإشراف التربوي وذلك تبعا لمدى فهمهم للموضوع وللتطور الملموس وللحركة المتجددة الذي شهدته مجالات التربية الناتجة عن نتائج الدراسات والأبحاث والممارسات التربوية الميدانية ولتكوين صورة بينة عن الإشراف التربوي سيتناول الباحث بعض التعريفات له وذلك لبيانها وشموليتها للوصول إلى المفهوم الملائم.

حيث عرفه الأفندي (1972) بأنه "جهود منظمة ترمي إلى مساعدة المعلم وتوجيهه وتشجيعه على تنمية ذاته."<sup>(6)</sup>

أما العالم التربوي كود (Good, 1973) فنظر إلى الإشراف التربوي على أنه الجهود المنظمة الرامية لمساعدة المعلمين حيث عرفه بأنه "جميع الجهود المنظمة التي يبذلها المسؤولون لتوفير القيادة للمعلمين والعاملين الآخرين في المجال التربوي من أجل تحسين التعليم مهنيا ويشمل ذلك إثارة النمو المهني وتطوير المعلمين واختيار وإعادة صياغة الأهداف التربوية والمواد التعليمية وأساليب التدريس وتقويم العملية التعليمية."<sup>(7)</sup>

ويرى تشارلز بوردمان الإشراف التربوي على أنه "المجهود الذي يبذل لاستشارة وتنسيق وتوجيه النمو المستمر للمعلمين في المدرسة فرادى وجماعات، وذلك لكي يفهموا وظائف التعليم فهما أحسن، ويؤديها بصورة أكثر فعالية، حتى يصبحوا أكثر قدرة على استثارة، وتوجيه النمو المستمر لكل تلميذ نحو المشاركة الذكية العميقة في بناء المجتمع الديمقراطي الحديث". (الخطيب وآخرون، 2000، ص125).

أما المساد (2007) فلقد عرف الإشراف التربوي من منظور حاجات المعلمين، على أنه "خدمة أكاديمية وتربوية يقدمها المشرف التربوي إلى المعلمين التابعين له على وجه الخصوص، وإلى المؤسسات التربوية (المدارس بكليتها كونها نظما فرعية على وجه العموم)، بأساليب إشرافية حديثة تتماشى وحركة تعليم التفكير والتفكير الإبداعي التي أخذت تتعاظم بسرعة واتساع من جهة، وبتوظيف فاعل لتقنيات التعليم ومصادر التعلم المتنوعة من جهة أخرى، وعبر تنوع اتصالي تفاعلي قائم على الود والثقة والدعم والخبرة."<sup>(8)</sup>

وجاء تعريف جودت (2010) للإشراف التربوي على أنه "عملية قيادية ديمقراطية تعاونية منظمة تعني بالموقف التعليمي بجميع عناصره من مناهج ووسائل وأساليب

وبيئة ومعلم وطالب، وتهدف إلى دراسة العوامل المؤثرة في ذلك الموقف، وتقييمها للعمل على تحسينها وتنظيمها من أجل تحقيق أفضل لأهداف التعلم والتعليم.<sup>(9)</sup> وأضاف الحبيب (1417هـ) من خلال تعريفه للإشراف التربوي، بأنه "عملية تربوية قيادية إنسانية هدفها الرئيسي تحسين عمليتي التعليم والتعلم من خلال مناخ العمل الملائم لجميع أطراف العملية التعليمية والتربوية، مع تقديم وتوفير كافة الخبرات والإمكانات المادية والفنية لنمو وتطوير جميع هذه الأطراف وما يلزمها من متابعة، وذلك وفق تخطيط علمي وتنفيذ موضوعي، بهدف رفع مستوى التعليم وتطويره من أجل تحقيق الهدف النهائي، وهو بناء الإنسان الصالح.<sup>(10)</sup>

إن مفهوم الإشراف التربوي الذي يسعى إليه الباحثون في الواقع التربوي يركز على جميع مكونات العملية التعليمية وظروفها وعواملها وتفاعلاتها في ضوء التطور والتجديد الحاصل في المجال التربوي، وعلى ضوء ما سبق يرى الباحث أن الإشراف التربوي يسعى إلى إيجاد حالة من التطوير والتغيير المنظم داخل العملية التعليمية، وذلك في أداء المعلم والتلميذ، وفي المناهج والأساليب والوسائل، وفي صياغة الأهداف وطرق التدريس والتقويم، على أن يتم ذلك في جو من القبول على أساس تعاوني، مع الاهتمام بحاجات كل الأطراف، مما سيؤدي إلى تحسين العملية التعليمية التعلمية، وتوفير تدريب متميز للأفراد، وتحقيق أفضل للأهداف الموضوعية.

- **مجالات الإشراف التربوي:** الإشراف التربوي الحديث نظام إشرافي تكاملي شمولي يهتم بجميع مكونات الموقف التعليمي بمدخلاته وعملياته ومخرجاته، وبين المدخلات والعمليات والمخرجات عناصر متعددة، ينبغي على المشرف التربوي أن يهتم بها ويقدم خدماته الإشرافية المتخصصة بشأنها، ونظرا للأهمية التي يحظى بها الجانب الفني من الإشراف التربوي، وحتى نوضح طبيعة المهمات والمسؤوليات والخدمات التي يقدمها، فقد تم تجزئة هذه المهمات ضمن مجالات أو عناصر محددة، يندرج تحتها ما يقوم به المشرف التربوي أو ما يجب أن يقوم به، ومن هذه المجالات:

- **النمو المهني للمعلمين:** يشكل النمو المهني للمعلمين واحدا من أوليات العمل الإشرافي، ذلك أن المعلم يشكل الوسيط المعرفي بين الطالب والمنهاج، وهو ينفذ الموقف التعليمي التعليمي، فإن امتلك المعلم الكفايات المطلوبة، أمكنه تحقيق النجاح في التخطيط والتنفيذ والتقويم للموقف التعليمي التعليمي بكل ما يحتويه من معارف، ومهارات،

واتجاهات، والمعارف والمهارات والاتجاهات هي نتاج الخبرة التعليمية التعلمية التي لا بد للمتعلم من اكتسابها، وعليه فالنتاج الجيد من المتعلمين مرهون تحقيقه بكفايات المعلم، ولا تتطور الكفايات ولا تتحسن إلا بالعمل الإشرافي التكاملي الموجه نحو تحقيق النمو المهني السليم للمعلمين، من خلال تحسين كفاياتهم في التخطيط والتنفيذ والتقييم للموقف التعليمي التعليمي، ومن أهم ما يقوم به المشرف التربوي في هذا المجال:

- التخطيط لتنمية مهنية متجددة ومستمرة للمعلمين.
- عقد اللقاءات بعد كل عملية توجيه بها.
- متابعة مذكرات تحضير المعلمين، وتزويدهم بتغذية راجعة هادفة.
- تشجيع وتنسيق تبادل الزيارات الصفية الهادفة بين المعلمين.
- حث المعلمين على التنوع في استراتيجياتهم التدريبية.
- عقد وتنظيم الندوات والمشاغل التربوية.
- تنفيذ زيارات صفية مبرمجة ومجدولة زمنيا.
- تبصير المعلمين بالأساليب الفاعلة لإدارة الصف.
- تبصير المعلمين بالطرق وأساليب تدريس حديثة.
- اقتراح البرامج التدريبية اللازمة للمعلمين، وتحليل واقعهم المهني، وتحديد المهارات التي يمكن تطويرها عن طريق التدريب.
- حث المعلمين على القيام بإجراء البحوث والدراسات التربوية المتخصصة.
- توفير فرص للتعرف على كيفية استخدام الوسائل التعليمية في مواقف تعليمية تعليمية.
- تعزيز جوانب القوة في أداء المعلم ويساعده على تنميتها.
- تبصير المعلمين بأساليب تحديد احتياجات الطلبة الخاصة بتحسين التحصيل<sup>(11)</sup>
- مجال التعليم والتعلم: يشكل مجال التعليم والتعلم أحد الأبعاد المهنية لعملية التدريس، ويعمل الإشراف التربوي إلى تطوير فعالية التعليم والتعلم من أجل تحسين وتطوير العملية التعليمية التعلمية بمعناها الشامل والمستمر، ومن أهم ما يقوم به المشرف التربوي في هذا المجال:

- يتعاون مع المعلم لوضع الأسس المناسبة لتصنيف الطلاب وفقا لاستعداداتهم العامة، وقدراتهم وقابلياتهم الخاصة.
- مساعدة المعلم على تنظيم غرفة الصف لضمان صحة الطلاب كالتهوية والإضاءة، واستخدام الوسائل التعليمية المناسبة للأهداف التعليمية التعلمية.
- المساعدة في وضع جدول توزيع الدروس، بما يتلاءم مع قدرات المعلمين وتخصصاتهم.
- وضع خطة فصلية، وتوزيع محتوى المنهاج والزمن<sup>(12)</sup>
- **مجال تطوير المنهاج:** يشير الوقفي (1990) الى أن دور الإشراف التربوي ومهامه في نطاق تحسين وتطوير المنهاج تكمن في قيامه بما يلي:
  - رفع مستوى المدرسة لمستوى تتحمل فيه مهمات تنفيذ المنهاج، والتعامل معه كنظام متكامل.
  - الاطمئنان من خلال زيارته الصفية، وملاحظته المباشرة للطلاب أن المنهاج يتماشى وطبيعة المتعلم من حيث مستوى تطوره المعرفي وحاجاته واهتماماته.
  - التأكد من أن مناهج التعليم الأساسي تضم كل ما يعين على تكوين قاعدة مشتركة للمواطنين جميعا، لتساعدهم على العيش المنتج في المجتمع.<sup>(13)</sup>
  - **مجال رعاية شؤون الطلبة:** تتطلب عملية الإشراف التربوي الحصول على معلومات من التلاميذ والعوامل التي تؤثر في نموهم وتعلمهم والمشكلات التي يواجهها والحاجات التي يشعرون بضرورة إشباعها، كما تتطلب الحصول على معلومات عن العوامل المنزلية والأسرية التي تؤثر في شخصية التلميذ، والصفات الجسمية والنفسية والميول والقدرات والاهتمامات وكل ما يمكن أن يؤثر في سلوك التلاميذ، ويفضل أن يكون لكل تلميذ سجل تراكمي تسجل فيه المظاهر السلوكية للطفل.
  - إن توفر معلومات عن التلاميذ يفيدنا في اختيار أساليب التدريس، وتحديد النشاطات التي يمكن عن طريقها إشباع حاجات الطلبة.<sup>(14)</sup>
- **مجال المشاركة مع المجتمع المحلي:** من أهم ما يقوم به المشرف التربوي في هذا المجال ما يلي:
  - يدعم التفاعل بين المدرسة والمجتمع.
  - يتابع الفرص المجتمعية المحلي بالإفادة من الخدمات والتسهيلات المدرسية.
  - يتقبل الملاحظات من أفراد المجتمع المحلي.

- يعمل على غرس الاتجاهات الايجابية نحو المدرسي<sup>(15)</sup>  
- **مجال التقويم:** يعتبر التقويم من أهم المجالات الرئيسية المهمة للإشراف التربوي، حيث انه من خلال التقويم يتعرف المشرف التربوي على مدى كفاية الوسائل والأساليب واستراتيجيات التدريس والتقنيات التربوية. كذلك لا بد للمشرف أن يقوم باستخدام الوسائل المناسبة للقياس، حيث تتم الفائدة في بناء خطط العمل المختلفة، كما ويعتبر التقويم وسيلة للكشف عن تحصيل التلميذ وإرشاد المعلم إلى أساليب التقويم الموضوعية.<sup>(16)</sup>

#### - الجانب الميداني للدراسة:

- **منهج الدراسة:** اعتمدت الدراسة الحالية المنهج الوصفي الذي يعد من المناهج الواسعة الاستخدام في مثل هذه الدراسات، وذلك لأنه منهج يهتم بوصف الظاهرة، وجمع الحقائق والمعلومات عنها، وتقييم هذه الظاهرة في ضوء ما ينبغي أن تكون عليه في ضوء معايير أوقيم واقتراح الخطوات التي يجب أن تكون عليها<sup>(17)</sup> وتعتمد الدراسة الحالية على هذا المنهج في وصف مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية، وكذلك وصف الفروق في هذا المستوى تبعاً لمتغيري الدراسة (المؤهل العلمي وسنوات التدريس).

- **مجتمع الدراسة:** تكون مجتمع الدراسة من (1853) معلما ومعلمة يتوزعون على (249) مدرسة ابتدائية تشرف عليها 21 مقاطعة تفتيشية تنتشر بالبلديات الجنوبية لولاية المسيلة وذلك حسب الإحصائيات الصادرة عن مديرية التربية لولاية المسيلة بتاريخ 31 أكتوبر 2014.

- **عينة الدراسة:** انسجامها مع هدف الدراسة ومن أجل انتقاء عينة ممثلة تمثيلا كاملا للمجتمع وبأسلوب المعاينة العنقودية العشوائية تم اختيار (157) معلما ومعلمة من (30) مدرسة تتوزع على (10) مقاطعات تفتيشية يشكلون نسبة (08.47%) من مجتمع للدراسة، وتعد هذه النسبة مقبولة إذ يشير زيتون (1984) أن نسبة (5% - 10%) من مفردات مجتمع البحث هي نسبة مقبولة.<sup>(18)</sup>

- **خصائص عينة الدراسة:** تتسم عينة الدراسة بعدة سمات، وخصائص في ضوء متغيرات الدراسة (المؤهل العلمي-سنوات التدريس) يمكن توضيحها فيما يلي.  
الجدول رقم (01): خصائص عينة الدراسة.

المتغير	الفئة	العدد	النسبة المئوية
المؤهل العلمي	ما قبل البكالوريا	22	14.01
	بكالوريا	27	17.19
	ليسانس	101	64.33
	ما بعد ليسانس	7	4.45
	المجموع	157	100
سنوات التدريس	أقل من 06 سنوات	51	32.48
	من 06 إلى 10 سنوات	32	20.48
	أكثر من 10 سنوات	74	47.38
	المجموع	157	100

- أداة الدراسة: لغرض تحقيق أهداف الدراسة والمتمثلة بتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية، ولأجل ذلك قام الباحثان باعتماد أداة جاهزة لقياس أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية، وذلك للملائمة هذه الأداة للدراسة الحالية وكانت كالتالي:

- أداة تقويم أداء المشرفين التربويين لمهامهم الإشرافية من قبل المعلمين، للباحثين (رياض ستراك، وفؤاد الخصاونة، 2004).

- الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة:

- صدق المحكمين: للتأكد من الأداة امن خلال صدق المحكمين قام الباحثان بعرض الصورة الأولية لها على عدد من المحكمين (أساتذة مختصين ومشرفين تربويين) وذلك بهدف معرفة آرائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم حول مجالات الأداة وفقراتها، ومدى وضوحها وترابطها، ومدى الملائمة للبيئة التعليمية الجزائرية، ومدى تحقيقها لأهداف الدراسة، وقد أجمع المحكمون على صلاحية الأداة للدراسة.

- صدق المقارنة الطرفية (الصدق التمييزي): تم حساب صدق المقارنة الطرفية للأداة، وذلك بتطبيقها على عينة استطلاعية حجمها (30 فردا)، وتم ترتيب النتائج تنازليا ثم

المقارنة بين (25 %) من الطرف الأعلى، و(25 %) من الطرف الأدنى، وذلك بحساب اختبار (ت) لعينتين مستقلتين، وتم الحصول على النتائج التالية،  
الجدول رقم (02): الإحصاء الوصفي للمقارنة الطرفية لأداة الدراسة.

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	
3.44	64.88	8	الطرف الأدنى
11.62	126.63	8	الطرف الأعلى

الجدول رقم (03): صدق المقارنة الطرفية عن طريق اختبار (ت) للفروق بين عيتين مستقلتين.

الأداة	ف	الدلالة	ت	درجة الحرية	الدلالة
	15.18	0.00	-14.40	8.21	0.00

يتضح من خلال الجدول رقم (03) أن قيمة (ت) البالغة (-14.40) عند درجة الحرية (8.21) وبمستوى الدلالة ( $\alpha = 0.00$ ) وهي أصغر من (0.05) نستنتج بأنه توجد فروق دالة إحصائية بين الطرف الأعلى والطرف الأدنى، وعند الرجوع إلى الجدول رقم (02) نلاحظ اختلافا كبيرا في متوسطي الطرفين الأعلى والأدنى، وهذا ما يمكننا من الحكم على أن الأداة تتميز بصدق تمييزي قوي يؤهلها لتحقيق أهداف الدراسة.

- **الصدق الذاتي:** حسب هذه الطريقة يكون صدق الاختبار =  $\sqrt{\frac{\text{الثبات}}{\text{الثبات}}}$ ، وحيث أننا تحصلنا على قيمة ثبات كرونباخ البالغة (0.97) وعليه يكون الصدق الذاتي للأداة الأولى مساويا لـ  $\sqrt{0.96} = 0.97$  وهذه القيمة يمكن الوثوق بها لاعتبار الأداة صادقة.

- **الثبات:** أجرى الباحثان خطوات التأكد من الثبات الأداة، وذلك بعد تطبيقه على أفراد العينة الاستطلاعية، حيث بلغت (30) فردا بطريقة التجزئة النصفية، حيث احتسبت درجة النصف الأول للأداة، وكذلك درجة النصف الثاني من الدرجات، وذلك بحساب معامل الارتباط بين النصفين، ثم جرى تعديل الطول باستخدام معادلة سييرمان براون، والجدول التالي يبين ذلك.

الجدول رقم (04): معامل التجزئة النصفية للأداة.

عدد الفقرات	معامل التجزئة النصفية
42	0.97

يتضح من خلال الجدول السابق أن معامل الثبات يقدر بـ (0.97)، وهذا يدل على أن الأداة تتمتع بدرجة مقبولة من الثبات تطمئن الباحثان إلى تطبيقها على عينة مقبولة. - **تصحيح أداة الدراسة:** اعتمد الباحثان نموذج التصحيح التالي (دائما، غالبا، أحيانا، نادرا، أبدا) وفق تدرج ليكرت الخماسي (1-2-3-4-5) على التوالي، وجميع الفقرات إيجابية التصحيح ويتم احتساب درجة كل مستجيب بجمع درجاته على كل مجال ثم جمع درجاته على كل المجالات للحصول على الدرجة الكلية للاستمارة، وتراوح الدرجة الكلية للمستجيب على الأداة بين (42 و210)، والدرجة الأقل من المتوسط النظري للأداة، والذي يساوي (126)، يعنى مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية متدني، والدرجة المساوية للمتوسط النظري السابق تعني مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية متوسط، والدرجة الأكبر من المتوسط النظري السابق تعني مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية مرتفع، ونفس التصحيح بالنسبة للمجالات، وبالنسبة للفقرات، وذلك باعتبار أن المتوسط النظري للفقرة يساوي (3).

- نتائج تقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية:

- عرض وتحليل ومناقشة نتائج السؤال الرئيسي:

س: ما مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية بحسب وجهة

نظر المعلمين؟

للإجابة على هذا السؤال قام الباحثان بحساب اختبارات للفروق عن المتوسط النظري لعينة واحدة (one sample test)، وذلك لمعرفة الفرق بين قيمة متوسط استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية، وقيمة المتوسط النظري للأداة، والمقدرة بـ (126)، وتم الحصول على النتائج التالية.

الجدول رقم (05): نتائج الإحصاء الوصفي للسؤال الرئيسي.

المجال	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التربية الابتدائية	1	يسهم في الدرس أثناء الزيارة الإشرافية بشفاافية عالية.	2.15	1.04
	2	يعقد لقاءات فردية مع المعلمين بعد الزيارة	2.23	1.29

		الإشرافية ليوحيهم بما مطلوب أداءه.			
0.75	1.50	يركز في أثناء الزيارة الإشرافية على التحضير اليومي.	3		
0.07	1.93	يطلع على الخطط السنوية للمعلمين وتفصيلاتها الشهرية واليومية.	4		
0.80	1.59	يوجه المعلمين لاستخدام طرائق التدريس المناسبة للموضوع الدراسي.	5		
1.32	3.26	يتعاون مع المعلمين في التخطيط لبرنامج الزيارة الإشرافية.	6		
3.73	12.52	<b>المجال ككل</b>			
1.20	2.49	يسهم في تحسين مستوى معرفة المعلمين في مواد تخصصاتهم عن طريق تزويدهم بالمستجدات المعاصرة في التعليم.	7	<b>التطوير المهني</b>	
1.08	1.82	يشجع المعلمين على زيادة تأهيلهم التربوي من خلال حضورهم الدورات التدريبية.	8		
1.10	2.24	يبصر المعلمين بأساليب تحديد احتياجات التلاميذ ذوي التحصيل المتدني.	9		
1.13	2.61	يوجه المعلمين بأساليب تحديد احتياجات التلاميذ الموهوبين من المواد الاثرائية.	10		
1.09	2.11	يدرّب المعلمين على استخدام وسائل تعليمية مختلفة ترتبط بالموضوع التعليمي.	11		
1.22	2.57	يشجع المعلمين على القيام بإجراء البحوث والدراسات التربوية المتخصصة.	12		
5.03	13.67	<b>المجال ككل</b>			
0.96	1.82	يبصر المعلمين بأساليب تطبيق المناهج.	13		<b>تطوير المناهج</b>
1.23	2.74	يرشد المعلمين إلى طرائق استثمار البيئة المحلية في إثراء المناهج.	14		

1.34	3.00	يسهم في وضع المناهج التربوية.	15		
1.20	3.05	يحرص على توصيل مقترحات المعلمين الخاصة بتطوير المناهج والكتب إلى الجهات المختصة.	16		
1.35	2.70	يحلل محتوى الكتاب المدرسي بكفاية.	17		
1.28	3.88	يشارك في تأليف الكتب المدرسية المقررة.	18		
5.92	16.15	<b>المجال ككل</b>			
1.41	3.41	يعمل على توثيق علاقاته مع أولياء أمور التلاميذ للإسهام في حل مشكلاتهم.	19	<b>العلاقات الإنسانية</b>	
1.42	3.06	يسهم في الاحتفالات والمناسبات التي تقيمها المدرسة.	20		
1.19	2.06	يتفهم حاجات المعلمين وظروفهم الشخصية.	21		
1.13	2.14	يختار الطرائق الإنسانية المناسبة للاتصال بالمعلمين والتواصل معهم.	22		
1.15	2.45	يسهم في معالجة بعض مشكلات الخاصة بالمعلمين.	23		
1.22	2.34	ينمي العلاقات الإنسانية بين المعلمين كافة.	24		
6.18	15.11	<b>المجال ككل</b>			
1.23	2.31	ينمي روح المبادرة والإبداع لدى المعلمين.	25		<b>القيادة</b>
0.98	1.84	يقنع المعلمين بقيمة الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها.	26		
0.95	1.83	يؤثر إيجابيا في سلوكيات المعلمين ليكونوا أكثر حرصا على تحقيق الأهداف المرجوة.	27		
1.04	2.10	يستثمر الإمكانيات الفردية للمعلمين في تطوير مستوى التلاميذ.	28		
1.09	2.08	يتميز بأداء مهامه الإشرافية بشكل يستقطب اهتمام العاملين لطريقة أدائها.	29		

1.10	2.49	ينوع في أساليب القيادة الإدارية التي يستخدمها في المواقف التربوية المختلفة.	30	
5.28	12.43	<b>المجال ككل</b>		
1.29	3.23	يجتمع مع المعلمين قبل الزيارة الإشرافية لبحث المشكلات الصفية.	31	<b>إدارة الصفوف</b>
1.19	2.30	يبصر المعلمين بالأساليب الفاعلة لإدارة الصف والتفاعل الصفّي.	32	
1.08	1.92	يلاحظ ما يقوم به المعلمون داخل الصف بمهارة عالية.	33	
1.01	1.84	يرصد التفاعل اللفظي بين المعلمين والتلاميذ داخل الصف للنهوض بالتعليم الصفّي.	34	
0.90	1.71	يعطي المعلمين توجيهات لإتباعها في الدروس اللاحقة بشأن إدارة الصف.	35	
1.06	1.93	يحترم أفكار المعلمين في حل المشكلات الصفية.	36	
5.00	12.75	<b>المجال ككل</b>		
1.02	1.83	يشجع المعلمين على استخدام التقويم الذاتي وممارسته فعليا.	37	<b>التقويم والاختبارات</b>
0.91	1.75	يوجه المعلمين لاستخدام أساليب تقويم متنوعة مع التلاميذ.	38	
1.07	2.07	يفسر المعلمين نتائج الاختبارات والدروس المستخلصة منها.	39	
1.12	2.39	يبصر المعلمين بطريقة صياغة فقرات الاختبار بصورة واضحة ومحددة.	40	
1.07	1.97	يقوم المعلمين وفقا لمعايير التقويم الموضوعية من قبل وزارة التربية.	41	
1.19	2.22	يشرح المعلمين كيفية بناء الاختبارات	42	

		التحصيلية بدلالة الأهداف التعليمية.	
5.08	11.94	المجال ككل	
30.04	94.56	المهام الإشرافية	
الخطأ المعياري للمتوسط			
2.39			

الجدول رقم (06): نتائج اختبار (ت) لعينة واحدة للسؤال الرئيسي.

المتوسط النظري يساوي 126				
الفرق في المتوسط	الدلالة	درجة الحرية	قيمة ت	
- 31.43	0.00	156	-13.11	المهام الإشرافية

من خلال الجدول رقم (05) نلاحظ أن متوسط استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية بلغ (94.56) وهذه القيمة أصغر من قيمة المتوسط النظري المقدر ب (126). كما نلاحظ أن القيم تتميز بالثبوت نسبيًا من خلال قيمة الانحراف المعياري البالغة (30.04) وهي قيمة معتبرة، من خلال قيمة الخطأ المعياري للمتوسط البالغة (2.39) وهي قيمة ضئيلة هذا ما يدل على أن قيمة المتوسط المستخرج من خلال استجابات العينة يمثل المجتمع تمثيلاً دقيقاً.

ومن خلال الجدول رقم (06) نلاحظ أن قيمة (ت) البالغة (-13.11) عند درجة الحرية (156) وبدلالة (0.00) وهي أصغر من (0.05) تدل على أن الفرق دال إحصائياً لصالح المتوسط النظري، ومنه فإن مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي متدنٍ في المهام الإشرافية.

أما من خلال الجدول رقم (05) نلاحظ أن تقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية بحسب المجالات كان بين متوسط أعلى قدره (16.15) بانحراف معياري قدره (5.92) لمجال تطوير المناهج ومتوسط أدنى قدره (11.94) بانحراف معياري (5.08) لمجال التقويم والاختبارات، وهذا يعني أن المرتبتين الأولى والسابعة كانتا من نصيب المجالين المذكورين، أما المرتبة الثانية فهي من نصيب مجال العلاقات الانسانية بمتوسط قدره (15.11) وانحراف معياري قدره (6.18)، ثم جاء مجال التطوير المهني بمتوسط قدره (13.67) وانحراف معياري قدره (5.03)، ثم تلاه بالمرتبة الرابعة مجال إدارة الصفوف بمتوسط قدره (12.75) وانحراف معياري قدره (5.00)، أما المرتبة الخامسة فكانت من نصيب مجال الإشراف على التدريب بمتوسط قدره (12.52) وانحراف معياري قدره (3.73)، تلاه بالمرتبة السادسة مجال القيادة بمتوسط حسابي قدره (12.43) وانحراف معياري قدره (5.28)، وعلى العموم، فإن جميع المجالات كان أداؤها متدنيا.

أما تقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي بحسب فقرات المجال الواحد المتوسطات تباينت من مجال لآخر، ففي مجال الإشراف على التدريب كانت المتوسطات الحسابية بين حد أعلى (3.26)، وبانحراف معياري (1.32) للفقرة (6)، وحد أدنى (1.50)، وبانحراف معياري (0.75) للفقرة (3)، ويفسر ذلك من خلال رأي الباحثين أن هناك ممارسة عالية في التعاون مع المعلمين في التخطيط لبرنامج الزيارة الإشرافية، في المقابل ممارسة متدنية في التركيز أثناء الزيارة الإشرافية على التحضير اليومي، أما باقي الفقرات فكانت ممارستها متدنية.

وبالنسبة لمجال التطوير المهني، كانت المتوسطات الحسابية بين حد الأعلى (2.61)، وبانحراف معياري (1.13) للفقرة (10)، وحد أدنى (1.82)، وبانحراف معياري (1.08) للفقرة (8)، مما يؤكد وجود ممارسة متدنية في توجيه المعلمين بأساليب تحديد احتياجات التلاميذ الموهوبين في المواد الإثرائية، كذلك ممارسة متدنية في تشجيع المعلمين على زيادة تأهيلهم التربوي من خلال حضورهم الدورات التدريبية، أما بالنسبة لباقي الفقرات (7، 9، 11، 12) جاءت ممارستها متدنية، وبقيم متقاربة، ويعود ذلك في رأي الباحثين إلى عدم الاهتمام الكافي من قبل مفتشي التعليم الابتدائي في تزويد المعلمين بالمستجدات المعاصرة في التعليم والتدريس، بما يساهم في تحسين مستوى

معارفهم، وفي تشجيع المعلمين على القيام بإجراء البحوث والدراسات التربوية، وهذا الضعف قد يسهم في اضعاف كفايات المعلمين في عملية اجراء البحوث، ويقلل من محاولاتهم في تطوير أنفسهم في مجال التعليم والتدريس، مقابل ضعف في مساعدة المعلمين على تحديد احتياجات ذوي التحصيل المتدني، وفي استخدام الوسائل التعليمية المختلفة.

أما في مجال تطوير المناهج فكان الحد الأعلى للمتوسط الحسابي(3.88) وبانحراف معياري (1.28) للفقرة (18)، وحد أدنى (1.82) وبانحراف معياري (0.96) أما باقي الفقرات فجاءت ممارساتها بقيم متقاربة، ويرى الباحثان أن المفتشين لا يمارسون فقرات هذا المجال بالفعل المطلوبة منهم في المشاركة في تحليل المناهج التربوية وتطويرها والمشاركة في تأليف الكتب المدرسية وتشجيع المعلمين على ذلك.

أما مجال العلاقات الإنسانية، فكان الحد الأعلى للمتوسطات الحسابية بين حد أعلى(3.41)، وبانحراف معياري (1.41) للفقرة (19)، وحد أدنى (2.06)، وبانحراف معياري (1.19) للفقرة (21)، وجاءت جميع فقرات هذا المجال بممارسات متدنية، ولم ترق أي منها إلى الممارسة العالية سوى الفقرتين(19،20)، ورغم أهمية هذا المجال فيرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود الى ضعف المفتشين في العلاقات الانسانية وأبعاده وأساليبه داخل المدرسة وعدم إعطاء هذا الموضوع اهتمامهم البالغ رغم أهميته في العملية الإشرافية.

وبشأن مجال القيادة فإن الحد الأعلى للمتوسطات الحسابية كان (2.49)، وبانحراف معياري (1.10) للفقرة (30)، وحد أدنى (1.83) وبانحراف معياري (0.95) للفقرة (27)، وجاءت ممارسات أغلب الفقرات هذا المجال ضعيفة. ويعزو الباحثان السبب في ذلك إلى أن مفتشي التعليم الابتدائي لا ينوعون في أساليب القيادة تبعاً للمواقف التربوية المختلفة، وهذا يعود إلى ضعف من قبلهم في ممارسة أنماط القيادة، وهذا يؤدي إلى نفور المعلمين من العملية الإشرافية وعدم التعاون الايجابي معهم.

أما مجال إدارة الصفوف فكان الحد الأعلى للمتوسطات الحسابية (3.23)، وبانحراف معياري (1.29) للفقرة (31)، وحد أدنى (1.71) بانحراف معياري (0.90) للفقرة (35)، وجاءت ممارسات أغلب الفقرات ضعيفة باستثناء الفقرة (31)، التي جاءت ممارستها عالية، ويرى الباحثان أن مفتشي التعليم الابتدائي يبحثون المشكلات الصفية مع

المعلمين، في المقابل ضعف في تبصيرهم بالأساليب الفاعلة لإدارة صفوفهم، وضعف في رصد التفاعل الصفي بين المعلمين والتلاميذ، وكذلك ضعف في إعطاء توجيهات للمعلمين بشأن إدارة الصف في الدروس اللاحقة، أي يبقى التوجيه السابق نفسه دون تجديد، مع عدم احترام آراء المعلمين في حل المشكلات الصفية، ويبقى هذا المجال بعيدا عن اهتمامات المفتشين، خاصة وأن المعلمين حديثي العهد بمهنة التعليم يحتاجون إلى المساعدة والى الخبرة في هذا المجال.

أما بشأن مجال التقويم والاختبارات، فكان الحد الأعلى للمتوسطات الحسابية (2.39) بانحراف معياري (1.12) للفقرة (40)، وحد أدنى (1.75) بانحراف معياري (0.91) للفقرة (38)، مما يؤكد وجود ممارسة متدنية في الحرص على بناء فقرات الاختبار بصورة واضحة ومحددة، كذلك ممارسة ضعيفة في توجيه المعلمين لاستخدام أساليب تقويم متنوعة مع التلاميذ، وجاءت ممارسات باقي الفقرات بمستوى ضعيف، وعموما فإن هذا المجال يشكو من وجود ضعف في متابعة مفتشي التعليم الابتدائي لنتائج التلاميذ في الاختبارات الفصلية، والقيام بتفسيرها والخروج بنتائج تساهم في اتخاذ القرار بشأن أي ضعف يتخلل تعليم التلاميذ، يمكن تجاوزه في المستقبل.

وتقترب نتيجة الدراسة الحالية من دراسة بيتش (Betch,1985) التي أشارت إلى أن نظام الإشراف التربوي والخدمات الإشرافية اتصفت بالفشل وعدم القدرة على تحقيق نتائج ملموسة، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة ديلورم (1985, Delorme) التي توصلت إلى وجود قصور في الممارسات الإشرافية في تحسين التعليم، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة دوير (1990) التي أشارت إلى انخفاض دور المشرف التربوي في تطوير المناهج وتطوير النمو المهني للمعلم، وتختلف عنها في مجال تطوير أساليب التقويم والتي أظهرت وجود متابعة جيدة نوعا ما من قبله، وتتفق مع دراسة كابوسو زوغلو و بالامان (Kapusu zoglu and balaman, 2010) التي أشارت إلى المعلمين لا يعتقدون أنهم تلقوا دعما كافيا من المشرفين، وتختلف مع دراسة العنزي (2003) والتي توصلت إلى أن درجة تحقيق المشرف التربوي لأهداف الإشراف التربوي متوسطة، وتختلف هذه النتيجة مع دراسة الجلاد (2004) والتي توصلت إلى أن دور المشرفين في تحسين أداء معلمي التربية الإسلامية كان متوسطا بوجه عام، وتختلف مع دراسة ستراك والخصاونة (2004) والتي توصلت إلى أن التقويم العام لأداء المشرفين التربويين

لمهامهم كان متوسطا، وتختلف نتيجة هذه الدراسة الحالية مع دراسة هيتش (1990), Hitch) التي توصلت إلى أنه أصبح ينظر للمشرفين التربويين كداعمين للمديرين والمعلمين، وتختلف مع دراسة مطر (1999) في وصف المديرين والمديرات لواقع الممارسات الإشرافية التي يمارسونها بأنها تتسم بدرجة في جميع المجالات.

#### - عرض وتحليل ومناقشة نتائج السؤال الفرعي الأول:

س<sub>1</sub>: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ )

بين استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية تبعا لمتغير المؤهل العلمي؟

للإجابة على هذا السؤال، قام الباحثان باستخدام تحليل التباين الأحادي (Way Avona one) لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات استجابات المعلمين على مجالات المهام الإشرافية تبعا لمتغير المؤهل العلمي، وتم الحصول على النتائج التالية. الجدول رقم (09): تحليل التباين الأحادي للفروق بين متوسطات استجابات المعلمين حول مجالات المهام الإشرافية، تبعا لمتغير المؤهل العلمي.

المجال	مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
الإشراف على التدريب	بين المجموعات	3	46.37	15.45	1.09	0.35
	داخل المجموعات	150	2115.71	14.10		
	المجموع	153	2162.08			
التطوير المهني	بين المجموعات	3	115.40	38.46	1.52	0.21
	داخل المجموعات	150	3782.20	25.21		
	المجموع	153	3897.61			

0.59	0.63	22.29	66.87	3	بين المجموعات	تطوير المناهج
		35.17	5276.47	150	داخل المجموعات	
			5343.35	153	المجموع	
0.07	2.37	89.06	267.19	3	بين المجموعات	العلاقات الإنسانية
		37.51	5627.56	150	داخل المجموعات	
			5894.76	153	المجموع	
0.04	2.78	47.52	223.58	3	بين المجموعات	القيادة
		26.80	4020.50	150	داخل المجموعات	
			4244.08	153	المجموع	
0.08	2.28	55.66	166.98	3	بين المجموعات	إدارة الصفوف
		24.35	3653.27	150	داخل المجموعات	
			3820.26	153	المجموع	
0.88	0.21	5.69	17.09	3	بين المجموعات	التقويم والاختبارات
		26.25	3937.74	150	داخل المجموعات	

			3954.83	153	المجموع	
0.14	1.85	1643.62	4930.88	3	بين المجموعات	المهام الإشرافية
		887.48	133122.52	150	داخل المجموعات	
			138053.40	153	المجموع	

يتضح من خلال الجدول رقم (09) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مجال القيادة) وذلك من خلال قيمة ف البالغة (2.78) عند درجة الحرية بين المجموعات (3) وداخل المجموعات (150) وبدلالة إحصائية (0.04) تبعاً لمتغير المؤهل العلمي. ولمعرفة لصالح من هذه الفروق قام الباحث بحساب اختبار ليفنس (Leavens test) كشرط لاختيار نوع المقارنات البعدية وتم الحصول على النتائج التالية. الجدول رقم (10): نتائج اختبار ليفنس لمجال القيادة.

المجال	اختبار ليفنس	درجة الحرية بين المجموعات	درجة الحرية داخل المجموعات	الدلالة
القيادة	2.38	3	150	0.07

يتضح من خلال النتائج المعروضة بالجدول رقم (10) أن قيمة اختبار ليفنس لمجال القيادة) البالغة (2.38) عند درجة الحرية بين المجموعات (3) وداخل المجموعات (150) غير دالة إحصائياً حيث (0.07=a) وهي أكبر من (0.05) ومنه نستنتج أن هناك تجانس في التباينات ومنه نختار اختبار المقارنات البعدية (Lsd) والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول رقم (11): نتائج المقارنات البعدية (Lsd) لمجال القيادة.

مقارنة المجموعات	فرق المتوسطات
ما قبل البكالوريا – البكالوريا	*3.08

3.50*	ما قبل البكالوريا – ليسانس
2.45	ما قبل البكالوريا – ما بعد ليسانس
0.42	البكالوريا - ليسانس
0.63 -	البكالوريا - ما بعد ليسانس
1.05 -	ليسانس - ما بعد ليسانس

يتضح من الجدول رقم (11) أن الفرق بين مجموعة ما قبل البكالوريا، ومجموعة البكالوريا كان لصالح المجموعة الأولى، وهو فرق دال، والفرق بين مجموعة ما قبل البكالوريا، ومجموعة ليسانس كان لصالح المجموعة الأولى، وهو فرق دال، والفرق بين مجموعة ما قبل البكالوريا، ومجموعة ما بعد ليسانس كان لصالح المجموعة الأولى، وما بعد ليسانس كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة البكالوريا، ومجموعة ليسانس كان لصالح المجموعة الأولى، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة البكالوريا، ومجموعة ما بعد ليسانس كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة ليسانس، ومجموعة ما بعد ليسانس كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، ونستنتج أن مجموعة ما قبل البكالوريا هي المجموعة الأكبر استجابات، تليها مجموعة البكالوريا، ثم مجموعة ما بعد ليسانس، ثم مجموعة ليسانس في المرتبة الأخيرة.

وتعني هذه النتيجة أن أصحاب المؤهل العلمي البسيط يؤيدون أن المفتش التربوي يحمل موصفات القائد، ويؤدي دوره كاملا كقائد تربوي في المدارس التي يشرف عليها، بينما أصحاب المؤهلات الأعلى يرون أنفسهم أعلى تعليما وثقافة من مفتشهم، وبالتالي فهم لا يؤيدون له هذا الدور بنفس مستوى أصحاب المؤهلات البسيطة. أما بالنسبة لباقي المجالات، ومن خلال الجدول رقم (09) نلاحظ أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في تقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي في باقي مجالات المهام الإشرافية

(الإشراف على التدريب - التطوير المهني - إدارة الصفوف - الصفوف - التقويم والاختبارات) تبعا لمتغير المؤهل العلمي.

أنا بالنسبة للمهام الإشرافية، فيتبين من خلال الجدول رقم (09) أن قيمة ف البالغة (1.85) عند درجة الحرية بين المجموعات (3)، وداخل المجموعات (150)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.14$ )، وهي أكبر من (0.05) أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في تقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية من خلال استجابات المعلمين تبعا لمتغير المؤهل العلمي.

وتعني هذه النتيجة أن المعلمين على اختلاف مؤهلاتهم العلمية متفقين ومتجانسين وينتمون إلى مجتمع واحد في تقويمهم لأداء مفتشهم ولمهامهم الإشرافية، وتعني أن المعلمين متفقين حول ممارسات مفتشهم الإشرافية في المدارس، رغم اختلاف التكوين الذي تلقوه سابقا في العديد من المؤسسات التعليمية، ورغم اختلاف مؤهلاتهم العلمية، ومدد التكوين، وقد تعود هذه النتيجة في رأي الباحثين ربما إلى أن المهمات الإشرافية التي يمارسها هؤلاء المفتشون هي واحدة، وتتسم تلك الممارسات بالمنطقية الواضحة.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الجلاد (2004) التي توصلت إلى عدم وجود أثر دال إحصائيا لمتغير المؤهل العلمي على دور المشرفين التربويين في تحسن أداء المعلمين، وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة ستراك والخصاونة (2004) التي توصلت إلى عدم وجود تأثير دال إحصائيا لمتغير التحصيل العلمي بين المعلمين في تقويم أداء المشرفين التربويين لمهامهم الإشرافية، وتتفق هذه الدراسة مع دراسة قرساس (2008) في عدم وجود فروق دالة إحصائية بين آراء المعلمين في تقييمهم لعملية الإشراف التربوي ترتبط بمتغير المؤهل العلمي، وتختلف نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة العززي (2003) التي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائية بين المعلمين لمتغير المؤهل العلمي في تحقيق المشرف التربوي لأهداف الإشراف التربوي.

- عرض وتحليل ومناقشة السؤال الفرعي الثاني:

س<sub>2</sub>: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $\alpha \geq 0.05$ ) بين استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية تبعا لمتغير سنوات التدريس؟

للإجابة على هذا السؤال قام الباحثان باستخدام تحليل التباين الأحادي ( One way Anova) لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات استجابات المعلمين على مجالات المهام الإشرافية تبعاً لمتغير سنوات التدريس. الجدول رقم (12): تحليل التباين الأحادي للفروق بين متوسطات استجابات المعلمين حول مجالات المهام الإشرافية تبعاً لمتغير سنوات التدريس.

المجال	مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
الإشراف على التدريب	بين المجموعات	2	29.03	14.51	1.03	0.35
	داخل المجموعات	153	2137.81	13.97		
	المجموع	155	2166.84			
التطوير المهني	بين المجموعات	2	233.96	116.98	4.82	0.00
	داخل المجموعات	153	3712.70	24.26		
	المجموع	155	3946.66			
تطوير المناهج	بين المجموعات	2	17.54	8.77	0.24	0.78
	داخل المجموعات	153	5462.06	35.70		
	المجموع	155	5479.60			
العلاقات الإنسانية	بين المجموعات	2	303.62	151.81	4.09	0.01

		37.05	5669.52	153	داخل المجموعات	
			5973.14	155	المجموع	
0.00	7.04	183.68	367.36	2	بين المجموعات	القيادة
		26.07	3989.11	153	داخل المجموعات	
			4356.48	155	المجموع	
0.01	4.38	105.62	211.24	2	بين المجموعات	إدارة الصفوف
		24.08	3685.49	153	داخل المجموعات	
			3896.74	155	المجموع	
0.25	1.39	36.06	72.13	2	بين المجموعات	التقويم والاختبارات
		25.87	3959.45	153	داخل المجموعات	
			4031.59	155	المجموع	
0.02	3.82	3348.13	6696.26	2	بين المجموعات	المهام الإشرافية
		876.28	134071.09	153	داخل المجموعات	
			140767.35	155	المجموع	

يتبين من خلال الجدول رقم (12)، أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مجال (التطوير المهني)، وذلك من خلال قيمة ف البالغة (4.82) عند درجة الحرية بين المجموعات (2)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.00$ ) تبعا لمتغير سنوات التدريس.

كما أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مجال (العلاقات الانسانية)، حيث بلغت قيمة ف (4.09) عند درجة الحرية بين المجموعات (2)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.01$ ) تبعا لمتغير سنوات التدريس.

كذلك يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مجال (القيادة)، وذلك من خلال قيمة ف البالغة (7.04) عند درجة الحرية بين المجموعات (2)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.00$ ) تبعا لمتغير سنوات التدريس.

أيضا يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مجال (إدارة الصفوف)، حيث بلغت قيمة ف (4.38) عند درجة الحرية بين المجموعات (2)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.01$ ) تبعا لمتغير سنوات التدريس.

أما المجالات التي لم يتضح وجود فروق فيها من خلال استجابات المعلمين على اختلاف سنوات تدريسهم، فهي (الإشراف على التدريب - تطوير المناهج - التقويم والاختبارات). أما بالنسبة للمهام الإشرافية، فيتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية، حيث بلغت قيمة ف (3.82) عند درجة الحرية بين المجموعات (2)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.02$ )، وهي أصغر من (0.05)، ومنه نستنتج أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ( $a \geq 0.05$ ) بين استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي تبعا لسنوات التدريس.

ولمعرفة لصالح من هذه الفروق في المهام الإشرافية، قام الباحثان بحساب قيمة اختبار ليفنس (Levens test) كشرط لاختيار نوع المقارنات البعدية، وتم الحصول على النتائج التالية.

الجدول رقم (13): نتائج اختبار ليفنس لمجالات المهام الإشرافية

المجال	اختبار ليفنس	درجة الحرية بين المجموعات	درجة الحرية داخل المجموعات	مستوى الدلالة
الإشراف على	0.76	2	153	0.46

التدريب				
التطوير المهني	3.44	2	153	0.03
تطوير المناهج	1.01	2	153	0.36
العلاقات الإنسانية	1.84	2	153	0.16
القيادة	5.53	2	153	0.00
إدارة الصفوف	3.42	2	153	0.03
التقويم والاختبارات	0.18	2	153	0.83
المهام الإشرافية	2.49	2	153	0.08

يتبين من خلال الجدول رقم (13) أن قيمة اختبار ليفنس لمجال (التطوير المهني) البالغة (3.44) عند درجة الحرية بين المجموعات (02)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.03$ )، وهي أصغر من (0.05)، وهي قيمة دالة إحصائية، ومنه نستنتج أن هناك عدم تجانس في التباينات، ومنه نختار المقارنات البعدية (c de dunnet)، والجدول التالي يوضح النتائج.

الجدول رقم (14): نتائج اختبار (c de dunnet) لمجال التطوير المهني

مقارنة المجموعات	فرق المتوسطات
اقل من 06 سنوات – من 06 سنوات إلى 10 سنوات	- 2.32
اقل من 06 سنوات - أكثر من 10 سنوات	- 2.70
من 06 سنوات إلى 10 سنوات - أكثر من 10 سنوات	- 0.38

يتضح من الجدول رقم (14) أن الفرق بين مجموعة (اقل من 06 سنوات)، ومجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (اقل من 06 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير

دال، ونستنتج أن مجموعة (أكثر من 10 سنوات) هي المجموعة الأكبر استجابات، تليها مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ثم مجموعة (اقل من 06 سنوات). ولمناقشة وتفسير نتيجة تقويم المعلمين لأداء مفتشيهم لمجال التطوير المهني تبعا لمتغير سنوات التدريس، فإن المعلمين على اختلاف سنوات تدريسهم غير متفقين لممارسات مفتشيهم لهذا المجال، رغم انتمائهم لمجتمع واحد، وتعني هذه النتيجة أن أصحاب الخبرة الطويلة أكثر اطلاعا على العملية الإشرافية، وأكثر معرفة لممارسات المفتش التربوي الذي يتبعونه، وعلى احتكاك أكبر به مقارنة بأصحاب الخبرتين المتوسطة والقليلة.

أما بالنسبة لمجال العلاقات الإنسانية، فنلاحظ من خلال الجدول رقم (26) أن قيمة معامل ليفنس البالغة (1.84) عند درجة الحرية بين المجموعات (02) وداخل المجموعات (153) وبدلالة إحصائية ( $a=0.16$ )، وهي قيمة أكبر من (0.05)، وغير دالة إحصائية، ومنه نستنتج أن هناك تجانس في التباينات، ومنه نختار اختبار المقارنات البعدية (Isd)، والجدول التالي يبين النتائج.

الجدول رقم (15): نتائج المقارنات البعدية (Isd) لمجال العلاقات الإنسانية.

مقارنة المجموعات	فرق المتوسطات
اقل من 06 سنوات – من 06 سنوات إلى 10 سنوات	- 2.08
اقل من 06 سنوات - أكثر من 10 سنوات	- 3.17
من 06 سنوات إلى 10 سنوات - أكثر من 10 سنوات	- 1.08

يتضح من الجدول رقم (15) أن الفرق بين مجموعة (اقل من 06 سنوات)، ومجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (اقل من 06 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير

دال، ونستنتج أن مجموعة (أكثر من 10 سنوات) هي المجموعة الأكبر استجابات، تليها مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ثم مجموعة (أقل من 06 سنوات). وللمناقشة وتفسير نتيجة استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمجال العلاقات الإنسانية تبعاً لمتغير سنوات التدريس، فإنها تشير إلى أن المعلمين على اختلاف سنوات تدريسهم غير متفقين في تقويم أداء مفتشهم، وأن لمتغير سنوات التدريس أثر واضح على تقويم ممارسات مفتشهم لمجال العلاقات الإنسانية، حيث أن أصحاب الخبر الطويلة أكثر اقتراباً من البيئة التنظيمية، وأكثر اطلاعاً، ومعرفة بممارسات مفتشهم، وأكثر احتكاكاً بهم مقارنة بأصحاب الخبرتين المتوسطة والقليلة. وبالنسبة لمجال القيادة، فنلاحظ من خلال الجدول رقم (13) أن قيمة اختبار ليفنس البالغة (5.53) عند درجة الحرية بين المجموعات (02)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.00$ )، وهي قيمة دالة إحصائية، ومنه نستنتج أن هناك عدم تجانس في التباينات، ومنه نختار اختبار المقارنات البعدية (c de dunnet) لمجال القيادة والجدول التالي يبين النتائج.

الجدول رقم (16): نتائج المقارنات البعدية (c de dunnet) لمجال القيادة.

مقارنة المجموعات	فرق المتوسطات
أقل من 06 سنوات - من 06 سنوات إلى 10 سنوات	-2.72
أقل من 06 سنوات - أكثر من 10 سنوات	-3.43
من 6 سنوات إلى 10 سنوات - أكثر من 10 سنوات	-0.71

يتضح من الجدول رقم (16) أن الفرق بين مجموعة (أقل من 06 سنوات)، ومجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (أقل من 06 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، ونستنتج أن مجموعة (أكثر من 10 سنوات) هي المجموعة الأكبر استجابات، تليها مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ثم مجموعة (أقل من 06 سنوات).

وللمناقشة وتفسير نتيجة استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمجال القيادة تبعاً لمتغير سنوات التدريس، فإنها تشير إلى أن المعلمين على اختلاف سنوات

تدريسيهم غير متفقيين في تقويم أداء مفتشيهم، وأن لمتغير سنوات التدريس أثر واضح على تقويم ممارسات مفتشيهم لمجال القيادة، حيث يرى أصحاب الخبر الطويلة أن مفتشيهم يمارسون بنود هذا المجال، وذلك لأنهم أكثر احتكاكا بمفتشيهم، وأكثر اطلاعا على ممارساتهم، وأكثر اهتماما بها مقارنة بأصحاب الخبرتين المتوسطة والقليلة.

وبالنسبة لمجال إدارة الصفوف، فنلاحظ من خلال الجدول رقم (13) أن قيمة اختبار ليفنس البالغة (3.42) عند درجة الحرية بين المجموعات (02)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.03$ )، وهي قيمة أصغر من (0.05)، وهي دالة إحصائية، ومنه نستنتج أن هناك عدم تجانس في التباينات، ومنه نختار اختبار المقارنات البعدية (c de dunnet) لمجال إدارة الصفوف والجدول التالي يبين النتائج.

الجدول رقم (17): نتائج المقارنات البعدية (c de dunnet) لمجال إدارة الصفوف.

مقارنة المجموعات	فرق المتوسطات
أقل من 06 سنوات - من 06 سنوات إلى 10 سنوات	2.21-
أقل من 06 سنوات - أكثر من 10 سنوات	2.57-
من 6 سنوات إلى 10 سنوات - أكثر من 10 سنوات	0.35-

يتضح من الجدول رقم (17) أن الفرق بين مجموعة (أقل من 06 سنوات)، ومجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (أقل من 06 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، ونستنتج أن مجموعة (أكثر من 10 سنوات) هي المجموعة الأكبر استجابات، تليها مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ثم مجموعة (أقل من 06 سنوات).

ولمناقشة وتفسير نتيجة استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمجال إدارة الصفوف تبعا لمتغير سنوات التدريس، فإنها تشير إلى أن المعلمين على اختلاف سنوات تدريسيهم غير متفقيين في تقويم أداء مفتشيهم، وأن لمتغير سنوات التدريس أثر واضح على تقويم ممارسات مفتشيهم لمجال إدارة الصفوف، حيث يرى أصحاب الخبر الطويلة أن مفتشيهم يمارسون بنود هذا المجال، وذلك لأنهم أكثر احتكاكا بمفتشيهم، وأكثر معرفة بممارساتهم وأكثر اهتماما بها مقارنة بأصحاب الخبرتين المتوسطة والقليلة.

أما بالنسبة للمهام الإشرافية، فيتين من خلال الجدول رقم (13) أن قيمة اختبار ليفنس البالغة (2.49) عند درجة الحرية بين المجموعات (2)، وداخل المجموعات (153)، وبدلالة إحصائية ( $a=0.08$ )، وهي أكبر من (0.05)، وهي قيمة غير دالة، ومنه نستنتج أن هناك تجانس في التباينات، ومنه نختار اختبار المقارنات البعدية Lsd، والجدول التالي يبين النتائج.

الجدول رقم (18): نتائج المقارنات البعدية (Lsd) للمهام الإشرافية.

مقارنة المجموعات	فرق المتوسطات
أقل من 06 سنوات - من 06 سنوات إلى 10 سنوات	12.14-
أقل من 06 سنوات - أكثر من 10 سنوات	14.56-
من 6 سنوات إلى 10 سنوات - أكثر من 10 سنوات	2.42-

يتضح من الجدول رقم (18) أن الفرق بين مجموعة (أقل من 06 سنوات)، ومجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية وهو فرق غير دال، والفرق بين مجموعة (أقل من 06 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق دال، والفرق بين مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ومجموعة (أكثر من 10 سنوات) كان لصالح المجموعة الثانية، وهو فرق غير دال، ونستنتج أن مجموعة (أكثر من 10 سنوات) هي المجموعة الأكبر استجابات، تليها مجموعة (من 06 سنوات إلى 10 سنوات)، ثم في الأخير مجموعة (أقل من 06 سنوات). ولتفسير ومناقشة نتيجة هذه الفرضية، فإنها تشير إلى أن المعلمين على اختلاف سنوات تدريسهم غير متفقين في تقويمهم لأداء مفتشيهم رغم انتمائهم لمجتمع واحد فإن اختلاف سنوات التدريس بالنسبة لهم أثر في تقويم ممارسات مفتشي التعليم الابتدائي، حيث أن أصحاب الخبرة الكبيرة على إطلاع ومعرفة واسعة بالعملية الإشرافية، وأكثر تفهماً لجهود المشرف الذي يتبعونه، وعلى احتكاك أكبر به من باقي الفئتين أصحاب الخبرتين المتوسطة، والقليلة.

وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع دراسة العوفي (2000) التي توصلت إلى وجود فروق دالة إحصائية بين المعلمين تعزى لمتغير الخبرة في تقديرات أنشطة الإشراف التربوي ولصالح ذوي الخبرة الطويلة، وتختلف نتيجة هذه الدراسة مع دراسة الجلاد (2004) التي توصلت إلى عدم وجود أثر دال إحصائية لمتغير الخبرة على دور المشرفين في تحسين أداء

المعلمين، وتختلف نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة ستراك والخصاونة (2004) التي توصلت لعدم وجود تأثير دال إحصائيا لمتغير الخبرة الوظيفية بين المعلمين في تقويم أداء المشرفين التربويين لمهامهم الإشرافية، وتختلف نتيجة هذه الدراسة مع دراسة قرساس (2008) التي أشارت إلى أنه لا توجد فروق ذات إحصائية بين آراء المعلمين في تقييمهم لعملية الإشراف التربوي ترتبط بمتغير الأقدمية في المهنة.

## استنتاج عام

- 1- مستوى أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية من وجهة نظر المعلمين متدني.
- 2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $0.05 \geq a$ ) بين متوسطات استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية تبعا لمتغير المؤهل العلمي.
- 3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ( $0.05 \geq a$ ) بين متوسطات استجابات المعلمين لتقويم أداء مفتشي التعليم الابتدائي لمهامهم الإشرافية تبعا لمتغير سنوات التدريس ولصالح مجموعة (أكثر من 10 سنوات).

## اقتراحات الباحثين:

- إجراء دراسات عن أداء المشرفين التربويين في جميع المراحل التعليمية.
  - إجراء دراسات عن أداء المصالح المشرفة عن أداء المشرفين التربويين بمديريات التربية والعمل على تطوير أداء هذه المصالح.
  - الاستفادة من هذه الدراسة في إعادة النظر بأداء المشرفين التربويين في الواقع التربوي والعمل على تطويره.
  - دعوة وزارة التربية الوطنية إلى إقرار نظام شامل لتقويم أداء كل العاملين والمصالح والمديريات سنويا واعتماد وثيقة أساسية لذلك في نظامها التربوي.
  - إشراك المشرفين التربويين بدورات تدريبية لتطوير كفاياتهم الإشرافية والإدارية.
  - ضرورة إشراك المشرفين التربويين في مؤتمرات سنوية حول الإشراف التربوي الحديث، وتفعيله في الواقع المدرسي.
  - دعوة وزارة التربية الوطنية إلى إعداد دليل الإشراف التربوي يتضمن نموذجا للإشراف التربوي، وتوصيف لمهام المشرف التربوي، والخطوات الإجرائية لتنفيذ كل مهمة ليسترشدها المشرفون في ممارستهم الإشرافية، وكذلك لتسهيل عملية تقويم أدائهم الإشرافي التربوي.
- المراجع العلمية:

### المراجع العربية:

- عايش، أحمد جميل: (2011)، تطبيقات في الإشراف التربوي، ط3، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
- الأفندي، محمد حامد: (1972)، الإشراف التربوي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
- الزعبي، فتحي إبراهيم: (1994)، تصورات المعلمين للنمط الإشرافي الفعال في مدارس محافظة إربد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- العوفي، محمد بن علي: (2000)، واقع الإشراف التربوي بالتعليم العام في سلطنة عمان واتجاهات تطويره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان.
- الجلاد، ماجد: (2004)، دور المشرفين التربويين في تحسين الأداء التدريسي لمعلمي التربية الإسلامية في الأردن، مجلة أبحاث اليرموك، مج 20، عدد 3، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- مباركي، بوحفص: (1998)، اتجاهات المدرسين والمفتشين نحو عملية الإشراف التربوي، مجلة الرواسي، مطبعة عمار قرني، باتنة، الجزائر.
- رياض، ستراك: (2004)، دراسات في الإدارة التربوية، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- ملحم، صادق: (1984)، اتجاهات مديري ومعلمي المرحلة الثانوية نحو دور المشرف التربوي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- إيمان، أبو غريبة: (2009)، الإشراف التربوي مفاهيم - واقع - آفاق، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن.
- عاهد، المقيد: (2006)، واقع الممارسات الإشرافية للمشرفين التربويين بوكالة الغوث بغزة في ضوء مبادئ الجودة الشاملة وسبل تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- عدس، أحمد عبد الحليم ومحمد، فهدى الدويك وحسين، ياسين: (1988)، الإدارة والإشراف التربوي، مطابع الايمان، عمان، الأردن.

- أحمد، ماهر: (1999)، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- قاسم، بوسعدة: (2010)، الإشراف التربوي في الجزائر، التفتيش نموذجاً، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد(4)، السنة (2010)، جامعة ورقلة، الجزائر.
- جودت، عزت عطوي: (2010)، الادارة التعليمية والإشراف التربوي أصولها وتطبيقاتها، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- حسين، قرساس: (2008)، تقييم عملية الإشراف التربوي في مرحلة التعليم الابتدائي حسب آراء المدرسين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
- الأفندي، محمد حامد: (1972)، الإشراف التربوي، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
- الخطيب، رداح والخطيب، أحمد والفرح، وجيه: (2000)، الادارة والإشراف التربوي (اتجاهات حديثة)، ط3، دار الأمل، إربد، الأردن.
- الحبيب، فهد ابراهيم: (1417هـ)، التوجيه والإشراف التربوي في دول الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
- الخطيب، إبراهيم والخطيب، أمل: (2003)، الإشراف التربوي، فلسفته، أساليبه، تطبيقاته، ط1، دار قنديل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الوقفي، راضي: (1990)، الإشراف التربوي في مرحلة التعليم الأساسي، مجلة التربية الجديدة، السنة (17)، العدد (50)، مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية، لبنان.
- إيمان، أبو غريبة: (2009)، الإشراف التربوي، مفاهيم-واقع-آفاق، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن.
- شحاتة، حسن: (2001)، البحوث العلمية والتربوية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.
- العنزي، عبد الله زامل: (2003)، مدى تحقيق المشرفين التربويين لأهداف الإشراف التربوي من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية في الكويت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

- دويفر، ليلي محمود: (1990)، واقع الإشراف التربوي بدولة البحرين، دراسات تربوية، القاهرة، عالم الكتب، مج (06)، ج(3).
- مطر، إبراهيم توفيق: (1999)، واقع الممارسات الإشرافية الفنية لمديري ومديرات مدارس وكالة الغوث في منطقة الخليل التعليمية كما يراها مديرو ومعلمو الصف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس.
- زويلف، مهدي حسن ومحمد، قاسم القريوتي: (1993)، المفاهيم الحديثة في الإدارة – النظريات والوظائف، ط3، المطابع المركزية، عمان، الأردن.
- زيتون، عايش محمود: (1984)، أساسيات الإحصاء الوصفي، ط1، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- بلال، أحمد عودة: (2009)، الإشراف في التربية الخاصة، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

#### المراجع الأجنبية:

- Kapusuzoglu, S., and Balaman, C., 2010, "Roles of primary education supervisors in training candidate teachers on job," European journal of Scientific Research, Vol, 42 N.1 2010, p114-132 .
- Hitch, C, D,1990: "A study of the roles of central office instructional, dissertation Abstracts international, 51(7) 2216-A.
- Betch, Ted, a, 1986:"The perceptions of teachers, principals and supervisor of the supervisory service in Tennessee", unpublished Dissertation New work university N, Y.
- Delorme, t, G, 1985, An Assessment of the attitudes and perceptions of selected elementary school teachers who serve native American children toward instructional supervision and evaluation (Ed. D Dissertation, the university of North Dakota, dissertation Abstracts international, 45(8), p 232
- Good, Carter, V. (1973). Dictionary of education, 3rd, New-York, p. 574.

## الهوامش

- (1) ملحم، صادق: (1984)، اتجاهات مديري ومعلمي المرحلة الثانوية نحو دور المشرف التربوي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص 25
- (2) الزعبي، فتحي إبراهيم: (1994)، تصورات المعلمين للنمط الإشرافي الفعال في مدارس محافظة إربد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص 2
- (3) عاهد، المفيد: (2006)، واقع الممارسات الإشرافية للمشرفين التربويين بوكالة الغوث بغزة في ضوء مبادئ الجودة الشاملة وسبل تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 2
- (4) عدس، أحمد عبد الحلیم ومحمد، فهمي الدويك وحسين، ياسين: (1988)، الإدارة والإشراف التربوي، مطابع الايمان، عمان، الأردن، ص 91
- (5) أحمد، ماهر: (1999)، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 321
- (6) الأندني، محمد حامد: (1972)، الإشراف التربوي، ط 1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ص 14
- (7) Good, Carter, V. (1973). Dictionary of education, 3rd, New-York, p. 57
- (8) بلال، أحمد عودة: (2009)، الإشراف في التربية الخاصة، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ص 19-20
- (9) جودت، عزت عطوي: (2010)، الادارة التعليمية والإشراف التربوي أصولها وتطبيقاتها، ط 4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 231
- (10) الحبيب، فهد ابراهيم: (1417هـ)، التوجيه والإشراف التربوي في دول الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ص 42
- (11) عايش، أحمد جميل: (2011)، تطبيقات في الإشراف التربوي، ط 3، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ص 49-50
- (12) الخطيب، إبراهيم والخطيب، أمل: (2003)، الإشراف التربوي، فلسفته، أساليبه، تطبيقاته، ط 1، دار قنديل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 72-73
- (13) الوقفي، راضي: (1990)، الإشراف التربوي في مرحلة التعليم الأساسي، مجلة التربية الجديدة، السنة (17)، العدد (50)، مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في البلاد العربية، لبنان، ص 42

(14) جودت، عزت عطوي: (2010)، الادارة التعليمية والإشراف التربوي أصولها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص 246

(15) عايش، أحمد جميل: (2011)، تطبيقات في الإشراف التربوي، مرجع سابق، ص 52

(16) إيمان، أبو غربية: (2009)، الإشراف التربوي مفاهيم - واقع - آفاق، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ص 29-30

(17) شحاتة، حسن: (2001)، البحوث العلمية والتربوية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.

، ص 85

(18) زيتون، عايش محمود: (1984)، أساسيات الإحصاء الوصفي، ط1، دار عمان للنشر والتوزيع،

عمان، الأردن، ص 19

## صعوبات الإشراف التربوي لمدير المدرسة الابتدائية من وجهة نظر المديرين قرساس الحسين جامعة المسيلة

**Abstract:** This study aimed to detect obstacles that prevent the director of a primary school task of the educational supervision as supervisor resident been chosen for this purpose composed a sample of 34 director belonging to the Directorate of Education School Where msila have been distributed a questionnaire composed of 22 paragraph represent the most important difficulties facing the Director in his supervisory .Where results concluded that the associated working conditions difficulties ranked first in terms of importance with a mean of 3.53 followed by difficulties related to relationship manager teachers with a mean of \$ 2.97 and then replaced in the third and final place constraints associated with the school principal of 2.68.

**Keywords:** difficulties-educational supervision - Director of School

**ملخص:** هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن المعوقات التي تحول دون قيام مدير المدرسة للابتدائية بمهمة الاشراف التربوي باعتباره مشرف تربوي مقيم ..وقد تم لهذا الغرض اختيار عينة مكونة من 34 مدير مدرسة تابعة لمديرية التربية بالمسيلة أين وزعت عليهم استبانة مكونة من 22 فقرة تمثل أهم الصعوبات التي تواجه المدير في عمله الاشرافي .قد توصلت النتائج إلى أن الصعوبات المرتبطة بظروف العمل جاءت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية بمتوسط حسابي قدره 3.35 ثم تلتها الصعوبات المتعلقة بعلاقة المدير بالمعلمين بمتوسط حسابي قدره 2.97 ثم حلت في المرتبة الثالثة والأخيرة المعوقات المرتبطة بمدير المدرسة بمتوسط حسابي قدره 2.68.

الكلمات المفتاحية:الصعوبات- الإشراف التربوي- مدير المدرسة الابتدائية



**Résumé:** Cette étude tend à détecter les obstacles qui empêchent le directeur de l'école primaire d'accomplir sa tâche de supervision pédagogique en tant que superviseur résident. Pour cet effet, on a choisi un échantillon composé de 34 directeur appartenant à la Direction de l'éducation de M'sila auxquels on a distribué un questionnaire composé de 22 paragraphes représentant les difficultés les plus importantes auxquelles fait face le directeur dans sa mission de supervision. Les résultats obtenus montrent que les conditions de travail viennent au premier rang en termes d'importance avec une moyenne de 3,53, suivi par les difficultés liées à Relationship Manager enseignants avec une moyenne de 2,97 tandis que les contraintes liées à au directeur lui-même viennent au dernier rang avec une moyenne de 2. 68.

**Mots-clés:** difficultés-supervision pédagogique - Directeur de l'école.

## مقدمة:

أجمعت أغلب الكتابات حول الإدارة أن العنصر البشري هو حجر الزاوية في أي منظومة حديثة . وقد أشارت غراند ميزون (Grand-Maison,1975) بالقول "إن الأنظمة صنعت من أجل الأشخاص وليس الأشخاص من أجل الأنظمة" (1) بالإضافة إلى ذلك، يقول فروم (Vroom,1983) أن "القيمة العليا من أي تنظيم اجتماعي أو اقتصادي هو الإنسان.(2)

وتعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التربوية التي تهتم بتأديب وتهذيب الأفراد ، وتتولى رعايتهم وتوجيههم علماً بأن القائم عليها والمدير لشؤونها والمخطط لأهدافها هو مدير المدرسة الذي يعتبر مدرساً متميزاً وموجهاً نافعاً يطيء السبيل لمن حوله ويرعى طلبته ويوجه الاهتمام وينظم المسار الصحيح للمدرسة

لذا فإن كل النظريات التربوية تجمع على أهمية عمله ومسئولته كرائد وقائد تربوي فذ من رواد التربية والتعليم ، بل هو أهمهم وأعظمهم مسؤولية وأكبرهم تبعية على الإطلاق .

ويلعب مدير المدرسة باعتباره مشرفاً تربوياً مقيماً في مدرسته ، دوراً هاماً في تسيير العملية التربوية وإنجاحها ، ويدعم التغيير الإيجابي وهو المسؤول عن توفير بيئة تربوية ايجابية وصحية تعمل على التطوير المهني للمعلمين وتطوير المنهاج وتحسينه وتوفير الوقت للتخطيط المشترك بين المعلمين والقيام بورشات عمل لهم وتشجيعهم على تبادل الزيارات الصفية وتنمية طاقاتهم وقدراتهم وإشراكهم بالمسؤولية والسلطة في ادارة المدرسة وتشويق التلاميذ وتحفيزهم للتعلم بتوفير الجو المناسب ، وهو المسؤول عن ايجاد الحلول السليمة للمشكلات التي تواجه العاملين معه او تلاميذ مدرسته ، وهو الموجود مع المعلمين يزورهم في فصولهم ويتابع ادايمهم وكيفية تصرفهم مع المشاكل التي تحدث في الصف وبذلك يستطيع المدير ان يلم بكل ما يتعلق بالمعلم ، ولأن مدير المدرسة هم حلقة الاتصال والتواصل بين عناصر العملية التعليمية التعلمية فهو المحور البناء الذي تبنى عليه نجاح المؤسسة التربوية.

وتؤكد كثير من الدراسات على دور المدير كقائد تربوي ، فقد قدم سلاتي (SLATER ، 1994) (3) نظرية لتطوير المدرسة ، وأظهرت كيفية إمكانية المدير في تطبيقها ، وتوصلت

دراسته هولي (HOYLE)، 1994، (4) إلى أن مدير المدرسة لكي يكون قائداً ديمقراطياً ناجحاً فينبغي أن يتحلى بالصبر والتسامح والاحترام لأنها الأركان الأساسية للديمقراطية ، بينما توصلت دراسة العاجز (1998) إلى أن النمط القيادي لدى مديري المدارس في محافظات غزة يغلب الجانب الوظيفي فيه على الجانب الإنساني. (5)

ويعتبر الإشراف التربوي ركن من أركان النظام التعليمي وأحد أهم عناصره فهو يهدف أساساً إلى تحسين العملية التعليمية وجعلها أكثر فاعلية من خلال التفاعل مع محاورها الأساسية المتمثلة في المعلم والمتعلم والمنهج.

وتنص الكثير من تعريفات الإشراف التربوي بمفهومه الحديث على أن عملية الإشراف عملية تعاونية . لا تقع مسؤوليتها فقط على المشرف التربوي لوحده بصفته المسؤول الأول على عملية الإشراف بل يتعدى ذلك إلى مدير المدرسة بصفته مشرف مقيم يرافق المعلمين طيلة الدوام الدراسي وله من الوقت ما يكفي لتقديم خدمات إشرافية تتعلق بمساعدة المعلمين وتوجيههم خاصة في مواجهة الصعوبات التي تعترضهم أثناء عملهم ولعل المعلمين الجدد هم أولى الناس بهذه المساعدة وهذا الدعم . لكن رغم ذلك كله فإن الدراسات التي أجريت على واقع الإشراف التربوي تشير إلى أن مدراء المؤسسات التعليمية ونخص بالذكر مدارس التعليم الابتدائي يهيمن على عملهم الجانب الإداري على حساب الجانب الإشرافي التربوي ، فأغلبهم لا يخصص إلا وقتاً يسيراً في القيام ببعض الزيارات إلى الفصول الدراسية التي لا تتعدى بضع دقائق يتم من خلالها تفقد الإجراءات الشكلية ككراس التحضير ومذكرات التدريس ، ودفاتر الغياب...دون أن يكون هناك إشراف بيداغوجي حقيقي .

وقد أفضت الدراسة الاستطلاعية التي قام بها الباحث من خلال استجواب بعض المدراء إلى وجود صعوبات ومعوقات مختلفة ومتعددة الجوانب تحول دون قيام المدير بعمله الإشرافي على أحسن مايرام . وقد كان ذلك مدعاة لدراسة هذا الموضوع من خلال دراسة ميدانية تهدف إلى الكشف عن هذه المعوقات وأهمها تأثيراً في العمل الإشرافي لمدير المدرسة.

#### مشكلة البحث :

إن محدودية العمل الإشرافي لمدير المدرسة مشكلة ميدانية تتضح، كما ذكر في المقدمة ، من دراسات أجريت على واقع عمل مديري المدارس . وقد استنتج الباحث من خلال

الدراسة الاستطلاعية وجود معوقات مختلفة تواجه المديرين وتصبح من مهمتهم الإشرافية . وحسب علم الباحث لم تتوفر لحد الساعة دراسات محلية تناولت هذا الموضوع وكل ما تم الاطلاع عليه من دراسات عربية تناولت العلاقة بين مدير المدرسة والمشرف كدراسة بستان وحجاج(1988) عن العلاقة بين الإشراف التربوي والإدارة المدرسية ولهذا أدرك الباحث أهمية إجراء مثل هذه الدراسة لسد الثغرة في هذا المجال (6).

#### أسئلة الدراسة :

- 1- ما معوقات العمل الإشرافي لمدير المدرسة من وجهة نظر المديرين أنفسهم؟
- 2- هل توجد فروق دالة بين إجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير المستوى العلمي؟
- 3- هل توجد فروق دالة بين إجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير الخبرة؟

#### أهداف البحث :

- التعرف على معوقات العمل الإشرافي لمدير المدرسة .
- التعرف على الفروق في تصورات أفراد العينة لهذه الصعوبات تبعاً للمستوى العلمي.
- التعرف على الفروق بين تصورات أفراد العينة تبعاً لمتغير الخبرة .

#### أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الإشراف التربوي ودوره في تطوير العملية التعليمية وتنبع كذلك من أهمية الدور الذي يلعبه مدير المدرسة في تنمية وتطوير المستوى المهني للمعلمين، ولعل أبرز ما يؤكد أهمية هذه الدراسة هو كونها الأولى - على حد علم الباحث - التي تجرى في مجال معوقات العمل الإشرافي لمدير المدرسة.

#### التعريف الإجرائي لمصطلحات الدراسة :

المعوقات: ويقصد بها الباحث هنا كل العوامل والأسباب التي تؤثر سلباً على قيام أو استمرارية العمل الإشرافي لمدير المدرسة .

العمل الإشرافي: هو مجموع الأنشطة التي يقوم بها مدير المدرسة والهادفة إلى تطوير العملية التعليمية لتحقيق أهدافها .

مدير المدرسة: هو المسؤول الأول في مدرسته وهو المشرف على جميع شؤونها التربوية والتعليمية والإدارية والاجتماعية... وهذا هو التعريف الإجرائي المقصود في هذه الدراسة.

### الإطار النظري

فقد عرف سييرن هارولد في كتابه تحسين الإشراف الفني (1953) "إن الإشراف الفني خدمة فنية تقوم على أساس من التخطيط السليم ، وتهدف إلى تحسين عمليتي التعليم والتعلم." (7)

- ووافقه ويليام (1955) في كتابه الإشراف عملية اجتماعية بأنه "خدمة فنية يقوم بها أناس مختصون وتهدف هذه الخدمة أساسا إلى دراسة جميع الظروف التي تؤثر على نمو المعلمين والى تحسين هذه الظروف ، كل ذلك بطريقة تعاونية." (8)

. وكان تعريف ا تشارلز بوردمان وآخرين(1963) أكثر شمولاً : " الإشراف التربوي هو المجهود الذي يبذل لاستثارة وتنسيق وتوجيه النمو المستمر للمعلمين في المدرسة ، فرادى وجماعات وذلك ليفهموا وظائف التعليم فهما حسنا ويؤدونها بصورة أكثر فاعلية . حتى يصبحوا أكثر قدرة على استثارة وتوجيه النمو المستمر لكل تلميذ نحو المشاركة الذكية والعميقة في بناء المجتمع الديمقراطي الحديث." (9)

كما عرفه ويلز wiles بأنه" نظام من التفاعل بين المشرف التربوي والمعلم بهدف مساعدة المعلم على تطوير ذاته."

كما عرفه الأفندي (1976) : "هو العملية التي من خلالها يتم النهوض بعملية التعليم والتعلم كليهما ،. إن معنى "أن نشرف" هو أن ننسق وأن نحرك وأن نوجه نمو المدرسين ، في إتجاه يستطيعون معه ، باستخدام ذكاء التلاميذ أن يحركوا نمو كل تلميذ ، وأن يوجهوه إلى أغنى ، وأذكى مساهمة فعالة في المجتمع ، وفي العالم الذي يعيشون فيه." (10)

وعرفه تركي رايح : "هو جوهر مسؤولية المفتش في عمله ، والمدير في مدرسته وذلك من أجل تحسين العملية التعليمية ." (11)

كما يعرف الإشراف التربوي بأنه عملية تعاونية قيادية ديمقراطية منظمة، تعنى بالموقف التعليمي التعليمي بجميع عناصره من مناهج ووسائل وأساليب وبيئة ومعلم وطالب وإدارة وتهدف دراسة العوامل المؤثرة في ذلك الموقف وتقييمها للعمل على تحسينها وتنظيمها من أجل تحقيق أهداف العملية التعليمية التعليمية. (12)

### المسؤوليات الإشرافية لمدير المدرسة:

ولكي يقوم مدير المدرسة بدوره كمشرف تربوي مقيم يتوقع منه أن يتمكن من السيطرة على مجموعة من الكفايات والمهارات التي يفترض أنها تؤدي إلى تحسين في أدائه وممارساته الإدارية والإشرافية. ومن هذه الواجبات:

- 1-1 تحسين العملية التربوية في ضوء التطورات التربوية الحديثة.
- 2- الإشراف على كافة ألوان النشاط المدرسي ووضع جدول خاص به والإشراف على برنامج التوجيه والإرشاد بالمدرسة.
- 3- حضور حصص صفية بهدف تقويم المدرسين والطلاب لإحداث أثرٍ على مناهج الدراسة ووسائل تنفيذها وطرق تدريسها لممارسة دوره الإشرافي.
- 4- توجيه العاملين بالمدرسة والطلاب في الأمور الفنية والأخلاقية.
- 5- تخطيط وتنظيم الاختبارات المدرسية والإشراف على تنفيذها ودراسة نتائجها بغرض الاستفادة منها، مع إرسال تقارير لأولياء الأمور عن نتائج التحصيل الدراسي.
- 6- تقديم التقارير الفنية والإدارية إلى السلطات التعليمية.
- 7- حضور الاجتماعات التي تعقدها الإدارة التعليمية.
- 8- التعاون مع المشرفين التربويين والإداريين بهدف تحسين العملية التربوية.
- 9- الإلمام بالمناهج المدرسية، أهدافها وأساليب تدريسها متابعة تطويرها وتطبيقها لكي يتمكن من الإشراف الفني على المعلمين وإرشادهم وتوجيههم والعمل على تطوير المناهج (13).

### أهمية دور مدير المدرسة الإشرافي:

إن دور مدير المدرسة القيادي للعمل التربوي التعليمي في المدرسة يؤكد ضرورة مساهمته بفعالية في عملية الإشراف التربوي. إن تمثيل مدير المدرسة للدور القيادي وتبنيه له تجعله يولي اهتماماً كبيراً للمسؤوليات الإشرافية إلى جانب المسؤوليات الأخرى وذلك للارتقاء بالعمل التربوي التعليمي إلى المستوى الذي يجعله محققاً للأهداف. ومن الأمور التي تبرز أهمية دور مدير المدرسة في العمل الإشرافي هو وجوده المستمر في ميدان العمل مما يؤهله لمعرفة واقع المدرسة بكل تفاصيله وكذلك المتابعة المستمرة لجهود التطوير. كما يؤهله الوجود المستمر في ميدان العمل لبناء علاقة مهنية وشخصية مع التلاميذ والمعلمين وجميع العاملين في المدرسة تساعد على إحداث التأثير المطلوب في

دافعيتهم وفعاليتهم. ولعل هناك من يشير إلى بعض الصعوبات التي تقف في وجه مدير المدرسة عند ممارسته لعمله الإشرافي مثل عدم وجود الوقت الكافي لمدير المدرسة نظراً لكثرة مسؤولياته وعدم توفر المعينات البشرية والمادية بشكل كافٍ. ومن الصعوبات التي تتردد كثيراً في هذا المجال هو عدم إلمام مدير المدرسة بالتخصصات المختلفة وخاصة عندما يتعلق الأمر بالإشراف على المعلمين في المدرسة.

بالنسبة لعدم توفر الوقت الكافي، فإنه من المعلوم أننا لا نتوقع أن يباشر مدير المدرسة بنفسه تنفيذ كافة المسؤوليات سواء كانت إدارية أو فنية. ذكر Whitaker and Thnrner(2000) أن مما يعين مدير المدرسة على تحقيق التوازن في أدائه لمسؤولياته وترتيبه لأولويات عمله هو تصنيف أعماله حتى يعرف المسؤوليات التي لا بد أن يباشرها بنفسه، والمسؤوليات التي يمكن أن يشترك مع الآخرين في تنفيذها. وتلك المسؤوليات التي ينبغي أن يفوضها للآخرين.(14)

ويقول في ذلك بطاح(1991): "إن مدير المدرسة ليس هو المسؤول الوحيد عن العمل في المدرسة، خصوصاً أنه يستطيع أن يفوض بعض سلطاته إلى الآخرين من العاملين في المدرسة".(15). أما بالنسبة لصعوبة عدم إلمام مدير المدرسة بالتخصصات المختلفة التي تدرس في مدرسته وذلك عند إشرافه على المعلمين، فإن حقيقة شمولية عملية الإشراف وتعدد جوانبها تجعلنا ندرك أن هذه الصعوبة تتعلق بجزئية من العمل الإشرافي، هذه الجزئية هي تنمية المعلمين وتقييمهم في مجال تخصصهم. مدير المدرسة هنا له مجال واسع في تنمية المعلمين في جوانب أخرى غير التخصص مثل ضبط الصفوف وإدارتها وإثارة تفاعل التلاميذ. وبناء علاقات إيجابية مؤثرة مع التلاميذ. بالإضافة إلى هذا، المجال أيضاً واسع أمام المدير في العمل الإشرافي في محاور أخرى مثل التلاميذ والمنهج والبيئة المدرسية (16)

## 2-5- معوقات الإشراف التربوي:

يرى محمد عبد القادر أنه توجد معوقات تعيق عملية الإشراف التربوي وذكر منها (17)

### 2-5-1 معوقات بيداغوجية:

#### 1- الإزدواجية في توجهات المشرفين وأرائهم:

ويخص هذا الأمر المعلمين المتكونين في كليات التربية ، فما يتلقونه في هذه الكليات من تربية عملية لا يطابق ما يجدونه في الميدان ويرجع ذلك إلى اختلاف النظري عن التطبيقي .

#### ب- غياب المعلم المتعاون:

إن المعلم المبتدئ يحتاج إلى من يوجهه ويرشده باستمرار ، ويجب عن أسئلته واستفساراته الكثيرة ، بيد أن المشرف التربوي لا يستطيع أن يستوفي هذه المهمة على أكمل وجه نظرا لوجود أعداد كبيرة مثلا من المعلمين المبتدئين والذين يحتاجون جميعهم للتوجيه المستمر أو نظرا لظروف ينشغل فيها المشرف عن هذه المهمة نتيجة العبء الوظيفي . ففي هذه الحالة يمكن للمعلم المتعاون وهو معلم خبير وذو كفاءة أن يقوم بهذه المهمة وعدم وجود هذا الأخير يعيق عملية الإشراف التربوي .

#### ج- عدم تفرغ الطالب المعلم:

فإلى جانب التربية العملية يدرس الطالب المعلم مقررات نظرية أخرى يمتحن فيها في آخر السنة مما يجعله يولي لها أهمية أكبر على حساب التكوين التطبيقي أو الميداني . كما أسهب الحبيب في ذكر معوقات الإشراف التربوي وقسمها إلى أربعة أصناف: معوقات إدارية، معوقات فنية ، معوقات اجتماعية وأخيرا معوقات إقتصادية. (18)

### 2-5-2 المعوقات الإدارية :

- 1- كثرة الأعباء الإدارية على المشرف التربوي وعلى المعلم.
- 2- قلة الدورات التدريبية للمشرفين التربويين والمعلمين.
- 3- ضعف قدرة مديري المدارس على ممارسة الإشراف التربوي:
- 4- قلة أعداد المشرفين نسبة لعدد المعلمين.
- 5- غياب معايير اختيار المعلمين الأكفاء.
- 6- تدريس المعلمين مواد غير تخصصهم.
- 7- عدم توافر الأماكن اللازمة لعقد الاجتماعات والبرامج.

- 8- عدم تزويد المدارس بالوسائل المساعدة للإشراف التربوي.
  - 9- قصور التعاون بين المشرف التربوي ومدير المدرسة.
  - 10- تدمير بعض المديرين من التحاق المعلمين بدورات في أثناء العمل الرسمي.
  - 11- دمج الإشراف التربوي والإداري.
  - 12- عدم كفاية الوسائل اللازمة لرصد نشاطات الزيارات الصفية.
  - 13- ضعف الوعي بمسئولية العمل لدى بعض المشرفين التربويين والمديرين والمعلمين.
- 2-5-3 معوقات اقتصادية :**

1. قلة توفر الوسائل التعليمية اللازمة لعمليتي التعليم والتعلم.
2. قلة وجود حوافز مادية للمشرفين وللمعلمين.
3. قلة توافر المكتبات ( أو قلة الكتب ) في المدارس وقد ساعد ذلك على عدم الاهتمام بالقراءة ومتابعة الجديد سواء بين الطلاب أو بين المعلمين بل أن من المعلمين من لا يغير النشرات التربوية أي عناية أو اهتمام مع أنها أفضل الأساليب الإشرافية وأبلغها.

#### **2-5-4 معوقات فنية :**

1. عدم تنفيذ بعض المعلمين لتوجيهات المشرف التربوي.
2. ضعف كفاية المعلم أ المشرف القليل من المشرفين التربويين يوجد عنده ضعف في المعلومات أو الشخصية أو التصرف مع المواقف الطارئة أو الخبرة ومثل هذا موجود بين المدرسين بل قيل إن بعض المدرسين دون الكفاية الكيفية وأنهم معلمو ضرورة.
3. ضعف انتماء المعلم إلى المهنة.
4. اكتظاظ الطلاب في الصفوف الدراسية .
5. عدم مشاركة المعلمين في التخطيط التربوي لعمليتي التعليم والتعلم .
6. ضعف النمو المهني للمعلم حيث يوجد بين صفوف المعلمين نوعيات يحتاجون إلى صبر وقيادة تربوية متأنية وحازمة.
7. صعوبة المناهج.
8. عدم دقة أساليب التقويم التربوي الممارس.
9. عدم قناعة المعلم بتوجيهات المشرف.

10. عدم تنوع أساليب الإشراف التربوي.

### 2-5-5 معوقات اجتماعية:

البيئة المدرسية غير الملائمة أحيانا مثلا وجود المباني المستأجرة التي لا توفر أدوات الأمن والسلامة بها وعدم توافر المعامل والمختبرات اللازمة وعدم توافر الساحات الكبيرة للممارسة الأنشطة الرياضية وعدم توفر المسارح للأنشطة الثقافية والمسرحية.

### 2-5-6 معوقات شخصية :

1. عدم قدرة بعض المشرفين والمديرين على اتباع الأساليب القيادية المناسبة.
2. ضعف العلاقة بين كل من المشرفين والمديرين والمعلمين.
3. ظهور بعض المشاكل الشخصية وتأثيرها على العمل أحيانا.

### الدراسات السابقة:

قام **حجازي** (2006) بدراسة هدفت إلى معرفة درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية الخاصة في الأردن للأدوار الإشرافية من وجهة نظر المدرسين حيث تكونت عينة الدراسة من ( 300 ) معلم ومعلمة وتوصلت نتائجها إلى أن درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية الخاصة في الأردن للأدوار الإشرافية من وجهة نظر المعلمين كانت عالية ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة ممارسة مديري المدارس الثانوية للأدوار الإشرافية من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغيرات الجنس، والمؤهل العلمي والخبرة التعليمية(19)

وأجرت **هايرت** ( Hibert, 2000 ) دراسة بعنوان "مدير المدرسة كمشرف مقيم تهدف إلى إعطاء وصف عن واقع مهام مديرة المدرسة كمشرفة مقيمة تجاه الهيئة الإدارية والتعليمية والطلاب في ثانوية سانتامونيكا في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة وتهدف الباحثة أيضاً لإعطاء وصف لطرق معالجة المشكلات الإدارية والتربوية التي واجهت مديرة المدرسة ومساعدتها داخل المدرسة، وكان من أهم نتائج الدراسة أن من مهام مديرة المدرسة كمشرفة مقيمة إشراك الهيئة الإدارية والتعليمية في حل المشكلات الإدارية والتربوية التي تواجه المدرسة من خلال عقد اجتماع أسبوعي بشكل منتظم معهم لمعالجة تلك المشكلات، وأيضاً تنمية روح الدعاية والتشجيع والتعزيز لدى العاملين بالمدرسة للتغلب على المشكلات التي تواجهها، وكذلك ومن مهامها داخل المدرسة تقديم مصلحة الطلاب على جميع الاعتبارات.درجة ممارسة مديري المدارس لمهامهم الإشرافية من وجهة نظر المعلمين في الأردن.(20)

وأجرى آن بيتر سون ( ann,Peterson, 1999)دراسة بعنوان " منظور المديرين والمعلمين للتطوير المهني في المدارس،" شارك في هذه الدراسة ( 16 ) معلماً مع مديرهم من أربع مدارس أساسية في أمريكا وتوصلت الدراسة إلى أن للمديرين تأثيراً على التطوير المهني للمعلمين، وأن للمديرين تأثيراً مباشراً على الزمالة مع المعلمين ولابد من إشراك المعلمين في عملية صنع القرار.(21)

وقام اليحمدي(1998) بدراسة بعنوان مدى ممارسة مديري المدارس الإعدادية والثانوية في سلطنة عمان لدورهم كمشرفين تربويين مقيمين وقد تألفت عينة الدراسة من (70)مديراً ومديرة مدرسة إعدادية وثانوية و ( 584 )معلماً ومعلمة تم اختيارهم بطريقة عشوائية وتوصلت النتائج إلى إن أكثر الممارسات الإشرافية التربوية ممارسة من قبل مديري المدارس الإعدادية والثانوية هي:القيام بالزيارات الصفية للمعلمين: متابعة عملية تحضير المعلمين لدروسهم: متابعة مدى التزام المعلمين بأخلاقيات مهنة التدريس وإن أقل المهام الإشرافية التربوية ممارسة من قبل مديري المدارس الإعدادية والثانوية هي:توجيه المعلمين إلى مراجع تربوية تساعدهم على النمو المهني: مساعدة المعلمين على تحليل وحدات دراسية مقررّة بغرض تحسين عملية تدريسها. المساهمة في إجراء البحوث التربوية: تدريب المعلمين على كيفية إعداد واستخدام الوسائل التعليمية: هذا وأشارت نتائج الدراسة أيضاً إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى ممارسة مديري المدارس الإعدادية والثانوية لمهام دورهم كمشرفين مقيمين تعزى للمتغيرات التالية" الخبرة الإدارية، حجم المدرسة، مدى اكتمال الهيئة الإدارية بالمدرسة."(22)

وأجرى الحوراني (1993) دراسة بعنوان "واقع الممارسات الإشرافية الفنية لمديري ومديرات المدارس الثانوية الأكاديمية الحكومية في مديرتي التربية الأولى والثانية لمنطقة عمان الكبرى كما يراها المديرون والمعلمون" وقد تألفت عينة الدراسة من 45 مديراً و 55 مديرة وشكلوا ما نسبته % 95 من مجتمع الدراسة الكلي ومن 400 معلم ومعلمة من معلمي المرحلة الثانوية ودلت النتائج التي توصل لها الباحث وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس لصالح الإناث، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للخبرة الإدارية، (23)

وفي الدراسة التي أجراها بيرى (Perry, 1993) بعنوان " مقارنة بين الأساليب التي يمارسها المديرون في الإشراف على المعلمين " تم توضيح الفرق بين المديرين الذكور والمديرات الإناث

من خلال الإشراف على خمس من المعلمات الإناث وخمسة من المعلمين الذكور حيث كان واحد من المديرين يعقد مؤتمراً فردياً بمعدل (20) مرة بعد الزيارات الإشرافية، وأظهرت نتائج التحليل إلى أن أربعاً من الإناث ومدير واحد كانوا قادرين على الاحتفاظ بالعلاقات الشخصية مع متابعة العمل الرسمي التعليمي في الوقت نفسه، وركزت المديرات على جو الزمالة خلال الاجتماعات بعيداً عن الفوقية في التعامل وأظهرت النتائج أن المعلمين الذكور ركزوا على التقييم(24).

وفي دراسة كيلي (Kelly, 1992) بعنوان أساليب الإشراف التربوي لمديري المدارس أساليب الإشراف أوصى الخبراء بأن يتم الإشراف على المعلمين طبقاً للفروق الفردية وقد طبقت هذه الدراسة على (122) مديراً تم اختيارهم عشوائياً وتم معالجة النتائج في ضوء متغيرات الجنس ومستوى المدرسة وسنوات الخبرة ومن أهم النتائج مايلي: إن أسلوب الإشراف السائد لما نسبته % 94 من المديرين كان أسلوباً داعماً مساعداً. إن نسبة % 66 من المديرين كان يجب عليهم زيادة حصيلتهم من الأساليب الإشرافية. وأوصت الدراسة بالاستمرار في برامج التطوير المهني لمديري المدارس من أجل تحسين الأساليب الإشرافية وتقوية أداء المعلمين.(25)

وأجرى الفواعرة (1990) دراسة تحت عنوان " دور مدير المدرسة الثانوية كمشرف تربوي مقيم في مدارس لواء عجلون" وهدفت إلى معرفة توفر الخدمات الإشرافية التي يقدمها مدير المدرسة الثانوية لمعلميه في مدارس لواء عجلون تكون مجتمع الدراسة من (20) مديراً ومديرة و (384) معلماً ومعلمة وقد استخدم الباحث درجة م 466 قائمة الخدمات الإشرافية التي طورها الباحث عبد الله (1982) بعد أن قام بإعادة صياغتها وتأكد من صدق وثبات الدراسة وتوصل لعدة نتائج منها: إن العمل الإشرافي الذي يقوم به مدير المدرسة هو بدرجة متوسطة ومنخفضة على مستوى المجالات الفرعية وبدرجة منخفضة على مستوى المجالين الرئيسيين تحديد عدد من الصعوبات والمشكلات التي تواجه مدير المدرسة عند ممارسته للقيام بدوره كمشرف.(26)

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من 34 مدير مدرسة إبتدائية تم اختيارهم بطريقة مقصودة تبعاً لمتغيرات الدراسة وهي المستوى العلي ، والخبرة في الإدارة المدرسية .

توزيع العينة حسب المستوى العلمي:

جدول (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير المستوى العلمي

النسبة المئوية	العدد	
40.63%	15	مستوى نهائي وأقل
59,37%	19	مستو جامعي وأعلى
100%	34	المجموع

يبين الجدول (1) توزيع أفراد العين حسب المستوى العلمي ويتضح جليا أن أصحاب الشهادات الجامعية (ليسانس ودراسات عليا) هم الأغلبية بنسبة ناهزت 60% وهو مؤشر يدل على بداية هيمنة هذه الفئة نتيجة فتح المجال لأصحاب المؤهلات الجامعية لتبوء منصب مدير مدرسة مع اشتراط اكتساب 5 سنوات في التعليم مع تراجع لفئة ذوي المستوى اللعلمي المتدني عكس ما كان معمول به في السابق أين كان هذا المنصب من نصيب ذوي الخبرة الطويلة في التدريس .

توزيع العينة حسب الخبرة:

جدول رقم(2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير الخبرة في الإدارة

النسبة المئوية	العدد	
47.06%	16	أقل من 6 سنوات
38,23%	13	أكبر من 6 سنوات وأقل من 12 سنة
14.70%	05	أكبر من 12 سنة
100%	34	المجموع

يبين الجدول (2) توزيع أفرادالعينة حسب متغير الخبرة في الإدارة المدرسية ، حيث أغلب افراد العينة (47,06%) هم من المدراء الجدد وهو مؤشر على التجديد الواضح لهذه الفئة إذ ان هناك شريحة كبيرة تم إحالتها على التقاعد نتيجة إجبارية التقاعد عند سن 60 سنة المتبنى مؤخرا من طرف احكومة .وفي المقابل نجد أن فقط 14,70% من لهم أقدمية تتجاوز 12 سنة أقدمية ..

أداة الدراسة:

تم إعداد الاستبانة بعد الرجوع إلى الأدبيات ذات الصلة بموضوع الدراسة، وكذلك بالاستعانة بعدد من مشرفي الإدارة المدرسية

وقد تكونت الاستبانة في صيغتها الأولى من 38 عبارة تمثل المعوقات التي تعترض العمل الإشرافي لمدير المدرسة حيث تم تقسيمها إلى 4 محاورا سيأتي:

1, محور المعوقات المتعلقة بالمدير: 12 عبارة

2. بعد العلاقة مع المعلمين: 7 عبارات

3, بعد ظروف العمل: 08 عبارات

تم عرض الاستبيان على مجموعة من المحكمين لابتداء آرائهم حول مدى ملائمة العبارات لقياس ما أعدت لقياسه وكذلك من حيث الصياغة والوضوح. وبعد استرجاع اللاستبيانات الموزعة تم دراسة الملاحظات بدقة حيث أصبح الاستبيان مكون من 22 عبارة موزعة كما يلي:

1, محور المعوقات المتعلقة بالمدير: 10 عبارات

2. محور المعوقات المتعلقة بالمعلمين : تتكون من 06 عبارات

3. محور المعوقات المتعلقة بظروف العمل: 06 عبارات

#### صدق وثبات أداة الدراسة :

تم احتساب صدق الاتساق الداخلي اوذلك لمعرفة مدى ارتباط عبارات الاستبانة بالدرجة الكلية وذلك بحساب معامل الارتباط بين كل عبارة والدرجة الكلية، بعد تطبيق الأداة على عينة استطلاعية مكونة من 14 مدير مدرسة حيث أظهرت النتائج درجة صدق عالية ,و باستخدام معامل الثبات (ألفا كرونباخ) بلغت قيمة معامل الثبات 0.87 وهو معامل ثبات عالي نسبيا يسمح بتطبيق الأداة على عينة الدراسة .

#### أساليب المعالجة الإحصائية:

تم استخدام المتوسط الحسابي وتحليل التباين واختبار (ت) ومعامل الارتباط (بيرسون) بالإضافة إلى التكرارات والنسب المئوية.

#### نتائج الدراسة:

إجابة السؤال الأول:

ما هي معوقات العمل الإشرافي لمدير المدرسة؟

جدول رقم (3) يوضح إجابات أفراد العينة على أسئلة المحور المتعلق بالمدير

الرقم	العبارة	المتوسط الحسا	الترتيب
01	ضعف شخصية المدير	2.34	16
02	خوف المدير من النقد.	3.18	13
03	فارق السن بين المدير والمعلمين.	2.64	15
04	وجود نزعة تسلطية لدى المدير.	1.98	22
05	اعتداد مدير المدرسة برأيه وتهميش رأي الآخرين.	2.01	21
06	عدم كفاية إعداد مدير المدرسة	3.24	11
07	عدم تكوين مدير المدرسة على مهارات الإشراف التربوي	3.65	04
08	عدم استيعاب المدير لدوره الإشرافي	3.41	08
09	قلة خبرة المدير في التعليم	2.14	19
10	تباين المستوى العلمي بين المدير والمعلمين	2.21	18
	المجموع	2.68	03

من استعراض الجدول رقم (3) نجد أنه يشتمل على المتوسطات الحسابية وترتيب كل عبارة حسب متوسطها الحسابي بناء على إجابات أفراد العينة المختلفة على كل عبارات المحور الأول من الاستبانة والتي عددها 10 عبارات.

ومما يمكن استنتاجه من استعراض مضمون هذا الجدول أن أغلب عباراته أخذت رتبا متأخرة مما جعل ترتيب المحور يكون في الصف الأخير . فالعبارات (4) تحتل المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي قدره 1,98 حيث تمت الموافقة عليه بنسبة 38,62% وكذلك العبارة (5) التي احتلت المرتبة (21) بمتوسط حسابي قدره 2,01 حيث بلغت نسبة الموافقة عليه من طرف أفراد العينة 33,28% أما أحسن ترتيب في هذا المحور فقد احتله العبارة (7) بمتوسط حسابي قدره 3,65 حيث احتلت الرتبة(4) أين بلغت نسبة الموافقة 81,16% .

2- نتائج المحور المتعلق بالمعلمين:

جدول رقم (4) يوضح إجابات أفراد العينة لى أسئلة المحور المتعلق بالمعلمين

الرقم	العبارة	توسط الحسابي	رتيب
11	تقبل المعلمين للدور الإشرافي للمدير	3.65	3
12	ضعف العلاقة بين المعلمين والمدير	3.10	14
13	وجود معلمين أكثر خبرة من المدير	3.34	09
14	تباين المستوى العلمي بين المعلمين والمدير	2.27	17
15	كثرة المعلمين المطالبين بالإشراف	2.01	20
16	عدم تعاون المعلمين مع المدير	3.44	06
	المجموع	2.97	02

يبين الجدول (4) المتوسطات الحسابية وترتيب كل عبارة من عبارات المحور التعلق بالمعوقات المتعلقة بالمعلمين والبالغ عددها (6) عبارات حيث تظهر النتائج وجود تباين واضح بين رتب العبارات المكونة لهذا المحور كما يتضح أن هذا المحور عموماً يقع في الرتبة الثانية بمتوسط حسابي قدره 2,97.

وتشير القراءة التفصيلية لهذا الجدول أن العبارة (11) تحتل المرتبة (3) وهي مرتبة جد متقدمة بمتوسط حسابي قدره 3,65 حيث كانت نسبة الموافقة عليها 81,16% كما احتلت العبارة (16) المرتبة (6) وهي مرتبة متقدمة نسبياً بمتوسط حسابي قدره 3,44 أين بلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة 79,55%. وهذا مقارنة بالعبارات التي أخذت رتباً متأخرة نسبياً كالعبارة (15) التي جاءت في الرتبة (20) بمتوسط حسابي قدره 2,01 وكانت نسبة الموافقة عليها 33,28% وكذلك العبارة (14) التي جاءت في الرتبة (17) بمتوسط حسابي قدره 2,27 وكانت نسبة الموافقة عليها 44,89%.

3. نتائج المحور المتعلق بظروف العمل:

جد

جدول رقم (5) يوضح إجابات أفراد العينة لى أسئلة المحور المتعلق بالمعلمين

الرقم	العبارة	المتوسط الحزيب
17	لأعباء الإدارية للمدير	4.14
18	-صعوبة المناهج	3.36
19	كثرة المشكلات داخل المدرسة كالاكتظاظ	3.76
20	- عدم كفاية الوسائل اللازمة للإشراف التربوي	3.27
21	عدم وجود تنسيق بين المدير والمشرف التربوي	3.22
22	عدم وجود محفزات مادية أو معنوية مقابل العمل الإشرافي	3.44
01	المجموع	3,53

يتضمن الجدول رقم(5) المتوسطات الحسابية والترتيب لعبارات المحور الثالث المكون من (6) عبارات. حيث تظهر النتائج أن هذا المحور أخذ الترتيب الأول بمتوسط حسابي بلغ 3,53 من خلال حصول عباراته على مراتب متقدمة. فقد تحصلت العبارة ((17) على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره 4,14 أين كانت نسبة الموافقة عليها 92,77% كما تحصلت العبارة (19) على المرتبة الثانية في ترتيب العبارات بمتوسط حسابي قدره 3.76 حيث بلغت نسبة الموافقة عليها 87,45%. وتعتبر العبارة (21) هي آخر عبارة في هذا المحور حيث أخذت المرتبة(12) بمتوسط حسابي بلغ 3,22 ونسبة موافقة بلغت 69,18%. إلا أن هذه المرتبة هي مرتبة متقدمة نسبيا في الترتيب العام لبنود الاستبانة.

#### مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

من خلال استعراض النتائج السابقة يتبين جليا أن أفراد العينة يؤكدون أن المعوقات المتعلقة بمحور ظروف العمل هي أهم المعوقات التي تعيق عملهم الإشرافي حيث احتلت جميع عبارات هذا المحور رتبا متقدمة مقارنة بالمحاور الأخرى وهو ما تدعمه بعض الدراسات كدراسة الحبيب (2005) وتفسر هذه النتائج على أن المدراء يتحملون أعباء إدارية يخصصون لها جل أوقاتهم على حساب العمل البيداغوجي الذي يبقى عملا ثانويا بالنسبة لهم وقد يفسر ذلك بعدم وجود مساعدين إداريين على مستوى أغلب المدارس

الابتدائية عكس المراحل التعليمية الأخرى إذ يتحمل المدير لوحده مسؤولية تنفيذ المهام الإدارية كما يبرر المديرين حسب آراء أفراد العينة صعوبة العمل الإشرافي بكثرة المشكلات التربوية التي تتخبط فيها أغلب المدارس كظاهرة الاكتظاظ التي باتت تؤرق الكثير من المدراء والمعلمين والمشرفين... كما يبرر المدراء صعوبة الإشراف في مدارسهم بعدم وجودات محفزات سوء مادية أو معنوية نظير الجهود المبذولة في هذا الجانب. حيث لا يستفيد هؤلاء من أي مقابل مادي أو حتى معنوي نظير قيامهم بالمهام الإشرافية مما يجعلهم يعزفون عليها .

ويرى أفراد العينة أن المعوقات المتعلقة بالمعلمين تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية حيث أن بعض العبارات أخذت مراتب جد متقدمة أهمها العبارة (11) التي تتحدث على عدم تقبل المعلمين للدور الإشرافي للمدير فهم يرونه شخصا إداريا لا علاقة له بالجانب التربوي البيداغوجي الذي يبقى حسيهم من اختصاص المشرف التربوي دون غيره ، وهي نظرة تقليدية لا زالت تسيطر على ذهنيات بعض المعلمين في الوقت الراهن وهو نابع ربما من عدم وعيمهم وإدراكهم لمهام مدير المدرسة وخاصة دوره التربوي والبيداغوجي في المؤسسة. كما يرى أفراد العينة أن من أهم المعوقات التي تقف حائلا دون قيامهم بمهامهم الإشرافية هي عدم تعاون المعلمين مع المدير في هذا الجانب. حيث أن أغلب هؤلاء المعلمون يبدون تشنجا وعدم الرغبة في الاستفادة من خدمات المدير التي يرون أنهم في غنى عنها باعتبارهم هم الأدرى بشؤون العملية التعليمية ولهم من الخبرة ما يمكنهم من التعامل بكفاءة مع كل المواقف التعليمية بينما يرون أن المدير هو أقل خبرة في مجال التعليم خاصة أن أغلب المدراء هم من المعلمين ذوي الشهادات الجامعية الذين تم تعيينهم عن طريق المسابقة وهو ما تفسره العبارة (13) "وجود معلمين أكثر خبرة من المدير" التي احتلت الرتبة (9) في ترتيب عبارات الاستبان

2) النتائج المتعلقة بالتساؤل الثاني: هل توجد فروق بين المدرء في إجاباتهم على أسئلة الاستبانة حسب المؤهل العلمي؟

جدول رقم (6) يوضح نتائج اختبار (ت) للفروق بين أفراد العينة حسب متغير المؤهل العلمي

مستوى الدلالة	قيمة (ت)	N= 34		المحور
		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
ردالة	0.16	0.65	26.8	معوقات تتعلق بالمدير
لدة عند 0.01	70.5	0.54	17,82	معوقات تتعلق بالمعلمين
غير دالة	53.0	32.0	21.18	معوقات تتعلق بظروف العمل

يبين الجدول رقم (6) نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق بين إجابات أفراد العينة على أسئلة الاستبانة حسب كل محور من محاورها الثلاث حيث أثبتت النتائج أن الفروق ليس ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة تبعاً لمستوياتهم العلمية فيما يتعلق بإجاباتهم على عبارات المحور المتعلق بالمعوقات الخاصة بالمدير (ت=0,16). أما المحور الثاني المتعلق بالمعوقات الخاصة بالمعلمين فإن الفروق بين إجابات أفراد العينة لها دلالة إحصائية عند المستوى 0,01 حيث بلغت قيمة (ت=5,70). وأما المحور الثالث المتعلق بالمعوقات الخاصة بظروف العمل فإن الفروق بين إجابات أفراد العينة ليس لها أي دلالة إحصائية سواء عند المستوى 0,01 أو حتى عند مستوى الدلالة 0,05.

مناقشة نتائج التساؤل الثاني: هل توجد فروق بين إجابات أفراد العينة تبعاً لمستوياتهم العلمية؟

تمكن تفسير النتائج المتعلقة بالمحور الأول الخاص بالمعوقات المرتبطة بالمدير بأن عدم دلالة الفروق بين أفراد العينة أن افراد ورغم اختلاف مستوياتهم العلمية يتفقون حول المعوقات المرتبطة بالمدير كعدم تأهيل المدير على مهارات الإشراف التربوي وعدم كفاية

الإعداد والتكوين للمدراء وهو ما يستدل عنه من خلال الالتحاق المباشر للمعلم المتأهل بمنصب مدير دون المرور على تكوين كافي على مهارات الإدارة ، حيث تكتفي الوزارة بإقامة أيام تكوينية لصالح هذه الفئة خلال العطل المدرسية وهي غير كافية لتدريب المدراء الجدد بشكل جيد على مهارات التسيير الإداري المختلفة التي تحتاج إلى الوقت الكافي سواء في الجانب النظري او التطبيقي قبل مباشرة المدير لمنصبه.

أما فيما يتعلق بالمحور الثاني المتعلق بالمعوقات المرتبطة بالمعلمين فإن دلالة الفروق لصالح المدراء ذوي المستوى المتدني (نهائي واكل) مقارنة بزملائهم ذوي الشهادات الجامعية. ان الفئة الأولى لا تجد قبولا من طرف المعلمين فيما يتعلق بالدور الإشرافي حيث يرى المعلمون أنهم اقل مستوى منهم وبالتالي فكيف لهم الاشراف على معلمين من ذوي المستويات العلمية العالية (ليسانس ، ماستر ، ماجستير...) ويمكن تفسير هذه النتائج على أن المدراء ذوو المستويات العليا يقيمون علاقات مع المعلمين أكثر توازنا نتيجة التقارب في السن وفي المستوى العلمي مما مكثهم من العمل سويا دون حساسيات عكس المدراء ذوو المستوى العلمي المتدني الذين هم عادة من المدراء القدامى الذين يغلب على عملهم الجانب الرقابي ما أنهم عادة لا يقيمون علاقات مع المعلمين نتيجة فارق السن من جهة ومن جهة اخرة التباين في المستوى .

أم المحور الثالث المتعلق بالمعوقات المرتبطة بظروف العمل فإن عدم وجود فروق بين إجابات أفراد العينة تبعا لمستوياتهم العلمية يعود إلى أن المدراء يعملون في نفس الظروف وهي تشكل بالنسبة لهم معوقات تصعب من مهامهم الإشرافية . فمهم كان مستوى المدير ودرجة تكوينه لا يمكنه تقديم إشراف تربوي حقيقي في ظل عدم وجود الإمكانيات اللازمة والسائل لبظورية لذلك كما أن تفاقم المشكلات التي تتخبط فيها المدرسة تعوق بلا ريب عمل المدير مهما كانت كفاءته . ويمكن ان نضيف كذلك أن الأعباء الإدارية للمدير تشغله عن العمل البيداغوجي وتجعله رهينة مكتبه لا يفارقه طيلة الدوام الدراسي خاصة في ظل غياب من يساعده في تأدية هذه المهام.

### توصيات الدراسة:

بعد النتائج المتوصل لإلها في هذه الدراسة يمكن تقديم التوصيات التالية:

1- أن ينظر إلى عملية الإشراف التربوي من قبل المسؤولين عنها على مستوى الوزارة وإدارات التعليم وعلى مستوى الميدان على أنها عملية شاملة متكاملة في أهدافها ووظائفها وآلياتها وأطرافها.

2- العمل على تشجيع العمل التعاوني بين أطراف العملية الإشرافية من مشرفي مواد ومشرفي نشاط ومشرفي إرشاد ومشرفي تقنيات ومشرفي إدارة مدرسية وغيرهم، ومن مديري مدارس ووكلاء مدارس، والعمل على تكريس هذا التعاون وتثبيته بإجراءات عملية مثل:

+ تخفيف الأعباء عن هؤلاء حتى يتوفر لهم الوقت والجهد للأعمال الإشرافية الجوهرية المشتركة.

+ تدريبهم عملياً على القيام بأعمال إشرافية مشتركة بهدف بناء الثقة المتبادلة وتعريفهم بآليات العمل المشترك.

+ أن يتضمن تقييم كل من مديري المدارس ووكلائهم والمشرفين بمختلف فئاتهم أعمالهم الإشرافية المشتركة.

+ العمل على تسهيل العمل التعاوني بإيجاد قواعد معلومات لكل أطراف العملية الإشرافية يتيسر لهم الوصول إليها، وكذلك بإيجاد وسائل اتصال تسهل التواصل فيما بينهم. - ضرورة تدريب المديرين جنباً إلى جنب مع المشرفين على مهارات الإشراف التربوي.

+ توضيح وتحديد المهام الإشرافية لمدير المدرسة .

3- الإعداد والتكوين الكافي قبل الخدمة لكل من يختار من مديري المدارس .

- تفعيل العمل الإشرافي المشترك بين المشرف التربوي ومدير المدرسة.

- العمل على تطوير البيئة المدرسية بمبانيها ومرافقها وتجهيزاتها حتى تكون مشجعة على العمل الإشرافي المشترك.

- الحرص على إيجاد درجة من التقارب في مستويات الخبرة والتأهيل العلمي بين أطراف العملية الإشرافية من مديريين ومشرفين تربويين.

- 
- 1- Grand-Maison, J., Des milieux de travail à réinventer, Montréal, Les Presses de l'université de Montréal.1975.
- 2- Vroom, E., De la désobéissance et autres essais, Robert Laffont, Paris, , p. 99.1983.
- 3- Slater, R . Making Democracy work in our school : From p51-57 Jan. 1994.
- 4- Hoyle, J. R. (1994) Can a Principal run the show and be a p33-39 .1994.
5. العاجز ، فؤاد، النمط القيادي لمديري مدارس وكالة الغوث دراسات في المناهج وطرق التدريس ، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، القاهرة ( العدد 48).1998
- 6.العاجز ، فؤاد (1998) المرجع نفسه
- 7.تشارلز بوردمان وآخرون:الإشراف الفني في التعليم ،ت : وهيب سمعان وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، مصر،1963
8. تشارلز بوردمان وآخرون(1963) ، المرجع نفسه ،ص38
9. تشارلز بوردمان وآخرون(1963) المرجع نفسه ،ص38
10. محمد حامد الأفندي ):الإشراف التربوي ،الطبعة 2 ، عالم الكتب، القاهرة ،1976
- 11.تريكي رايح: الاتجاه الحديث في التفتيش ،مجلة همزة وصل ، عدد8 ، الجزائر ، ص59. 1974.
- 12.الطعاني، حسن ( 2005 ) الإشراف التربوي مفاهيمه أهدافه أسسه وأساليبه .دار الشروق، عمان.2005.
- 13،عبد الرحمان الحبيب : معوقات الإشراف التربوي، [www.taqhail.com](http://www.taqhail.com) 2010/05/21.
- 14- Whitaker, Todd and Elizabeth Turner,' What is Your Priority?' NASSP Bulletin, Vol. 84. No. 617, pp 16-21.2000.
- 15.بطاح،أحمد. علاقة المشرف التربوي بمدير المدرسة كمشرف تربوي مقيم . مؤتمة للبحوث والدراسات، المجلد السادس-العدد الثاني: ص ص 281-298.1991.
- 16.بطاح،أحمد (1991).المرجع نفسه

- 17..محمد عبد القادر أحمد: الأدوار الرئيسية والمهام الإدارية من مشرف التربية العملية لنضام معلم الفصل في دولة البحرين، مجلة التربية، العدد104، الدوحة، قطر.1993.
- 18.البدرى، طارق عبد الحميد .الاتجاهات الحديثة للإدارة المدرسية في تنمية القيادة التدريسية، دار الثقافة للنشر. ط. 1 عمان.2005.
- 19.حجازي، نوال ..درجة ممارسة مديري ومديرات المدارس الثانوية-الخاصة في الأردن للأدوار الإشرافية من وجهة نظر المعلمين،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا عمان الأردن.2007.

20. Hibert. K "Mentoring Leadership" phi delta – Kappa. 2000.

21.Aan,peteson.. Principals and teachers perspective. (add dissertation, Oklahoma state university 1988 . dal59/08,p.2814 .1999.

22.اليحمدي، حمد بن هلال،، مدى ممارسة مديري المدارس الإعدادية والثانوية في سلطنة عمان لدورهم كمشرفين تربويين مقيمين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.1998.

23.الحوراني، إبراهيم،، واقع الممارسات الإشرافية الفنية لمديري ومديرات المدارس الثانوية الأكاديمية الحكومية في مديرتي التربية الأولى والثانية لمنطقة عمان الكبرى كما يراها المديرون والمعلمون، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية:الأردن.1993.

25.Kelly, M. P. The Instructional supervisor studies of School principals (Eric Document Reproduction serves NO AAC, 9201932). 1992.

26.الفواعرة، سامي، دور مدير المدرسة الثانوية كمشرف تربوي مقيم في مدارس لواء عجلون،رسالة ماجستير غير منشورة جامعة، اليرموك، إربد:الأردن. 1990.

# تشبع " أثر بارنوم " بالخصائص الثقافية في الدراسات الميدانية. دراسة العلاقة

بين المساندة الاجتماعية والتحصيل الدراسي نموذجاً

جامعة أبو القاسم سعد الله

د. فوزية بوشارب

## المخلص:

تناول هذا البحث دراسة احد العوامل التي من شأنها التأثير بشكل مباشر على نتائج البحوث العلمية، خاصة الميدانية منها، و المتمثلة في " أثر بارنوم".

ولتسليط الضوء على هذه الظاهرة أخذنا دراسة العلاقة بين المساندة الاجتماعية و التحصيل الدراسي نموذجاً. حيث أنجزت الدراسة على عينة مكونة من 100 تلميذ من تلاميذ السنة الثانية ثانوي و استعملنا في ذلك المنهج الوصفي.

جاءت نتائج هذا البحث مبينة التماس " أثر بارنوم" في مقياس المساندة الاجتماعية الذي يقدم قوالب جاهزة و بانورامية لإجابات التلاميذ في هذا المقياس. و التي اعتبرناها من العوامل التي أثرت على نتائج البحث المذكور أعلاه. و هي قوالب مشبعة بالعوامل الثقافية.

## الكلمات المفتاحية :

" أثر بارنوم" ، المساندة الاجتماعية ، التحصيل الدراسي.

## Abstract :

This present survey aimed to study one of the factors that effects directly the results of scientific researches, especially the field study ones which is "the Barnum's effect".

And to spot light on the phenomenon the study investigated the relation between the social support and the scholar results. The sample of this research consisted of 100 second year high school pupils.

The results of the study have shown the "effect of Barnum" in the social support that presents a ready and a panoramic mould of the pupils' answers. That we considered among of the factors that had an effect on the results of the above mentioned research. That are moulds full of cultural factor.

Key words: Barnum's effect, the social support, school acquisition.

**Résumé**

Cette recherche vise à étudier les aspects qui ont une influence directe sur les résultats des recherches scientifiques, précisément celles effectuées sur le terrain qui est « l'effet Barnum ».

Et pour étudier ce phénomène, nous avons pris en considération la relation entre le soutien social et le résultat scolaire comme modèle. Pour effectuer cette recherche nous avons adapté la méthode descriptive sur cent (100) élèves de deuxième année secondaire.

Les résultats de cette recherche ont démontré « l'effet Barnum » en rapport avec le soutien social qui présente des prototypes prêts et panoramiques des réponses des élèves selon cet échelon. Et qui nous l'avons considéré comme facteurs influents directement sur les résultats susmentionnés ; Qui sont des prototypes pleins de facteurs culturels

**Mots clés :** Effet Barnum, le Soutien Social, Acquisition scolaire.

## المقدمة:

عرف هذا القرن تنامي أدوات القياس بشكل كبير حيث ظهرت مقاييس متنوعة تعددت و اختلفت بتعدد و اختلاف الظواهر النفسية و الاجتماعية، حتى صرنا لا نحصي لها عدا خاصة و هي في تنامي مستمر. و لكن تحدث العلماء و هم في خضم دراسة الظواهر النفسية و الاجتماعية عن بعض الظواهر التي التمس أثرها في الدراسات الميدانية لعدد كبير من البحوث و التي من شأنها الانحراف بنتائجها إلى مغالطات تؤثر على نتائج البحوث العلمية رغم ما يصرف في انجازها من جهد و مال. سلطنا الضوء على احد هذه العوامل و المتمثل في " أثر بارنوم" Barnum Effect للأسباب التي سيلي توضيحها.

خلفية طرح الإشكالية:

تمخضت إشكالية هذا البحث انطلاقا من دراسة ميدانية، كنا بصدد انجازها، تمثلت في دراسة العلاقة بين المساندة الاجتماعية و التحصيل الدراسي. حيث حرصنا على إتباع الخطوات المنهجية من: اختيار عينة الدراسة و اختيار المقياس المناسب لدراسة الظاهرة و الحرص على المعالجة الإحصائية للبيانات المستقاة من الميدان لدراسة و اختبار الفروض القائمة عليها إشكالية بحثنا. و لكن، توضح لنا في نهاية سياق الدراسة، و من غير المتوقع، أن الفرضيات التي كانت مبنية انطلاقا من مشكل الدراسة لم تتحقق جميعها<sup>1</sup>.

مما أوردنا ذكره أعلاه، حاولنا إيجاد تفسير لهذه النتائج و من الافتراضات التي طرحناها أنه ربما كان سوء اختيارنا للعينة هو القائم خلف هذه النتيجة. فأفواج السنة الثانية ثانوي هي أفواج تختلف عن أفواج السنة الأولى ثانوي، التي هي معنية بالتوجيه المصيري بالنسبة للتلميذ. و تختلف أيضا عن أفواج الأقسام النهائية و هي أفواج معنية بشهادة مصيرية متمثلة في شهادة البكالوريا و هي أيضا شهادة مصيرية بالنسبة لمستقبل التلميذ ككل. هتان الفئتان- و خاصة الفئة الأخيرة - تكونان محل مساندة اجتماعية عالية.

يكون التلميذ منذ دخوله الثانوية و بداية اقترابه التدريجي من السنة النهائية و هي سنة اجتياز امتحان شهادة البكالوريا، موجه و مبرمج ببحثة لنيل شهادة البكالوريا. و

عليه استبعدنا هذا الاحتمال. مع ذلك حاولنا البحث عن أسباب أخرى من شأنها إفراز هذه النتائج.

بعد فحص بنود مقياس المساندة الاجتماعية وبالرجوع إلى أدبيات الدراسة فيما يخص القياس و الإحصاء والمفاهيم النفسية الاجتماعية، تبلور لدينا المشكل والفرضيات التالية كتفسير لما سبق ذكره.

### مشكلة الدراسة:

لماذا جاءت نتائج دراسة العلاقة بين المساندة الاجتماعية والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ التعليم الثانوي سلبية على عمومها؟

### فرضية الدراسة:

نلتمس بروز "أثر بارنوم" بمقياس المساندة الاجتماعية .

### الفرضيات الجزئية:

\_ نلتمس بروز "أثر بارنوم" ببعض بنود مقياس المساندة الاجتماعية أكثر من البنود الأخرى.

\_ يوجد تشبع "لأثر بارنوم" بالعوامل الثقافية في مقياس المساندة الاجتماعية.

### أهمية البحث:

قد تساهم هذه الدراسة، عند بناء المقاييس والاختبارات النفسية الى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار بعض الظواهر التي من شأنها الوصول إلى نتائج مبنية على مغالطات ناتجة عن بعض المنطلقات الثقافية التي قد تؤثر على نتائج البحوث بشكل كبير. إذ علينا أن نكون متفطين، أولاً: لخصوصيات مجتمعاتنا الثقافية. وثانياً: الابتعاد عن كل تعصب لأدوات الإحصاء والقياس النفسي وإبقاءها دائماً تحت مجهر الدراسة والنقد.

### أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على احد العوامل المهمة و التي تفتن إليها العلماء و المتمثلة في "أثر بارنوم"، كمحدد هام من شأنه التأثير بشكل مباشر و ملموس على نتائج البحوث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية خاصة في ميدان علم النفس. و ما نضيفه في هذه الدراسة خلافا لما جاء به الباحثون الآخرون، تتمثل في إمكانية تشبع "أثر بارنوم" ببعض العوامل الثقافية والتي تنبع من خصوصية المجتمع الجزائري.

الإطار النظري ومفاهيم الدراسة:

مفهوم "أثر بارنوم": Barnum effect:

هو عبارة عن فكرة تعود إلى تقرير وزعه باترسون PATERSON ونوه إليه لاحقا مهيل MEEHL حيث تبدو العبارة البارونامية و كأنها وصف ذاتي و لكنها في الواقع تصف جميع الناس و لا تتسم بالتميز. مثلا من يمكنه أن ينكر العبارة التالية:

\_ أحيانا لا أكون واثقا من نفسي.

\_ أحتفظ عادة بمشاعري الحقيقية لنفسى ما لم أكن بصحبة أشخاص أرتاح اليهم.

\_ لا أثق في معظم الناس عادة.

فكثير ما يضع الباحثون تفسيرات تبدو صادقة إلا أنها في حقيقتها تصف الناس جميعا. وهذا هو "أثر بارنوم".<sup>2</sup>

يسمى "أثر بارنوم" أيضا تأثير فورير نسبة إلى عالم النفس برترام فورير (B. R. Forer) الذي اهتم بدراسة الظاهرة و اعتبرها إشارة إلى ميل الأفراد إلى رؤية كلام المنجمين دقيق، يقوم على وصف شخصية الناس و التي يفترض أنها صممت خصيصا لهم، و لكنها في الواقع عادة ما تكون غامضة و عامة لدرجة أنها يمكن أن تنطبق على طائفة كبيرة من الناس.

و يعرف "أثر بارنوم" أو "تأثير فورير" أيضا باسم تأثير التحقق من الذات و من الشخصية *effet de validation subjective* أو *effet de validation personnelle*. و يبدو أن عبارة "أثر بارنوم" قد تم ادخالها من طرف عالم النفس مهيل Paul MEEHL نسبة إلى رائد التلاعب و رجل السيرك فينياس تايلور بارنوم Ph.T.BARNUM.<sup>3</sup>

و يقدم هذا التأثير تفسير جزئي للقبول واسع النطاق لبعض المعتقدات و الممارسات، مثل التنجيم، العرافة، دراسة الخط و بعض أنواع اختبارات الشخصية.

وقد لاحظ عالم النفس برترام فورير (Bertram. R. Forer) أن معظم الناس يميلون إلى قبول وصف فضفاض للشخصية يصفهم بدقة، دون أن يدركوا أن هذا الوصف نفسه يمكن أن ينطبق أيضا على أي شخص آخر. حيث قام فورير Forer سنة 1948 بتجربة تقوم على وصف الظاهرة التي تجعل الفرد يتعرف على نفسه بتلقائية أو ميل الناس لتقبل وصف ينطبق على وصف أو تقييم عام لشخصيتهم. قامت التجربة على تطبيق اختبار حول الدافعية على 39 تلميذة(ة) و طلب منهم القيام بتحليل قصير حول

شخصيتهم و تقيمه على سلم من 0 الى 5 درجات. فالرقم "5" يعني أن تقييم الشخصية كان ممتازا، والرقم "4" يعني أن التقييم كان مطابقا للشخصية بدرجة أقل من الأولى، وهكذا. وجاءت النتيجة كما يلي:

\_ 16 تلميذ(ة) أجابوا بالدرجة 5 و 18 تلميذ(ة) أجابوا بالدرجة 4 و 04 تلميذ(ة) أجابوا بالدرجة 3 و 01 تلميذ(ة) أجابوا بالدرجة 0. نلاحظ من خلال النتائج أن الانطباع المباشر للتعرف على ذواتهم بشكل انفرادي قوي جدا. أعيد الاختبار عدة مرات مع طلاب علم النفس بفرضيات جزئية أخرى و كانت النتيجة متقاربة و بنفس القوة و لم تتأثر بالجنس أو السن و لا حتى اهتماماتهم المهنية. يشرح تأثير فورير Forer على ما يبدو، ولو جزئيا، سبب تصديق الكثير من الناس للعلوم الزائفة. كالأبراج والتنجيم وكشف البخت والكهانة، وغيرها. لأن هذه الممارسات تعطي تحاليل دقيقة للشخصية. وتشير الدراسات العلمية أن العلوم الزائفة ليست أدوات صالحة لتحديد الشخصية، لكن كل واحدة من هذه العلوم الزائفة لها زبناء راضون عنها ومقتنعون بدقتها.

يرى باري بييرستين (Barry Beyerstein) في دراسته أن الفرد يصبو دوما الى ملئ البياض و تكوين صورة منسجمة حسب ما نعتقه و نسمعه. صمم الاختبار التالي قصد تحديد إذا ما كانت الفعالية الظاهرية للعلوم الزائفة راجعة إلى تأثير فورير أو إلى عوامل نفسية أخرى (ملاحظة: هذا الاختبار شبيه باختبار فورير Forer ، وليس الغرض منه هو اختبار دقة أي أداة لتحليل الشخصية، بل مواجهة الميل إلى الخطأ والسذاجة في التعاطي مع هذه المواضيع. يبدأ الاختبار من خلال جمع توقعات نسبة مهمة من الأشخاص، ثم العمل على إزالة أسمائهم الشخصية (مع استبدالها برمز يسمح لمن يقيم التجربة لاحقا بتحديد أصحابها). وبمجرد قراءة الأشخاص لكل البيانات الشخصية المجهولة، نطلب من كل شخص تحديد ملف الصفات الذي يصفه بدقة. فإذا كان "العراف" قد أدرج في البيانات معلومات فريدة وذات صلة فعلية بالأشخاص المعنيين، فإن أعضاء مجموعة الاختبار سيكونون قادرين على أن يتوصلوا إلى اختيار ملف صفاتهم الخاص بهم من بين الكومة، بطريقة أكثر مصداقية من السحب العشوائي." لاحظ بييرستين أنه لا يوجد علم زائف يدعي التنبؤ بالشخصية يمكن من اجتياز اختبار مماثل بنجاح. حتى وإن كان الاختبار محدد و دقيق في عناصر وضعية تتسم بالعمومية،

الإبهام، الغموض، اللاتناسق وعدم الفهم. ففي خلال كل هذه الوضعيات يقوم كل فرد بصفة لاواعية وضمنية عن طريق كل الترابطات لانجاز هذه المهمة.<sup>4</sup>

يفتح "أثر بارنوم" نافذة على المعتقدات و صيرورة توظيفها و التعرف على معاييرها و معرفة الذات حسب معايير مجتمعاتنا أين يعتقد كل واحد فينا انه فريد من نوعه. و يمكن لهذه الظاهرة أن تفسر من عدة أوجه. فيمكن اعتبارها انعكاس صيرورات معرفية و عاطفية. و هي بذلك تطرح تساؤل حول إمكانية طرح معرفة موضوعية حول الذات و حول دور و انعكاس التصورات المصاحبة لها.<sup>5</sup>

في دراسة للوجو و شير و فرينش (1992) LOGUE, SHER et FRENSCH حول التماس "أثر بارنوم" في دراسة الخصائص الكامنة للراشدين من أبناء الأشخاص المدمنين على الكحول. جاءت النتائج تشير إلى أن الصفات النفسية لهذه العينة تم تقييمها على أنها تصف الذات بشكل مرتفع، سواءً لدى المشاركين من أبناء الأشخاص المدمنين على الكحول أو لدى المشاركين الآخرين. وتوصل الباحثون إلى انه يبدو أن هذه الأوصاف الشخصية الشائعة فيها من الصفة البانورامية أو "أثر بارنوم" ما يجعلها تفتقر إلى الصدق.<sup>6</sup>

### مفهوم المساندة الاجتماعية: Social Support

تعتبر المساندة الاجتماعية من المفاهيم التي اختلف الباحثون في ضبطها وتعريفها نتيجة لاختلاف توجهاتهم النظرية. فقد تناول علماء الاجتماع هذا المفهوم في إطار العلاقات الاجتماعية و أطلق عليه البعض مصطلح الإمدادات الاجتماعية social provisions. يرى ليبرمان (1982) Liparman أن المساندة الاجتماعية تعتمد في تقديرها على إدراك الأفراد لشبكاتهم الاجتماعية باعتبارها الأطر التي تشمل على الأفراد اللذين يثقون فيهم و يستندون على علاقاتهم بهم. و يرى سارسون و آخرون Sarason et al (1983) أنها تتلخص في إمكانية وجود أشخاص يثق فيهم الفرد و يعتقد أنهم في وسعهم أن يعتنوا به و يحبوه و يقفوا بجانبه عند الحاجة. هذا المفهوم يشتمل على مكونين رئيسيين ، أولهما: أن يدرك الفرد انه يوجد عدد كافي من الأشخاص في حياته يمكن أن يرجع إليهم عند الحاجة، و ثانيهما: أن يكون لدى هذا الفرد درجة من الرضا عن هذه المساندة المتاحة له و الاعتقاد في كفاية الدعم.<sup>7</sup>

أما بالنسبة لكوهين وآخرون (Cohen et al(1989) فهي إدراك الفرد لأشخاص من المحيط العائلي، ومن الأصدقاء و زملاء العمل يمكن الاعتماد عليهم للمساعدة إزاء الصعوبات التي يواجهونها. وليس بعيد عن هذا التعريف نجد فوكس (1992) يرى أنها مجموعة من العلاقات يتلقى الفرد من خلالها العون للتعامل مع المطالب و بلوغ الأهداف.<sup>8</sup>

يؤكد كثير من الباحثين على أن المساندة المدركة و المساندة المقدمة عن طريق العلاقات الاجتماعية من العوامل المهمة التي تقي الفرد من العديد من الاضطرابات النفسية مثل القلق، الاكتئاب، الوحدة وغيرها.

#### منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي الذي يقوم على مجموعة من الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة اعتماداً على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلاً دقيقاً لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة محل البحث. كما اقتصرنا على استعمال القراءة الوصفية لبند مقياس المساندة الاجتماعية .

#### عينة الدراسة:

تم توزيع مقياس المساندة الاجتماعية على تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية "زحوال اعمر" بولاية الجزائر العاصمة، و ذلك خلال الفصل الثالث من سنتهم الدراسية. تضمنت عينة الدراسة الشعب الثلاثة وهي :شعبة العلوم التجريبية، شعبة الآداب و الفلسفة وشعبة الآداب و اللغات الأجنبية.

#### الجدول رقم ( 01) توزيع عينة الدراسة بين الذكور و الإناث حسب الشعب

النسبة المئوية	المجموع	آداب و لغات أجنبية	علوم تجريبية	آداب و فلسفة	الشعب الجنس
33%	33	16	5	12	ذكور
67%	67	24	25	18	إناث
100%	100	40	30	30	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول رقم (01) أن عينة الدراسة توزعت على ثلاث شعب و هي  
شعبة الآداب و الفلسفة و اشتملت على 30 تلميذ(ة) موزعة بين 12 ذكور و 18 إناث،  
أما شعبة العلوم التجريبية فقد اشتملت على عينة مقدره ب 30 تلميذ(ة) موزعة بين  
5 ذكور و 25 إناث و اشتملت آخر شعبة و هي شعبة آداب واللغات الأجنبية على 40  
تلميذ(ة) موزعة بين 16 ذكور و 24 إناث فكانت نسبة مجموع الذكور مقدره ب 33% و  
نسبة مجموع الإناث مقدره ب 67%، كلهم من تلاميذ السنة الثانية ثانوي.

### أدوات الدراسة:

#### 1-مقياس المساندة الاجتماعية:

المقياس المطبق هو مقياس معد من طرف سوزان ديون و آخرون (1986) DUNN  
S. Et AL, و مترجم من طرف: أسماء السرسى و أماني عبد المقصود. و هو مقياس صادق  
و ثابت حيث تم تطبيقه في البيئة العربية و تم حساب معاملات الارتباط بين درجة كل  
عبارة من العبارات المتضمنة في المقياس و بين الدرجة الكلية للمقياس و جاءت جميعها  
مرتفعة. و فيما يتعلق بصدق المحك فكانت قيمة معامل الارتباط (0,64) و هو معامل  
موجب و دال عند مستوى الدلالة (0,01). و تم تطبيق طريقة إعادة الاختبار و سجل  
معامل ارتباط عال مقدر ب (0,73) كما معامل  $\alpha$  لكرونباخ (0,86) و هو معامل عال.

5

### مناقشة عامة للنتائج:

#### مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

تشير الفرضية الأولى إلى التماس "أثر بارنوم" بمقياس المساندة الاجتماعية. و للتحقق  
من صحة هذه الفرضية قمنا بإعادة قراءة و تفحص جميع بنود مقياس المساندة  
الاجتماعية ال 25 بندا، و التمسنا "أثر بارنوم" حاضرا بقوة بهذا المقياس. و بالرجوع إلى  
نتائج توزيع إجابات أفراد العينة، الموضحة بالجدول رقم ( 07)، استخلصنا ما يلي:  
نلاحظ من خلال الجدول أدناه وجود قيم ناقصة عددها 07. و هي أسئلة تركها  
التلاميذ دون إجابة و نعتبرها غير دالة لأنها لا تشكل سوى 7 % من مجموع 100 تلميذ.  
كما نلاحظ من خلال الجدول أن بعض عبارات المقياس نالت عددا كبيرا من إجابات  
التلاميذ، كما هو شأن الأسئلة التالية:

السؤال 24: أثق في نفسي وفي قدرتي في التعامل مع المواقف الجديدة دون مساعدة من الآخرين

السؤال 15: يوجد أفراد ألقاً إليهم لمساعدتي عندما أشعر بعدم السعادة أو أواجه متاعب

السؤال 23: أشعر بالراحة عندما ألقأ إلى رجال الدين طلباً للمساعدة والراحة

السؤال 05: تشعرني أسرتي بالرضا والقوة

السؤال 08: منذ صغري أتلقي قدراً كبيراً من مساندة والدي

السؤال 11: أشعر بالراحة عندما أطلب المساعدة من أسرتي

السؤال 17: يساعدني إخوتي وأخواتي عندما احتاج إلى المساعدة

السؤال 16: تعاملات زملائي القريبين مني تجعلني أشعر بأهميتي

السؤال 22: المساعدة الانفعالية من الأصدقاء هامة بالنسبة لي

الجدول رقم ( 03) يبين توزيع اختيارات التلاميذ حسب العبارات الموجبة والسالبة في مختلف أبعاد المساعدة الاجتماعية.

المساندة من قبل النظراء				المساندة من قبل الأسرة				الرضا الذاتي عن المساعدة				الاختيارات
العدد	العبارة السالبة	العدد	العبارة الموجبة	العدد	العبارة السالبة	العدد	العبارة الموجبة	العدد	العبارة السالبة	العدد	العبارة الموجبة	
10	09	32	01	48	20	49	02	21	25	57	24	دائماً
10	19	29	04			57	05	16	03	32	14	
		45	07			72	08	27	06	51	15	
		40	10			70	11	20	12	57	23	
		34	13			53	17	28	18			
		52	16					22	21			
		62	22									

## تشبع " أثر بارنوم" بالخصائص الثقافية

د. فوزية بوشارب

23	09	52	01	26	20	36	02	52	25	37	24	إجابات
48	19	52	04			32	05	26	03	53	14	
		45	07			19	08	41	06	36	15	
		40	10			21	11	39	12	26	23	
		47	13			30	17	13	18			
		39	16					40	21			
		25	22									
67	09	16	01	26	20	15	02	27	25	06	24	نادرا
41	19	19	04			10	05	58	03	15	14	
		09	07			9	08	32	06	13	15	
		20	10			9	11	41	12	17	23	
		18	13			17	17	58	18			
		09	16					37	21			
		12	22									
01	19	01	07			01	05	01	18			القيم
		01	13					01	21			
		01	22									

نلاحظ من الجدول أعلاه أن كل هذه العبارات التي نالت عددا كبيرا من إجابات التلاميذ هي عبارات موجبة تمحورت حول اختيار "دائما"، وموزعة بين الأبعاد الثلاثة للمساندة الاجتماعية: الرضا الذاتي عن المساندة، المساندة من قبل الأسرة و المساندة من قبل النظراء. وإذا ما تفحصنا كل هذه العبارات نلاحظ أنها مشبعة ب"أثر بارنوم".فهي عبارات بانورامية تنطبق على كافة الناس.

### مناقشة نتائج الفرضية الثانية:

\_ نلتمس بروز "أثر بارنوم" ببعض بنود مقياس المساندة الاجتماعية أكثر من البنود الأخرى.

بعد تفحص بنود المقياس نلتمس "أثر بارنوم" بكل بنود المقياس ما عدا العبارات 03.04.06.09.18 بدرجة أقل.

الجدول رقم ( 04 ) يبين توزيع إجابات التلاميذ على العبارات المعنية بدرجة ادنى ب"أثر بارنوم".

العبارات	دائما	أحيانا	نادرا	القيم الناقصة	المجموع
03	16	26	58	00	100
04	29	52	19	00	100
06	27	41	32	00	100
09	10	23	67	00	100
18	28	13	58	01	100

نلاحظ في هذا الجدول أن أعلى الاختيارات تمحورت حول "نادرا" و "أحيانا". وتوزعت بين رضا ذاتي عن المساندة الاجتماعية ( البند 03،18 و 06) وهي عبارات سلبية؛ وبين المساندة من قبل النظراء في العبارة (09) وهي عبارات سلبية و في العبارة (04) وهي عبارة موجبة.

#### مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

\_ يوجد تشبع "لأثر بارنوم" بالعوامل الثقافية في مقياس المساندة الاجتماعية. من خلال الجدول رقم ( 03 ) أن الأسئلة التالية: 02,05.08.11.17: كلها تتمحور حول المساندة من قبل المحيط الأسري.

الجدول رقم ( 05) يبين توزيع أعلى اختيارات التلاميذ حسب العبارات الموجبة و السالبة في بعد المساندة من قبل الأسرة.

العبارات	دائما	أحيانا	نادرا	القيم الناقصة	المجموع
05	57	32	10	01	100
08	72	19	09	00	100
11	70	21	09	00	100
17	53	30	17	00	100
02	49	36	15	00	100

إن كل عبارات المساندة الاجتماعية من قبل الأسرة، موجبة حققت أعلى النسب باختيار "دائما" و أدنى النسب باختيار "نادرا" وهذا دليل على ان الفرد الجزائري ما زال مرتبط بأسرته كجماعة مرجعية.

تأتي في المرتبة الثانية البنود المتعلقة ب الرضا الذاتي عن المساندة و هي: 23، 15، 24.

الجدول رقم ( 06) يبين توزيع أعلى اختيارات التلاميذ حسب العبارات الموجبة و السالبة في بعد الرضا الذاتي عن المساندة.

العبارات	دائما	أحيانا	نادرا	القيم الناقصة	المجموع
24	57	37	06	00	100
15	51	36	13	00	100
23	57	26	17	00	100

نلاحظ أيضا أن عبارات الرضا الذاتي عن المساندة الاجتماعية حققت أعلى الدرجات في اختيار "دائما" و أدنى النسب باختيار "نادرا" وهذا دليل على أن الفرد الجزائري بعد المحيط الأسري يتمتع برضا ذاتي عن المساندة الاجتماعية.

الجدول رقم ( 07) يبين توزيع أعلى اختيارات التلاميذ حسب العبارات الموجبة و السالبة في بعد المساندة من قبل النظراء.

المجموع	القيم الناقصة	نادرا	أحيانا	دائما	العبارات
100	00	09	39	52	16
100	01	12	25	62	22

وفي آخر المطاف نلاحظ أيضا أن عبارات بعد المساندة من قبل النظراء، حققت أعلى الدرجات في اختيار "دائما" وأدنى النسب باختيار "نادرا" ولكن ننوه أن في البند 16 يمد بالصلة الى لبعد الرضا الذاتي عن المساندة الاجتماعية، كما أن البند 22 يتحدث عن المساندة الانفعالية. ونظرا لخصوصية فترة المراهقة أيضا قد يمد الصلة ببعد الرضا الذاتي عن المساندة الاجتماعية .

### مناقشة عامة للنتائج:

إننا لا ننكر حسب دراسة الانطلاق الأولى حول العلاقة بين المساندة الاجتماعية و التحصيل الدراسي، أن نتائجها السلبية و عدم تحقق الفرضيات جميعها، هي نتيجة في حد ذاتها ذات قيمة علمية هامة و دالة. ولكن، حاولنا أن نزاوج هذه النتيجة بفتح نافذة أخرى في نفس السياق على عوامل خفية من شأنها أن تؤثر بشكل قوي و مباشر على هذه النتيجة. للكشف عن هذه العوامل قد نراجع منظومة التقييم و التحصيل الدراسي ككل، من جهة و من جهة أخرى، قد نراجع ظروف و مصداقية تطبيق مقياس المساندة الاجتماعية من جهة أخرى. و قد نراجع مصداقية المنظومة التربوية ككل؛ على أساس أن هذه الدراسة أنجزت في مؤسسة تربوية لعينة من المتدربين و تخص تحصيلهم الدراسي إلى جانب تصوراتهم وإدراكاتهم حول المساندة الاجتماعية. و قد نراجع سلم القيم الاجتماعية. و قد نراجع عوامل أخرى من عدة أوجه. و لكننا ارتأينا أن نقتصر على التماس "أثر بارنوم" بمقياس المساندة الاجتماعية ( للأسباب المذكورة آنفا).

هل الاقتصار على التماس "اثر بارنوم" في مقياس المساندة الاجتماعية له علاقة تفاعلية مع التحصيل الدراسي؟ و كيف لنا أن نتناول دراسة "اثر بارنوم" على المساندة

الاجتماعية و نقصي التحصيل الدراسي؟ و عليه يبدو أننا لا نحقق النظرة التكاملية للدراسة و التي كانت منطلق تساؤلات بحثنا. لقد حافظنا على متغيري المساندة الاجتماعية و التحصيل الدراسي. ان التحصيل الدراسي يعتبر تقدير كمي لا علاقة له ب"اثر بارنوم". على عكسه يعتبر مقياس المساندة الاجتماعية مشبع ب"اثر بارنوم". إن نسق الإجابات على بنود مقياس المساندة الاجتماعية و التحصيل الدراسي، جاءت العلاقة بينهما (-0,001) أي ضعيفة و سلبية. الا انه يتغذى و يضرب بجذوره في صلة تفاعلية خلفيتها المعطيات الثقافية حسب خصوصية المجتمع الجزائري. هذا التشبع يجعله أصم تجاه بعض البنود التي يكون الجواب من خلالها جامدا و جاهز القالب، فمثلا في اعلي عدد الإجابات التي تخص البند رقم (08): "منذ صغري أتلقى قدرا كبيرا من مساندة والدي"، 72% تمحورت إجاباتهم حول اختيار "دائما". ففضل الأب\_ أو الوالدين\_ مؤكد في مثل هذه المساندة الاجتماعية المقاسة. إن الإجابة على هذا السؤال جاهزة القالب وفق نموذج ثقافي مغروس في كل فرد جزائري، عن طريق التنشئة و التطبيع الاجتماعيين. و قس على ذلك بالنسبة لكل البنود.

إن الأبعاد الثلاثة مشبعة بالعوامل الثقافية: فالأسرة كجماعة مرجعية تأخذ مصدر الصدارة يلها الفرد الذي هو جزء في كينونته لهذه الأسرة، و هو فرد الجماعة. يأتي بعدها الخلان و النظراء و هم يمثلون الآخر في مستوى أخير.

إن العناصر الثقافية التي يختص بها كل مجتمع و لم تكن أبدا مؤشرا هملا لا أهمية له على الإطلاق بل نعتبره من أبرز العناصر المميزة و ذات الخصوصية المؤثرة على مجرى و سير الحياة اليومية الظاهرة منها و المستترة لكل فرد من أفراد جماعة. و نشير هنا إلى دراسة العلامة ابن خلدون الذي أحصى خصوصية الطابع الثقافي العربي. و جاء التأطير النظري و الإبراز الاجتماعي للقضايا المدروسة و المتناولة من طرف مظهر Slimane MEDHAR متضمنا وصفا مستفيضا و تحليلا دقيقا لخصائص و مظاهر الثقافة الاجتماعية التقليدية بما في ذلك النظام الاجتماعي التقليدي، هذا النظام الذي يقوم على بناء و نسج مكثف و غير منقطع لشبكات من العلاقات الاجتماعية. مع ذلك تبقى الحياة الجماعية و الروح الجماعية هي الميزة الأساسية للمجتمع الجزائري.<sup>9</sup>

وفي نفس السياق صبت دراسة كوت COTE على دراسة المجتمع الجزائري دراسة وصفية قدمت معطيات جديدة عن المجال الإتصالي المكاني في بيئة علائقية اجتماعية.

فالفرد الجزائري يبرز الانتماء للعائلة. و الخلية الأساسية للمجتمع الجزائري هي الجماعة والعائلة تلعب به دورا هاما وأساسيا.<sup>10</sup>

إن المجتمع الجزائري مؤسس على نظام علائقي فيما بين الأفراد أكثر منه على العلاقة مع المجال، كما يتميز بتماسك اجتماعي عالي و منظم حسب وحدة سلمية عالية.<sup>11</sup>

و الثقافة التقليدية تجعل من الفرد حلقة صغيرة في شبكة علاقات مثل العائلة. وتعتمد أساسا على وظيفة المساندة، التعاون، التبادل والحماية التي تضمن العلاقات الاجتماعية باسم قيم المحرمات: كالشرف، الكرامة، التعاون، التأزر، القرابة وغيرها. من خصائص المجتمعات التقليدية ارتباط الشباب بالقيم العائلية.<sup>12</sup>

كذلك صبت دراسات الباحث كاميلري CAMILLERI على دراسة الضوابط والمعايير و القيم الاجتماعية و بصفة عامة بدراسة المجتمعات التقليدية محددًا خصائصها و معطياتها و مقوماتها الاجتماعية.<sup>13</sup>

في هذا السياق نفسه تعتبر دراسة مظهر سليمان من الدراسات النفسية الاجتماعية الحديثة التي انصبت على تحليل الحياة اليومية للمجتمع الجزائري وتناولت دراسة الظاهرة النفسية الاجتماعية الجزائرية. وحسب أبحاثه، فإن الأسرة هي بمثابة القلب النابض لآليات سيره. إن الفرد مجبر في إطار الثقافة التقليدية أن يقدم صورة إيجابية عن عائلته للمحيط الخارجي و يبدي استعدادا للدفاع عنها تحت أي طارئ مع التمرن على الرقابة و الرقابة الذاتية. وعن طريق التربية يتم غرس الثقافة التقليدية عبر الأجيال و دائما تولى الأولوية للداخل على الخارج، و تبقى العائلة في النظام الاجتماعي التقليدي تمثل الركائز الاجتماعية.<sup>14</sup>

لقد جاءت نتائج هذا البحث ملتزمة "لأثر بارنوم" باستعمال القراءة الوصفية لعبارات المقياس. هذا من شأنه أن يجعل الدراسة محدودة في شكلها و طرحها. ندعو الباحثين إلى مثل هذا المنحى الدراسي لتسليط الضوء بالدراسة و التحليل على مراجعة أدوات الباحثين من مقاييس و استبيانات و مدى تشبعها بالعوامل الثقافية على ضوء الخصوصيات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري.

**الخاتمة:**

لقد تناولت هذه الدراسة أحد العوامل التي من شأنها التأثير بشكل مباشر على نتائج البحوث العلمية. فتناولنا دراسة " أثر بارنوم" انطلاقا من دراسة ميدانية و المتمثلة في دراسة العلاقة بين المساندة الاجتماعية و التحصيل الدراسي نموذجا. و باستعمال القراءة الوصفية لبنود مقياس المساندة الاجتماعية ، التمسنا " أثر بارنوم" بمقياس المساندة الاجتماعية و تشبعه بالعوامل الثقافية. و يبقى هذا البحث مقيد بمحدودية نتائجه نظرا للمنهج الوصفي و حصره في مجرد القراءة الوصفية لبنود مقياسه.

**المراجع:**

- ابن خلدون، عبد الرحمان. (2009). المقدمة. الجزائر: دار الهدى .
- السرسى، أسماء و عبد المقصود، أماني. (2008). مقياس المساندة الاجتماعية. القاهرة مصر: مكتبة الانجلو المصرية.
- اسماعيل محمد، عماد الدين. (1970). المنهج العلمي و تفسير السلوك. مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- القادري، محمد حسن الرشيد، والشويلات، منى عطا الله. (2014). مبادئ الاحصاء و الاحتمالات و معالجتها باستخدام برنامج SPSS . (ط.2). الأردن: دار الصفا.
- انجرس، موريس. (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية (ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون). (ط.2). الجزائر: دار القصبه.
- بوحفص، عبد الكريم. (2013). الأساليب الإحصائية و تطبيقاتها يدويا و باستعمال برنامج spss. (الجزء 1، 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- بوشارب شريفي، فوزية. (2010). سيكولوجية " القيل و القال " تحليل نفسي اجتماعي لممارسات اجتماعية شفهوية. دار هومه: الجزائر.
- بوشدوب، شهرزاد. (2011). المساندة الاجتماعية و علاقتها بقلق الموت لدى المصابات بسرطان الثدي. مجلة معارف. العدد 11. ديسمبر 2011. جامعة الكلي محند اولحاج: البويرة.
- بوشدوب، شهرزاد. (2014). المساندة الاجتماعية و أثرها في بعض العوامل الشخصية و استراتيجيات التعامل مع الضغط المدرسي. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية و علم النفس. المجلد 12 العدد 1. 2014. دمشق، سوريا.
- ترول، تيموثي. (2007). علم النفس الاكلينيكي. (ترجمة فوزي شاكرا طعيمة داود و حنان لطفي زين الدين). الاردن: دار الشروق.
- شلوتكه، بيتر و كاسبار، فرنس و رولر، بيرند. (2016). التشخيص النفسي الإكلينيكي. (ترجمة سامر جميل رضوان) (ط.1). لبنان: دار الكتاب الجامعي.
- CAMILLERI, Carmel et ALL . (1990). stratégies identitaires. (première édition). PARIS : PUF.

\_CAMILLERI, Carmel et TAPIA, Claude.( 1983). les nouveaux jeunes : la politique ou le bonheur jeunesse de France d'Europe et du tiers monde.

France : édition privat.

\_CAMILLERI, Carmel. jeunesse, famille et développement.(1973). PARIS :  
édition centre national de la recherche scientifique.

\_COTE, Marc.( 1983). l'espace algérien : les prémices d'un ménagement.

Algérie : OPU.

\_COTE, Marc. mutation rurales en Algérie ; le cas des hautes plaines de l'Est.

Algérie : OPU.

\_COTE, Marc.(1971). pays, paysage, paysans d'Algérie. PARIS :édition ONRS.

- CUCHE, Denys.( 1998). La notion de la culture dans les sciences sociales,

Alger :casbah éd.

\_François FILIATRAULT.(2003)science et pseudo- sciences(SPS).revue  
N°256.Mars 2003. association française pour l'information scietifique(AFIS)

- MEDHAR, Slimane.(1997).La violence sociale en Algérie. Alger :Thala éd

- MEDHAR, Slimane.(2013).Manuel d'une Algérie à la dérive. Alger :Thala éd .

\_MEDHAR, Slimane.( 1999), l'échec des systèmes politiques en Algérie. Alger :

Thala et chihab éditions.

\_MEDHAR, Slimane.( 1992). tradition contre développement. Alger : ANEP.

\_ Robert T.CARRROLL.(2007)science et pseudo-sciences(SPS).revue\_  
N°278.Aout2007.association française pour l'information scietifique(AFIS)

-WARNIER ,Jean, Pierre .( 1999). La mondialisation de la culture. Alger :casbah

éd.

<sup>1</sup> فقد وجدنا ارتباط سلبى ضعيف جدا بين درجات المساعدة الاجتماعية و درجات التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الثانية ثانوي، حيث بلغت قيمته (-0,001) عند مستوى الدلالة ( $\alpha:0,05$ ) و مستوى المعنوية  $\text{sig}=0,994$ . وجاءت هذه العلاقة سالبة أي عكسية بين المتغيرين و من ثم فإن التلاميذ اللذين تكون درجاتهم مرتفعة تميل درجاتهم في التحصيل الدراسي إلى الانخفاض و العكس صحيح.

كما لم نجد فروقا دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ( $\alpha:0,05$ ) لدرجات المساعدة الاجتماعية بين الذكور و الإناث، حيث بلغت قيمة "ت" المحسوبة (0,029) و مستوى المعنوية ( $\text{sig}=0,977$ ) و هذا يدل على عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور و الإناث حسب مقياس المساعدة الاجتماعية.

و ايضا لم نجد فرقا دالا إحصائيا عند مستوى الدلالة ( $\alpha:0,05$ ) لدرجات التحصيل الدراسي بين مرتفعي و منخفضي المساعدة الاجتماعية ، حيث بلغت قيمة "ت" المحسوبة (0,489) و مستوى المعنوية ( $\text{sig}=0,626$ ) و هذا يدل على عدم وجود فروقا دالة إحصائيا بين التحصيل الدراسي و مرتفعي و منخفضي المساعدة الاجتماعية.

كما بينت المعالجة الإحصائية عدم وجود فروقا دالة إحصائيا بين مرتفعي المساعدة الاجتماعية و مختلف أبعادها و هذا عند مستوى الدلالة ( $\alpha:0,05$ ). فبالنسبة لبعدها المساعدة من قبل النظراء بلغت قيمة "ت" المحسوبة (0,934) و مستوى المعنوية ( $\text{sig}=0,353$ ) و هذا يدل على عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين مرتفعي و منخفضي المساعدة الاجتماعية من قبل النظراء. أما بالنسبة لبعدها المساعدة من قبل الأسرة بلغت قيمة "ت" المحسوبة (0,204) و مستوى المعنوية ( $\text{sig}=0,84$ ) و هذا يدل على عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين مرتفعي و منخفضي المساعدة الاجتماعية من قبل الأسرة. كما سجلنا قيمة "ت" مقدرة ب: (0,646) لبعدها الشعور الذاتي بالمساعدة الاجتماعية و مستوى المعنوية ( $\text{sig}=0,522$ ) و هذا يدل على عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين مرتفعي و منخفضي المساعدة الاجتماعية من قبل الأسرة.

<sup>2</sup>- تيموثي ترول، 2007

<sup>3</sup>- François FILIATRAULT,2003

<sup>4</sup>- CARROLL, 2007 Robert

<sup>5</sup>- François FILIATRAULT,2003

<sup>6</sup>- تيموثي ترول، 2007

<sup>7</sup>-السرسي أسماء و عبد المقصود أماني، 2008

<sup>8</sup>-بوشدوب شهرزاد، 2011، 2014

<sup>9</sup>-بوشارب شريفى فوزية، 2010

COTE ,1988- 2 Marc.

COTE ,sans date-3 Marc

Carmel CAMILLERI et Claud TAPIA, 1983-4

13-بوشارب شريفى فوزية، 2010

Slimane MEDHAR, 1992, 1997, 1999-1

## أثر جمعيات حقوق المرأة في تغريب المرأة المسلمة، دراسة فقهية

د. محمد جبر السيد عبد الله جميل كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة

العالمية، ماليزيا

### ملخص:

This study's main problem is the effect of some women's rights societies on westernalising the muslim woman's mentality. The study aims at investigating manifesting what these societies call, the ruling and the effect of these calls, and how to face its consequences. The research has used the descriptive methodology since it tackles a phenomenon that exists at the present time. To realise the targets in question, the analytic-comparative technique has been applied. In addition, the literature has been surveyed to gather the data required. The research has drawn to the conclusions that: some women's rights societies call for forbidden demands such as the call for banning women's early marriage and prohibiting polygamy as well as asking women to give up housekeeping for the sake of outdoor job opportunities. The study recommends that the public opinion should be aware of the falsehoods of what these societies call for.

**Keywords:** Women's Rights Societies, Westernalisation of Muslim Women.

### ملخص:

تحددت مشكلة البحث في بيان أثر بعض جمعيات حقوق المرأة في تغريب المرأة المسلمة. وتمثلت أهداف البحث في تجلية المطالب التي تنادى بها هذه الجمعيات، وبيان حكمها الفقهي، وما يترتب عليها من آثار، وكيفية مواجهة هذه الآثار. واعتمد البحث على المنهج الوصفي و استند في إطار ذلك إلى الأسلوب الاستقرائي، والتحليلي. وأسفر البحث عن العديد من النتائج أهمها: أن أثر بعض جمعيات حقوق المرأة في تغريب المرأة المسلمة يتمثل في ترويج بعض الدعوات المخالفة للشرع الحنيف متمثلة في المطالبة بحظر الزواج المبكر للفتاة، وإلغاء تعدد الزوجات، ودعوة المرأة لترك وظيفتها الأساسية في الإنجاب، والتربية، والاشتغال بالحياة العامة مثلما هو الحال بالنسبة للرجل. كما أسفر البحث عن أن هناك محاور عديدة لمواجهة الأثر التغريبي لجمعيات حقوق المرأة يتمثل أهمها في تبصير الوعي بالحكم الشرعي لما تنادى به هذه الجمعيات، وتفنيد دعواها عبر وسائط الاتصال المختلفة.

**الكلمات المفتاحية:** جمعيات حقوق المرأة، تغريب المرأة المسلمة.

مشكلة البحث

لقد كَرَّم الإسلام المرأة؛ فقد بيَّن ما لها من حقوق، و أحاطها بما يحصل به حفظها، وصيانة عفتها. وساوي بينها، وبين الرجل فيما تقتضى الحكمة – التى عليها مدار التشريع فيه- المساواة فيه، وراعى ما بينهما من فروق تقتضى الحكمة مراعاتها. إلا أنه من الملاحظ أن هناك فئات من الناس تأبى إلا الخروج بالمرأة عن المنهاج الشرعى، والتغافل عما يجب اعتباره من فروق بين الجنسين، واستدراج المرأة إلى مسالك تؤدى بها إلى المهالك؛ بدعوات ظاهرها الحرص على حقوق المرأة، وباطنها الانحراف بالمرأة عن الطريق الذى حدده لها الشرع الحنيف. من ذلك تلك دعوات التغريب<sup>(1)</sup> التى تطالب بها بعض جمعيات حقوق المرأة<sup>(2)</sup> فى الآونة الأخيرة إزاء مسألة الزواج المبكر، و مسألة تعدد الزوجات، و مسألة عمل المرأة<sup>(3)</sup>.

و نظرا لما يترتب على هذه الدعوات من آثار هدامة على عقلية المرأة المسلمة، يتصدى البحث الحالى لهذه المشكلة بالدراسة فى محاولة لتجلية هذه المطالب، و بيان حكمها الشرعى، و استجلاء الآثار المترتبة عليها، و وضع تصور مقترح لمواجهتها. و يمكن تلخيص مشكلة الدراسة فى التساؤل الرئيس الآتى:

ما مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسائل الزواج المبكر، و تعدد الزوجات، و عمل المرأة، و ما حكمها الشرعى، و ما الآثار المترتبة عليها؟ و كيف يمكن مواجهة هذا الآثار؟ و يتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

- 1- ما مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة الزواج المبكر، و ما حكمها الشرعى، و ما الآثار المترتبة عليها؟
- 2- ما مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة تعدد الزوجات، و ما حكمها الشرعى، و ما الآثار المترتبة عليها؟
- 3- ما مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة عمل المرأة، و ما حكمها الشرعى، و ما الآثار المترتبة عليها؟
- 4- كيف يمكن مواجهة الآثار المترتبة على مطالب جمعيات حقوق المرأة من مطالب إزاء مسائل الزواج المبكر، و تعدد الزوجات، و عمل المرأة؟

### أهداف البحث:

- 1- بيان مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة الزواج المبكر، وحكمها الشرعي، والآثار المترتبة عليها.
- 2- بيان مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة تعدد الزوجات، و حكمها الشرعي، والآثار المترتبة عليها.
- 3- بيان مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة عمل المرأة، و حكمها الشرعي، و الآثار المترتبة عليها.
- 4- وضع تصور مقترح لمواجهة الآثار المترتبة على مطالب جمعيات حقوق المرأة من مطالب إزاء مسائل الزواج المبكر، و تعدد الزوجات، و عمل المرأة.

### أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في أمرين:

- الأهمية النظرية: حيث يحاول البحث استكمال الجهود العلمية التي انصبحت على تجلية الدعوات التغريبية، وأثرها على عقلية المرأة المسلمة.
- الأهمية التطبيقية: تتمثل في تبصير الوعي بزيف هذه الدعوات، و وضع بعض الاقتراحات لمواجهة هذه المشكلة، و التي يمكن أن يستند إليها صناع القرار في بناء سياسة رشيدة للحد من هذه المشكلة.

### منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي استنادا إلى أنه يتناول مشكلة من مشكلات الواقع الراهن. و يستند في إطار ذلك على الأسلوب الاستقرائي؛ حيث يسعى لتتبع هذه المشكلة في ضوء الأدبيات التي تناولتها بالعرض، و التحليل.

### خطة البحث

يتألف البحث من مقدمة، و أربعة مباحث، خاتمة، و فهرس كالآتي:  
المقدمة: تتناول مشكلة البحث، و أهدافه، و أهميته، و منهجه، و خطة البحث.  
المبحث الأول: يتناول مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة الزواج المبكر، و حكمها الشرعي، والآثار المترتبة عليها.  
المبحث الثاني: يتناول مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة تعدد الزوجات، و حكمها الشرعي، والآثار المترتبة عليها.

المبحث الثالث: يتناول مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة عمل المرأة، و حكمها الشرعى، والآثار المترتبة عليها.

المبحث الرابع: يتناول تصور مقترح يمكن من خلاله مواجهة الأثر التغريبي الذى تسعى هذه الجمعيات إلى تكريسه إزاء مسائل الزواج المبكر، وتعدد الزوجات، وعمل المرأة.

**المبحث الأول: مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة الزواج المبكر، و حكمها الشرعى، والآثار المترتبة عليها**

يتناول المبحث الحالى مطالب جمعيات حقوق المرأة بشأن مسألة الزواج المبكر، و حكمها الشرعى، والآثار المترتبة على ذلك على النحو الآتى:

**أولاً: مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة الزواج المبكر:**

تعالى صيحات بعض جمعيات حقوق المرأة فى بث، وترويج مفاهيم مخالفة لتعاليم الدين الإسلامى فيما

يتعلق ببعض قضايا المرأة فى الآونة الأخيرة. من ذلك، ما تصرح به الجمعية المغربية لحقوق الإنسان (4) الخاصة بالمرأة من حظر الزواج المبكر (5).

ولم يقتصر الأمر عند مجرد المطالبة بهذه الدعوات، وإنما حاولت بعض الجمعيات أن تصبغ هذه المطالب بالصبغة الشرعية: من ذلك ما يقرره المجلس القومى المصرى لحقوق المرأة (6) على لسان أحد كتابه (7) - فى هجومه على الزواج المبكر للفتاة: " يقرر الفقهاء أن سن الزواج هو سن البلوغ للفتى، والفتاة، وهو اجتهاد للفقهاء انقسم حوله الرأى فيما بينهم " و " لا يقبل الاحتجاج فى هذا المجال بما روى أن الرسول صلى الله عليه و سلم قد تزوج زوجة فى سن التاسعة أو دونهما. فالحق تبارك و تعالى قد اختص رسوله بأحكام اقتضتها ظروف الدعوة، وأحوال العصر، فلا يجوز التحدى بها فى أمور دنيوية بعد أن تغيرت ظروف الزمان، و المكان "، و " جرت محاولات بعد ثورة 25 يناير سنة 2011 لدفع مجلس الشعب نحو تعديل القانون الذى يفرض سنا أدنى لتوثيق الزواج، و محاولة خفض السن إلى الثانية عشرة أو دونهما. وتلك محاولات ينبغى التصدى لها حماية للفتيات، و دفعا للضرر المحقق عنهن " (8).

**ثانياً: الحكم الشرعى للزواج المبكر:**

ثبتت مشروعية الزواج المبكر بالأدلة الكتاب، و السنة، و الإجماع، و عمل الصحابة رضوان الله عليهم.

فمن الكتاب: قوله تعالى: **وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۗ وَأُولَئِكَ أَكْثَمَالٌ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۗ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** (9). " قوله تعالى: **وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ** يعنى الصغيرة " (10)، " فجعل للائى لم يحضن عدة ثلاثة أشهر، ولا تكون العدة ثلاثة أشهر إلا من طلاق في نكاح أو فسخ، فدل ذلك على أنها تزوج، وتطلق " (11). وفي ذلك دليل على جواز تزويج الصغيرة (12).

وقوله تعالى: **وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْيَتَامَىٰ مَثْنَىٰ وَثِلَاتَ ۖ وَرَبَاعَ** (13). قالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - في تفسير هذه الآية - حينما سألها عنها ابن اختها عروة بن الزبير: " يا ابن اختى هي اليتيمة تكون في حجر ولها تشاركه في ماله، فيعجبها مألها، وجمالها، فيريد وليها من غير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فهو أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، و يبلغوا من أعلى سننهن من الصداق " (14). فقولها - رضى الله عنها - " فهو أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن " فيه دليل على جواز نكاح الصغيرة. يقول ابن حجر - رحمه الله -: " فيه دلالة على تزويج الولي غير الأب التي دون البلوغ بكرة كانت أو ثيبا لأن حقيقة اليتيمة من كانت دون البلوغ ولا أب لها " (15).

**ومن السنة:** عن عائشة رضى الله عنها " أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع، ومكثت عنده تسعا " (16). قال النووي - رحمه الله -: " هذا صريح في جواز تزويج الأب الصغيرة بغير إذنها لأنه لا إذن لها ... و أجمع المسلمون على جواز تزويج بنته البكر الصغيرة لهذا الحديث " (17). وقال: " واعلم أن الشافعى وأصحابه قالوا يستحب أن لا يزوج الأب، والجد البكر حتى تبلغ، ويستأذنها لئلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة، وهذا الذى قالوه لا يخالف حديث عائشة لأن مرادهم أنه لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة فيستحب تحصيل الزوج لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها والله أعلم... وأما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها ... قال مالك، والشافعى، وأبو حنيفة أن تطبق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح. وليس في حديث عائشة تحديد، ولا المنع من ذلك فيمن أطاقتة قبل تسع، ولا الإذن فيمن لم تطقه، وقد بلغت تسعا " (18).

ومن الإجماع: حكى ابن المنذر - رحمه الله - الإجماع على جواز نكاح الصغيرة بقوله: " و أجمعوا أن نكاح الأب ابنته الصغيرة البكر جائز إذا زوّجها من كُفء " (19). وقال البغوي - رحمه الله -: " اتفق أهل العلم على أنه يجوز للأب، و الجد تزويج البكر الصغيرة " (20). وقال القاضي عياض - رحمه الله -: " و لا خلاف بين العلماء في جواز تزويج الأب ابنته الصغيرة التي لا يوطأ مثلها " (21). وقال ابن قدامة - رحمه الله -: " و إذا زوّج الرجل ابنته البكر، فوضعها في كَفَاءة، فالنكاح ثابت، و إن كَرِهت كبيرة كانت أو صغيرة. أما البكر الصغيرة فلا خلاف فيها " (22). وقال ابن حجر - رحمه الله -: " قال المُهَلَّب أجمعوا أنه يجوز للأب تزويج ابنته الصغيرة البكر " (23).

و من عمل الصحابة: فهناك العديد من الآثار الدالة على اشتهار الزواج المبكر بينهم من غير نكير من أحد. فروى عبد الرزاق في (المصنّف) عن عكرمة: " أن عليّ بن أبي طالب أنكح ابنته جاريةً تلعب مع الجوارى عمر بن الخطاب " (24). فقد زوّج عليّ ابنته أم كلثوم و هي صغيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما (25).

وروى سعيد بن منصور في (السنن) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: دخل الزبير بن العوام على قدامة بن مظعون يعوده فبُشِّرَ زبير بجارية، و هو عنده، فقال له قدامة: زوّجنيها، فقال له الزبير بن العوام: ما تصنع بجارية صغيرة و أنت على هذه الحال؟ قال: بلى إن عشتُ فابنة الزبير، و إن متُّ فأحبُّ من ورثتي، قال: فزوّجها إيّاه " (26). وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: " و زوّج غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ابنته صغيرة " (27).

من ذلك يتبين أن الزواج المبكر مشروع باتفاق الفقهاء. كما يتبين أنه لا خلاف بين الفقهاء على جواز تزويج الأب ابنته البكر الصغيرة - حتى لو كانت دون سن البلوغ - إذا كانت هناك مصلحة ظاهرة يخاف فوّتها بالتأخير لحديث عائشة رضى الله عنها. كما يتضح من استدلال الفقهاء بحديث عائشة - رضى الله عنها - أن زواج النبي صلى الله عليه و سلم منها ليس أمراً اختص به النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كان ذلك له، و لأُمَّته من بعده. كما يتبين أن الدعوة لتأخير سن الزواج دعوة تتصادم مع تعاليم الشريعة (28). و ذلك لأن الأدلة الشرعية تضافرت على مشروعية تكبير الزواج، بل و استحبابه إذا كان تأخير الزواج قد يفوت مصلحة يراها ولى أمر في تزويج الفتى أو الفتاة. كما يتضح أن الدعوة لتحديد سن الزواج تتعارض مع تعاليم الشرع. فقد حث الشرع

الحنيف على الزواج، ولم يحدد له سنا معينة، وإنما ربطه بالاستطاعة كما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم: " يا معشرَ الشبابِ مَنْ استطاعَ منكمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، لأنه أَعْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فإنه له وَجَاءٌ (29)"(30) .  
و(الباءة) هي القدرة على الجِماع على الأُصح (31). فالحديث يحث على الزواج، ويرغب فيه مع توفر الاستطاعة (32).

وهذا يعني أن الضابط في هذه المسألة هو القدرة على الجِماع، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص، ولا يُضبط بسنّ معينة (33).

### ثالثا: الآثار المترتبة على حظر الزواج المبكر:

يترتب على حظر الزواج المبكر العديد من الآثار السلبية، منها:

- 1- أن التأخير في سن تزويج الإناث من شأنه أن يؤثر سلبا على الاستقرار النفسي للأُنثى نظرا لفقدان السكن، والمودة، والإحسان.
- 2- أن التأخير في الزواج قد يزوج بالفتاة إلى مهاوى الرذيلة لا سيما في العصر الحالي الذي تيسرت فيه سبل الانحراف عن الجادة.
- 3- أن التأخير في سن الزواج من شأنه تقليل نسل الأمة. فالفتاة تكون أكثر خصوبة للإنجاب في سنى حياتها المبكرة مقارنة بسنى حياتها المتأخرة (34). و في ظل التأخير في سن الزواج، تقل فرص الإنجاب، وتكثير النسل. وهذا معارض لأمره صلى الله عليه وسلم بمكاثرة النسل في قوله: " تزوجوا الودود الولود إني مكاثركم الأنبياء يوم القيامة " (35).

### المبحث الثاني: مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة تعدد الزوجات، وحكمها

الشرعي، والآثار المترتبة عليها.

يتناول المبحث الراهن مطالب بعض جمعيات حقوق المرأة بشأن مسألة تعدد الزوجات، وحكمها الشرعي، والآثار المترتبة على ذلك على النحو الآتي:

#### أولا: مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة تعدد الزوجات:

هناك جمعيات نسائية تطالب بمنع تعدد الزوجات، و ترى أن تعدد الزوجات إهانة، واحتقار للمرأة (36). فتطالب الجمعية المغربية لحقوق الإنسان صراحة بمنع تعدد الزوجات، وتعتبره مطلبا أساسيا من مطالبها بشأن المرأة (37).

و يشير المجلس القومى المصرى للمرأة على لسان أحد كتابه بأن مسألة تعدد الزوجات لم يأمر بها الإسلام، ويستلزم تجريمها إذا ما واتت الفرصة لذلك، فيقول: " ليس من المأمول تجريم تعدد الزوجات أو المطالبة بذلك في الوقت الحاضر. لذلك لا يكون هناك مفر من التعويل على الدعاة في بيان حقيقة تعدد الزوجات، وأن الإسلام لم يأمر به، ولم يأت به، وأنه ليس مقصودا لذاته، بل هو أقرب إلى المحظورات التي أباحها الإسلام للضرورة " (38). و هذا من قبيل وضع العراقيين أمام تعدد الزوجات تمهيدا لإلغائه (39).

### ثانيا: الحكم الشرعى لتعدد الزوجات:

ثبتت مشروعية تعدد الزوجات بالأدلة من الكتاب، والسنة، والإجماع:  
**فمن الكتاب:** قوله تعالى: **"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"** (40). ففى الآية دليل على جواز التعدد؛ بمعنى الآية تزوجوا ما حل لكم من النساء بشرط ألا يتجاوز الأربع، وأن يتوخى العدل بينهما. يقول القرطبي - رحمه الله -: " قال الضَّحَّاك، والحسن وغيرهما: إن الآية ناسخة لما كان في الجاهلية، و أول الإسلام، من أن للرجل أن يتزوج من الحرائر ما شاء، فقَصَّرَهِنَّ الآية على أربع " (41). إلا أن ذلك مشروط بالعدل بين الزوجات الأربع. فقوله تعالى: ( فواحدة)؛ دليل على منع " الزيادة التي تؤدي إلى ترك العدل في القَسْم، وحسن العشرة " (42).  
**ومن السنة:** ما رواه سالم بن عبد الله: أَنَّ غِيلَانَ أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- " إِخْتَرِ أَرْبَعًا، وَفَارِقِ سَائِرُهُنَّ " (43). قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: " فدللت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن انتهاء الله عز وجل في العَدَدَ بالنكاح إلى أربع تحريم أن يجمع رجل بنكاح بين أكثر من أربع " (44).  
 ولقد عدد الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته بعد وفاة خديجة رضى الله عنها. وقد عدد الصحابة زوجاتهم في عهده صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر عليهم ذلك (45).  
 ولقد عدد التابعون زوجاتهم، و عدد تابعوا التابعين، و ما زال المسلمون يعددون زوجاتهم في الأقطار المختلفة، ولم ينكر أحد عليهم هذا التعدد (46).  
**ومن الإجماع:** انعقد الإجماع على إباحة التعدد (47). يقول ابن حزم - رحمه الله -: " لا يحل لأحد أن يتزوج أكثر من أربعة نسوة إماء أو حرائر أو بعضهنَّ حرائر وبعضهنَّ إماء " (48).

يقول الكاساني: " لا يجوز للحر أن يتزوج أكثر من أربع زوجات من الحرائر والإماء عند عامة العلماء " (49). ويقول الميرغيناني: " للحر أن يتزوج أربعاً من الحرائر، والإماء، و ليس له أن يتزوج أكثر من ذلك " (50). ويقول ابن رشد - رحمه الله -: " اتفق المسلمون على جواز نكاح أربعة من النساء معاً، وذلك للأحرار من الرجال " (51). ويقول ابن قدامة - رحمه الله -: " ليس للحر أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات، أجمع أهل العلم على هذا " (52).

وذهب بعض العلماء المعاصرين إلى أن الأصل في الزواج التعدد بشرط توفر الاستطاعة، وتحقيق العدل بين الزوجات. كما ذهب هذا الفريق إلى أن تعدد الزوجات مستحب. فيقول الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: " الأصل في ذلك [ أى: الزواج ] شرعية التعدد لمن استطاع ذلك، ولم يخف الجور لما في ذلك من المصالح الكثيرة في عفة فرجه، وعفة من يتزوجهن، والإحسان إليهن، وتكثير النسل الذي تكثر به الأمة، ويكثر من يعبد الله وحده " (53). وحينما سُئِلَ الشيخ - رحمه الله -: هل تعدد الزوجات مباح في الإسلام أو مسنون؟ أجاب - رحمه الله - قائلاً: " تعدد الزوجات مسنون مع القدرة " (54).

من هذا يتبين أن تعدد الزوجات ليس نظاماً استثنائياً أو نظاماً محظوراً أباحه الإسلام للضرورة، إنما هو نظام أصيل أقره الإسلام، ووضع له ضوابطه لاتفاقه مع مقصود الشريعة في حفظ النسل، وحماية المجتمع من غائلة الزنا، واختلاط الأنساب من جانب (55)، ولتجاوبه مع طبيعة الإنسان البشرية التي ساقته إلى التعدد من جانب آخر. فالوقوف أمام تلك الفطرة هو أمر يُنزه عنه الشارع الحكيم (56).

### ثالثاً: الآثار المترتبة على منع تعدد الزوجات:

يترتب على حظر تعدد الزوجات العديد من الآثار السلبية منها:

- 1- أن حظر تعدد الزوجات يغلق فرص الزواج أمام الكثير من العانسات، والمطلقات، والأرامل. وهذا يجرمهن من الحق من الزواج. و ليس من المساواة حرمان بعض النساء في المجتمع من هذا الحق، وإعطائه للبعض الآخر. هذا فضلاً عن أن ذلك قد يدفع ببعض النساء ممن حرمن من حق الزواج إلى الانحراف (57).

2- أن منع الحق من التعدد يؤدي إلى المشقة، والحرص لكثير من الرجال. فبعض النساء قد تكون مصابة بالعمق، أو تعاني من عيب جنسى أو مرض عضال فلا يتحقق التناسل وهو من المقاصد الرئيسة للزواج. وقد تكون المرأة مصابة بأى مرض آخر يقعدها عن القيام بالأعباء الزوجية، وربما كان ذلك دافعا للطلاق، وهدم كيان الأسرة أو فتح باب الخليلات، وما يترتب على ذلك من تقويض للبناء المجتمعي<sup>(58)</sup>.

3- أن حظر تعدد الزوجات في ظل زيادة عدد النساء عن عدد الرجال في الكثير من المجتمعات لا يحقق آمال الكثيرات منهن في الزواج في. وهذا يفتح الباب أمام الخليلات، وزيادة الأولاد غير الشرعيين<sup>(59)</sup>.

**المبحث الثالث: مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة عمل المرأة، وحكمها الشرعي، والآثار المترتبة عليها**

يتناول المبحث الحالي مطالب بعض جمعيات حقوق المرأة بشأن مسألة عمل المرأة، وحكمها الشرعي، والآثار المترتبة على ذلك كالاتي:

**أولا: مطالب جمعيات حقوق المرأة إزاء مسألة عمل المرأة:**

تنادى الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بوجوب خروج المرأة للعمل سواء أكانت هناك ضرورة تستدعي ذلك أو لا سواء بسواء مثل الرجل<sup>(60)</sup>. وذلك بزعم إعطاء المرأة الحق في الإسهام في جميع أمور الحياة، وخروجها مع الرجل متكافئة متساوية<sup>(61)</sup>.  
و يصبغ المجلس القومي المصري للمرأة هذا المطلب بالصبغة الشرعية - على لسان أحد كتابه - فيقول: " حق المرأة في العمل يقره الإسلام، فالآيات القرآنية التي تجعل العمل جزءا من العبادة لا تفرق في الخطاب بين الرجل، والمرأة، والأحاديث النبوية التي تحض على العمل لم تفرق حسب الجنس. كما لا توجد نصوص قطعية الثبوت، و الدلالة في القرآن أو السنة النبوية تحدد مجالات عمل المرأة أو تحظر عليها أعمالا أو مهنا أو وظائف معينة. و من ثم لا وجود للتمييز في مجال العمل على أساس الجنس من المنظور الإسلامي. و ما قد يوجد في هذا الخصوص لا يعدو أن يكون اجتهادا للفقهاء انقسم حوله الرأي فيما بينهم " <sup>(62)</sup>. بل و يمضى الكاتب مقررا أن " من حق المرأة أن تخرج للعمل المشروع من دون إذن زوجها، و لو لم تكن قد اشترطت عليه ذلك في عقد الزواج " <sup>(63)</sup>.

### ثانيا: الحكم الشرعي لمسألة عمل المرأة:

الأصل هو ملازمة المرأة لبيتها، و اشتغالها برعاية الزوج، و الأبناء، و لا يكون خروجها من بيتها لعمل أو لغيره إلا لضرورة. و لا يكون خروجها من المنزل إلا بإذن زوجها اللهم إذا استدعت الضرورة خلاف ذلك. و يجرى تفصيل حكم هاتين المسألتين كالآتي:

#### المسألة الأولى: حكم ملازمة الزوجة للبيت:

يحث الإسلام الزوجة على ملازمة بيت زوجها، و الاشتغال برعاية الزوج، و الأبناء. فلا تخرج من البيت إلا للاضطرار. و يستدل على ذلك بالعديد من الأدلة من الكتاب، و السنة:

فمن الكتاب: قوله تعالى: **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** (64).

يقول ابن كثير - رحمه الله - : " **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** أى: إلزمن فلا تخرجن لغير حاجة " (65). ففى ذلك " إشارة إلى ما يلزم المرأة من لزوم بيتها، و الانكفاف عن الخروج منه، إلا لضرورة " (66). و يقول أبو بكر الجصاص - رحمه الله- "فيه الدلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت، منهيات عند الخروج " (67).

و من السنة: عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيتيه، و الأمير راع، و الرجل راع على أهل بيته، و المرأة راعية على بيت زوجها، و ولده، فكلكم راع، و كلكم مسئول عن رعيتيه " (68). و الشاهد من الحديث قوله صلى الله عليه و سلم: " و المرأة راعية على بيت زوجها، و ولده ". يقول ابن حجر - رحمه الله - " رعاية المرأة تدير أمر البيت، و الأولاد، و الخدم، و النصيحة للزوج " (69).

و عن عائشة قالت: " **خَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ لَيْلًا فَرَأَاهَا عَمْرُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ: إِنَّكَ وَاللَّهِ يَا سَوْدَةُ مَا تَخْفِينَ عَلَيْنَا، فَرَجَعْتَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ وَهُوَ فِي حُجْرَتِي يَتَعَشَّى، وَإِنَّ فِي يَدِهِ لَعَرَقًا** " (70)،

فَأُنزِلَ عَلَيْهِ، فَرُفِعَ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ: قَدْ أَدَانَ اللَّهُ لَكِنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ " (71). يقول النووي - رحمه الله - " فيه ...جواز خروج المرأة من بيت زوجها لقضاء حاجة الإنسان إلى الموضع المعتاد لذلك " (72). وهذا يدل على أن الأصل هو ملازمة المرأة لبيتها، و تجنب الخروج منه إلا ما دعت إليه الضرورة. " فليس الإذن فى خروجهن إلا رخصة، و تيسيرا " (73)

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - : " فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزّلها لا يكثر صعودها، واطلاعها" (74).

من هذا يتبين أن الدور الأساسي للمرأة هو رعاية الأسرة، وليس السعى على العمل خارج المنزل، والاشتغال بالحياة العامة. " فقد جعلت المرأة منوطة برعاية المنزل، وتديبر شؤونه. و خروجها من المنزل للضرورة فحسب كأن لا يكون هناك معيل لها، أو لعجز المعيل عن إعالتها لمرض أو نحوه (75). فإن " مقام المرأة و مستقرها هو البيت. و ما وضعت عنهن واجبات خارج المنزل إلا ليلازمن البيوت بالسكينة والوقار، و يقمن بواجبات الحياة العائلية. أما إن كان بهن حاجة للخروج، فيجوز لهن أن يخرجن من البيت بشرط أن يراعين جانب العفة، و الحياء " (76). و هذا يتضح أن الإسلام حدد للمرأة وظيفة أساسية، و أناطها بها، و هي رعاية الزوج، و تربية الأبناء.

#### المسألة الثانية: خروج المرأة من البيت بغير إذن زوجها:

لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها دون إذن زوجها للعديد من الأدلة من الكتاب، و السنة:

فمن الكتاب: قوله تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْقَضُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ" (77). يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ" فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد، و هو أن يقوم بتدبيرها، و تأديبها، و إمساكها في بيتها، و منعها من البروز، و أن عليها طاعته، و قبول أمره ما لم تكن معصية " (78)؛ أي أن مفهوم القوامة يتضمن حق إمساك الرجل امرأته عن الخروج من المنزل إلا بإذنه، و عليها الامتثال لذلك إلا أن تكون هناك معصية.

ومن السنة: جاء في الصحيحين أن عائشة - رضی الله عنها - قالت للنبي صلى الله عليه و سلم: " أتأذن لي أن أتى أبوي " (79). قال الإمام النووي رحمه الله: فيه " أن الزوجة لا تذهب لبيت أبويها إلا بإذن زوجها " (80).

و روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها " (81).

قال القاضي عياض - رحمه الله - : " فيه دليل على أن للرجل منع امرأته من الخروج إلا بإذنه " (82).

ويقول ابن حجر - رحمه الله - : " جواز الخروج يحتاج إلى إذن الزوج " (83).

وروى البخارى في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تصومُ المرأةُ وبعَلُها شاهد إلا بإذنه " (84). فالحديث يدل على أنه ليس للمرأة أن تصوم صيام التطوع إلا بإذن زوجها. فإذا كان لا يجوز للمرأة صيام التطوع إلا بإذن زوجها، فلا يجوز لها الخروج من بيتها دون إذنه من باب أولى.

ويقول الشيخ زكريا الأنصارى في (أسنى المطالب): " ولا يجوز للمرأة " الخروج من المنزل إلى غيره بغير إذن الزوج "، فإنها إن خرجت تعد ناشزا، وهى آثمة بذلك إلا أن تكون هناك ضرورة كشرء ما لا بد منه أو خافت من انهدام المنزل (85).

ويقول الرّجيبانى في (مطالب أولى النهى): " ويحرم خروج الزوجة بلا إذن الزوج أو بلا ضرورة كإتيان بنحو مأكّل، لعدم من يأتيها به " (86). " ولا يصح إجارة الزوجة لرّضاع، وخدمة، وصنّعة بعد نكاح إلا بإذن الزوج " (87). من ذلك يتبين أن الأصل أنه لا يجوز للمرأة الخروج من المنزل للعمل أو لغيره دون إذن الزوج إلا إذا استدعت الضرورة ذلك. وبذا يتضح أن الدعوة بأن من حق المرأة أن تخرج للعمل المشروع من دون إذن زوجها تتعارض مع تعاليم الشرع.

### ثالثا: الآثار المترتبة على عمل المرأة:

يترتب على عمل المرأة خارج المنزل العديد من الآثار السلبية منها:

- 1- إن عمل المرأة خارج المنزل يترتب عليها اختلاطها بالرجال؛ وقد ينجم عن هذا وقوعها فريسة للتحرش الجنسى، وارتكاب الزنا (88).
- 2- إن عمل المرأة خارج البيت يؤدي إلى إنهاكها نفسيا، وبنديا لأنه يشكل عبئا إضافيا إلى جانب ما تقوم به من أعمال داخل المنزل (89).
- 3- إن عمل المرأة خارج البيت يترتب عليه " تفكك الأسرة، وتشرد الأطفال، وهذا من أكبر العوامل في انحلال المجتمع وانهياره " (90).
- 4- إن اشتغال المرأة يؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيرا سلبيا، باعتبار أن خروجها للعمل فيه مزاحمة للرجل في مجال نشاطه الطبيعي، مما يؤدي إلى تفاقم مشكلة البطالة بين الرجال (91).

المبحث الرابع: تصور مقترح يمكن من خلاله مواجهة الأثر التغريبي الذي تسعى هذه الجمعيات إلى تكريسه

مما تقدم يتضح أن الأثر التغريبي لبعض جمعيات حقوق المرأة على عقلية المرأة المسلمة يتمثل في نشر، وترويج مفاهيم مخالفة لتعاليم الإسلام تتمثل في الدعوة لحظر الزواج المبكر، ومنع تعدد الزوجات، ودعوة المرأة للعمل، وترك وظيفتها الأساسية في رعاية الأسرة. كما يتضح أن هناك آثارا سلبية عديدة لهذه الدعوات الهدامة. ولمواجهة أثر هذه الدعوات، كان من الأهمية بمكان تنسيق الجهود، وتكاملها، وتكاتفها على كافة الأصعدة التربوية، والإعلامية، والتشريعية، والعقابية للحد منها. ويتضح ذلك في المحاور الأربعة الآتية:

#### المحور الأول: المحور التربوي:

ذلك بأن تقوم المؤسسات المعنية بالتربية متمثلة في الأسرة، والمسجد، ومعاهد التعليم في تنشئة الفتيات على تعاليم دينهن منذ نعومة أظفارهن. فهذا يربي داخلهن الخشية من الله تعالى. فيحصنهن من مغبة الوقوع فريسة لهذه الدعوات الهدامة<sup>(92)</sup>. فتربي المرأة المسلمة على الإيمان بأهمية الزواج المبكر، والاتجاه الإيجابي نحو تعدد الزوجات، وأهمية ملازمة المنزل للقيام بدورها في رعاية حق الزوج، وتربية النشء على تعاليم الإسلام، والإيمان بأن هذا الدور يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى<sup>(93)</sup>. وأن خروجها من المنزل لا يكون إلا للضرورة مثلما هو الحال عند عدم وجود معيل لها. وإن اضطرت للعمل خارج المنزل؛ فلا يكون ذلك إلا في إطار الضوابط الشرعية، وفي وظائف تتفق مع طبيعتها، ورسالتها، كالتطبيب للنساء، والأطفال، والتعليم في مدارس الإناث<sup>(94)</sup>.

#### المحور الثاني: المحور الإعلامي:

يتمثل ذلك في قيام مراكز وهيئات التوعية الإسلامية في العالم الإسلامي استغلال وسائل الإعلام، ووسائل الاتصال الحديثة في دحض، وتفنيد الشبهات التي تثيرها بعض جمعيات حقوق المرأة فيما يتعلق بمسألة الزواج المبكر، ومسألة تعدد الزوجات، ومسألة القرار في المنزل. هذا بجانب إبراز ما يعاني منه المجتمع الغربي من تفكك وانحلال من جراء محاربة تعدد الزوجات، وهجر المرأة لوظيفتها الأساسية في رعاية الزوج، وتربية الأبناء<sup>(95)</sup>.

### المحور الثالث: المحور التشريعي:

يتمثل ذلك في قيام المجالس التشريعية في البلاد الإسلامية بالمطالبة بإلغاء التشريعات التي تضع العراقيل إزاء الزواج المبكر، و تعدد الزوجات، و العمل على إصدار التشريعات الكفيلة بتيسير السبل أمام الزواج المبكر، و تعدد الزواج، و ملازمة المرأة لبيتها للقيام بدورها في رعاية الزوج، و تربية الأبناء على تعاليم الشرع الحنيف، و عدم الاشتغال خارج المنزل إلا إذا استدعت الضرورة ذلك<sup>(96)</sup>.

### المحور الرابع: المحور العقابي:

يتمثل ذلك في قيام أولياء الأمور في البلاد الإسلامية بحل جمعيات حقوق المرأة الهدامة، و مساءلة القائمين عليها، و من يمدونها بوسائل الدعم المباشر، و غير المباشر. كما يتمثل ذلك في قيام الأجهزة العقابية في البلاد الإسلامية باتخاذ إجراءات عقابية ضد كل من يقف كحجر عثرة أمام التزويج المبكر للفتيات، و إباحة تعدد الزوجات، و ملازمة المرأة لبيتها.

**الخاتمة:**

تمحورت مشكلة البحث الحالي حول أثر جمعيات بعض حقوق المرأة في تغريب المرأة المسلمة. وتمثلت أهداف البحث في تجلية المطالب التي تنادى بها هذه الجمعيات، و بيان حكمها الفقهي، وما يترتب عليها من آثار، ووضع تصور يمكن من خلاله مواجهة الأثر التغييري الذي تسعى هذه الجمعيات إلى تكريسه.

و أسفر البحث عن العديد من النتائج أهمها:

**أولاً:** تجلى أثر بعض جمعيات حقوق المرأة في تغريب المرأة المسلمة في بث، وترويج بعض المفاهيم المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي متمثلة في الدعوة إلى حظر الزواج المبكر، و إلغاء تعدد الزوجات، وخروج المرأة من المنزل للعمل لضرورة أو غير ضرورة أسوة بالرجل.

**ثانياً:** تبين أن الزواج المبكر مشروع باتفاق الفقهاء، بل و استحبابه إذا كان تأخيره قد يفوت مصلحة للفتاة. كما تبين أن زواج النبي صلى الله عليه و سلم منها ليس أمراً اختص به النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كان ذلك له، ولأمته من بعده.

**ثالثاً:** تبين أن تعدد الزوجات ليس نظاماً استثنائياً أو نظاماً محظوراً أباحه الإسلام للضرورة، إنما هو نظام أصيل أقره الإسلام، و وضع له ضوابطه لاتفاقه مع مقصود الشريعة في حفظ النسل، ولتجاوبه مع الفطرة الإنسانية.

**رابعاً:** تبين أن الأصل هو قرار المرأة في بيت زوجها للقيام بوظيفتها الأساسية في رعاية الزوج، والإنجاب، وتربية الناشئة. كما تبين أنه لا يجوز للمرأة الخروج من المنزل للعمل أو لغيره دون إذن الزوج إلا إذا استدعت الضرورة.

**خامساً:** تبين أن مواجهة الأثر التغييري لجمعيات حقوق المرأة تتطلب توحيد الجهود، وتكاتفها على المستوى التربوي، والإعلامي، و التشريعي، و العقابي.

فهرس المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- 1- أحمد الحُصَيْن، لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، ط1، ( الرياض: دار الضياء، 1410هـ - 1990م ).
- 2- أحمد سلامة القليوبي ، المتوفى سنة (1069هـ)، وأحمد عميرة البرلسى، المتوفى سنة (957هـ)، د. ط.، ( بيروت: دار الفكر، 1415هـ - 1995م ).
- 3- أحمد بن على، أبو بكر الجصَّاص الرازى الحنفى، المتوفى سنة (370هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوى، د. ط.، ( بيروت: دار إحياء التراث العربى، 1405هـ ).
- 4- أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى، أبو الحسين، المتوفى سنة (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط.، ( بيروت: دار الفكر، 1399هـ - 1979م ).
- 5- أبو الأعلى المودودى، الحجاب، تعريب: محمد كاظم سَبَّاق، ط2، ( دمشق: دار الفكر، 1384هـ - 1964م ).
- 6- أنور الجندى، شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى، د. ط.، ( دمشق: المكتب الإسلامى، 1398هـ - 1978 ).
- 7- أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الجَمِيرى اليمانى الصَّنَعانى، المتوفى سنة (211هـ)، المُصنَّف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، ط2، ( الهند: المجلس العلمى، 1403هـ ).
- 8- أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابورى، المتوفى سنة (319هـ)، الإجماع، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، ( القاهرة: دار المسلم، 1425هـ - 2004م ).
- 9- تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مُطيع القشيرى، الشهير بابن دقيق العيد، المتوفى سنة (702هـ)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، د. ط.، ( القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، د. ت. ).

- 10- الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، المكتب المركزي، المطالب الأساسية للجمعية المغربية لحقوق الإنسان الخاصة بالمرأة – مارس (2012)  
<http://www.amdh.org.ma/ar/about-amdh/statuts>
- 11- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المتوفى سنة (597هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطى أمين القلعي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ - 1985م).
- 12- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المتوفى سنة (505هـ)، إحياء علوم الدين، د. ط..، (بيروت: دار المعرفة، د. ت.).
- 13- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة (261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط..، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.).
- 14- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، (المتوفى 807هـ)، مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، د. ط..، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1414هـ - 1994م).
- 15- خادم حسين إلهي بخش، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، رسالة دكتوراه غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، و الدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، قسم الدراسات العليا الشرعية، 1404-1405).
- 16- زكريا محمد بن زكريا الأنصاري، المتوفى سنة (926هـ)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.).
- 17- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة (676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ).
- 18- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي، المتوفى (666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، (بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ - 1999م).

- 19- سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزاني، المتوفى سنة (227هـ)، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1، (الهند: الدار السلفية، 1403هـ - 1983م).
- 20- شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، المتوفى (977هـ)، مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م).
- 21- أبو عبد الرحمن: فضل تعدد الزوجات؛ فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تقریظ: أبو بكر جابر الجزائري، تقديم: على بن محمد بن سينان، ط1، (الرياض: دار المنار، 1411هـ - 1991م).
- 22- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي الأنصاري الخزرجي شمس الدين، المتوفى سنة (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، و ابراهيم أطفيش، ط2، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م).
- 23- أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المكي، المتوفى سنة (204هـ)، الأم، د. ط.، (بيروت: دار المعرفة، 1410هـ - 1990م).
- 24- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، المتوفى سنة (256هـ)، صحيح البخاري، ط1، (دمشق: دار ابن كثير، 1432هـ - 2002م).
- 25- عبد الناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات من النواحي الدينية، و الاجتماعية، والقانونية، د. ط.، (القاهرة: الشركة المصرية للطباعة، و النشر، 1392هـ - 1972م).
- 26- علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، المتوفى سنة (587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ - 1986م).

27- على بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني، أبو الحسن برهان الدين الميرغيناني، المتوفى سنة (593هـ)، الهداية في شرح بداية المبتدى، تحقيق: طلال يوسف، د. ط.، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.).

28- فتوح الشاذلي، حقوق المرأة في مجال الأحوال الشخصية؛ إشكاليات الزواج من الوجهة القانونية، مقال منشور على الموقع الرسمى للمجلس القومى للمرأة بتاريخ: الإثنين، (15) أكتوبر 2012.

<http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/docswomen/pslara/443-pslara3>

29- فتوح الشاذلي، حماية المرأة في قوانين العمل، و الوظيفة العامة، مقال منشور على الموقع الرسمى للمجلس القومى للمرأة بتاريخ: الإثنين، (15) أكتوبر 2012.

<http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/docswomen/pslara/443-pslara3>

30- أبو الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى البصرى الدمشقى، المتوفى سنة (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ).

31- أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى، المتوفى سنة (852هـ)، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعى الكبير، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ط1، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، 1416هـ-1995م).

32- أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى، المتوفى سنة (852هـ)، فتح البارى شرح صحيح البخارى، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تخريج: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د. ط.، (بيروت: دارالمعرفة، 1379هـ).

33- أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن ابراهيم العراقى، المتوفى سنة (806هـ)، طح التثريب في شرح التقريب، الطبعة المصرية القديمة، (بيروت: دار إحياء التراث العربى، د. ت.).

- 34- أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، المتوفى سنة (544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط1، (القاهرة: دار الوفاء، 1419هـ-1998م).
- 35- محمد بن أحمد الدسوقي المالكي، الشهير بابن عرفة، المتوفى سنة (1230هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، د. ط.، (بيروت: دار الفكر، د. ت.).
- 36- محمد بن اسماعيل أبو عبد الله الجعفي البخاري، المتوفى سنة (256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ).
- 37- أبو محمد حسين بن مسعود بن محمد بن الفرّاء البغوي الشافعي، المتوفى سنة (516هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش، ط2، (دمشق-بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ-1983م).
- 38- محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، ط2، (القاهرة: دار المحدثين للبحث العلمي، و الترجمة، و النشر، 1431هـ-2010م).
- 39- محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، د. ط.، (بيروت: دمشق: المكتب الإسلامي، 1404هـ-1984م).
- 40- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، المتوفى سنة (456هـ)، المحلى بالآثار، د. ط.، (بيروت: دار الفكر، د. ت.).
- 41- محمد بن عبد الله أبو بكر المغافري الإشبيلي المالكي، الشهير بابن العربي، المتوفى سنة (543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ-2013م).
- 42- محمد بن محمد شتا أبو سعد، تعدد الزوجات إعجاز تشريعي يوقف المد الاستشراقي، د. ط.، (القاهرة: د. ن.، د. ت.).
- 43- محمد بن ناصر العريني، المرأة بين تكريم الإسلام، ودعاوى التحرير، ط2، (المملكة العربية السعودية: الرياض، د. ن.، 1420هـ).

- 44- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمد الجماعيلي المقدسي، الشهير بابن قدامة، المتوفى سنة (620هـ)، المغني، د. ط.، (القاهرة: مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968).
- 45- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشَّيبَانِي الجَزْرِي، الشهير بابن الأثير، المتوفى سنة (606هـ)، النهاية في غريب الحديث، و الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، و محمود محمد الطنّاحي، د. ط.، (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م).
- 46- مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه، و القانون، ط7، (الرياض: مكتبة الوَرَّاق، 1420هـ - 1999م).
- 47- مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي الرَّجِيبَانِي، المتوفى سنة (1243هـ)، مطالب أولى النّبي في شرح غاية المنتهى، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1415هـ - 1994م).
- 48- موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم المقدسي، شرف الدين أبو النجا الحجاوي، المتوفى سنة (968هـ)، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، د. ط.، (بيروت: دار المعرفة، د. ت.).
- 49- نور الدين عيثر، ماذا عن المرأة، ط11، (دمشق- بيروت: دار اليمامة، 1424هـ - 2003م).
- 50- نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثي، المتوفى سنة (807هـ)، كشف الأستار عن زوائد البرّار، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1399هـ - 1979م).
- 51- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي، الشهير بابن رشد الحفيد، المتوفى سنة (595هـ)، بداية المجتهد، و نهاية المقتصد، د. ط.، (القاهرة: دار الحديث، 1425هـ - 2004م).
- 52- يوسف القرضاوي، الحلال، و الحرام في الإسلام، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ط13، (دمشق - بيروت: المكتب الإسلامي، 1400هـ - 1980م).

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- 51- D. E.Battaglia, P. Goodwin, N. A. Klein, and M. R. Soules, Fertilization and Early Embryology: Influence of Maternal Age on Meiotic Spindle Assembly Oocytes from Naturally Cycling Women, **Oxford Journals**, Medicine & Health, Human Reproduction, (Oxford University Press, Oxford, 1996).
- 52- <http://www.amdh.org.ma/ar/about-amdh/statuts>
- 53-<http://www.amdh.org.ma/ar/mataleb/elmarea>
- 54-<http://old.dotmsr.com/ar/701/1/136110>
- 55-<http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/about-ncw/presidential-decree>
- 56-<http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/docswomen/pslara/443-pslara3>

(1) التَّغْرِيبُ في اللغة: النَّقْيُ عن اليَدِّ. و(عَرَبَ): بَعَدَ. و(عَرَبَتِ الشمسُ: بَعُدَتْ. و(عَرَبَ): أَبْعَدَهُ، و(عَرَبَ) كل شيء: حَدَّهُ. و(العَرَبُ)، و(المُغْرِبُ): حَدُّ الشيء. و(العُرْبَةُ: البُعْدُ عن الوطن. إذن التغريب في اللغة بمعنى الإبعاد، والتنحية. ويعرف التغريب في الاصطلاح بأنه: " صبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتواؤها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها، وكيانها، وتنمى فيها ما أطلق عليه اسم الثقافة العالمية أو الفكر الأممي ". ويلاحظ أن المعنى الاصطلاحي للتغريب أعم، وأشمل من المعنى اللغوي. فالمعنى الاصطلاحي لا يقتصر على معنى الإبعاد، والإقصاء عن ثقافة بعينها، وهو ما يتضمنه المعنى اللغوي، إنما يشمل أيضا معنى التقريب، والدمج في ثقافة أخرى. وعلى ذلك فالمراد بتغريب المرأة المسلمة هو تشكيل المرأة المسلمة فكرا، وقيما، وسلوكا وفقا للنمط الغربي (الأوروبي والأميركي)، وطمس معالم شخصيتها الإسلامية. يراجع: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، 1399هـ-1979م)، د. ط. ج4، باب: الغين، ص420-423، والرازي، مختار الصحاح، ط5، باب: الغين، ص225، وأنور الجندی، شہات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، (دمشق: المكتب الإسلامي، 1398هـ-1978)، د. ط. ص3.

(2) جمعيات حقوق المرأة هي منظمات حكومية، وغير حكومية منوطة بالدفاع عن حقوق المرأة. منها في مصر على سبيل المثال: المجلس القومي للمرأة، والمركز المصري لحقوق المرأة، ومؤسسة المرأة الجديدة، وفي المغرب: الجمعية المغربية لحقوق الإنسان. هذا وقد ركز الغرب على إنشاء العديد من هذه الجمعيات بأهداف معلنة ظاهرها الدفاع عما أسموه بحقوق المرأة، والغرض الحقيقي هو تجريد المرأة من هويتها الإسلامية. هذا وسيقتصر البحث الحالي على نموذجين من هذه الجمعيات هما: المجلس القومي للمرأة كنموذج للجمعيات الحكومية، والجمعية المغربية لحقوق الإنسان كنموذج للجمعيات الأهلية.

للمزيد من التفصيل يراجع: خادم حسين إلهي بخش، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، قسم الدراسات العليا الشرعية، 1404-1405). ص 135- 143، و

<http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/about-ncw/presidential-decree>

<http://www.amdh.org.ma/ar/about-amdh/statuts> <http://old.dotmsr.com/ar/701/1/136110>

(3) <http://www.amdh.org.ma/ar/mataleb/elmarea>

(4) الجمعية المغربية لحقوق الإنسان هي منظمة غير حكومية تأسست بالمغرب في يونيو عام 1979

للدفاع عن حقوق الإنسان المغربي. يراجع: <http://www.amdh.org.ma/ar/mataleb/elmarea>

- (5) الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، المكتب المركزي، المطالب الأساسية للجمعية المغربية لحقوق الإنسان الخاصة بالمرأة – مارس (2012) <http://www.amdh.org.ma/ar/about-amdh/statuts>
- (6) المجلس القومي للمرأة هو مجلس حكومي متخصص في شئون المرأة المصرية. والمجلس تابع لرئاسة الجمهورية، ومقره مدينة القاهرة. وقد جرى إنشائه بموجب القرار الجمهوري رقم (90) لسنة (2000). يراجع: <http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/about-ncw/presidential-decree>
- (7) الكاتب هو: فتوح الشاذلي، أستاذ بكلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، مصر.
- (8) فتوح الشاذلي، حقوق المرأة في مجال الأحوال الشخصية؛ إشكاليات الزواج من الوجهة القانونية، يراجع: <http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/docswomen/pslara/443-pslara3>
- (9) سورة الطلاق: من الآية 4.
- (10) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، و ابراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م)، ط 2، ج 18، ص 165.
- (11) أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة، المغني، (القاهرة: مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968)، د. ط.، ج 7، ص 40.
- (12) ابن قدامة، المغني، د. ط.، ج 7، ص 40، وأبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تخريج: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، د. ط.، ج 9، ص 190.
- (13) سورة النساء: من الآية 3.
- (14) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ)، ط 1، ج 7، تاب النكاح، باب لا يتزوج أكثر من أربع، الحديث رقم (5098)، ص 9، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط 2، ج 5، ص 11.
- (15) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط.، ج 9، ص 197.
- (16) متفق عليه. رواه البخاري، و مسلم في صحيحهما، و اللفظ للبخاري. يراجع: محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، 1432هـ - 2002م)، ط 1، كتاب النكاح، باب إنكاح الرجل و لَدَةُ الصَّغَارِ، و باب تزويج الأب ابنته من الإمام، الحديث رقم (5133)، و (5134)، ص 1309، و مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.)، د. ط.، ج 2، ، كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، الحديث رقم (1422)، ص 1038.
- (17) أبو زكريا محيي الدين النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ)، ط 2، ج 9، ص 206.

- (18) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، ج9، ص 206.
- (19) أبو بكر بن المنذر، الإجماع، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ( القاهرة: دار المسلم، 1425هـ - 2004 م )، ط1، ص 78.
- (20) أبو محمد حسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد زهير الشاويش، (دمشق-بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ-1983م)، ط2، ج9، ص 37.
- (21) أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، ( القاهرة: دار الوفاء، 1419هـ-1998م )، ط1، ج4، ص 572.
- (22) ابن قدامة، المغني، د. ط.، ج7، ص 40.
- (23) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط.، ج9، ص 190.
- (24) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المُصنَّف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ( الهند: المجلس العلمي، 1403هـ )، ط2، ج6، ص 162.
- (25) ابن قدامة، المغني، د. ط.، ج7، ص 40.
- (26) سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ( الهند: الدار السلفية، 1403هـ - 1983م )، ط1، ج1، ص 204.
- (27) محمد بن إدريس الشافعي، الأم، ( بيروت: دار المعرفة، 1410هـ - 1990م )، د. ط.، ج7، ص 136.
- (28) خادم حسين إلى يخش، أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص 157.
- (29) الوجاء: " أن تُرَضَّ أَنْثِيَا الفَحْلَ رَضًّا شَدِيدًا يُذْهِبُ شَهْوَةَ الجِمَاعِ، وَيَتَنَزَّلُ فِي قَطْعِهِ مَنزِلَةَ الخَصْيِ، وَقَدْ وُجِيَ وَجَاءً فَبِهِ مَوْجُوءٌ. وَقِيلَ: هُوَ أَنْ تُوجَأَ العُرُوقُ، وَالخُصْيَتَانِ بِحَالِهِمَا، أَرَادَ أَنْ الصَّوْمَ يَقْطَعُ النِّكَاحَ كَمَا يَقْطَعُهُ الوَجَاءُ ". يراجع: مجد الدين أبو السعادات بن الأثير، النهاية في غريب الحديث، والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ( بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979 م )، د. ط.، ج5، ص 152.
- (30) متفق عليه. رواه البخاري، ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن مسعود، واللفظ للبخاري. يراجع: البخاري، صحيح البخاري، ط1، ج7، ( بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ )، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، الحديث رقم (5066)، ص 3، ومسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، د. ط.، ج2، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه، ووجد مؤنته، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، الحديث رقم (1400)، ص 1018.
- (31) قال الإمام النووي رحمه الله: " اختلف العلماء في المراد بالباء هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد أصبحهما أن المراد معناها اللغوي، وهو الجِمَاع، فتقديره من استطاع منكم الجِمَاع لقدرته على

مُؤْنَه، وهى مُؤْن النكاح، فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه، فعليه بالصوم ليدفع شَهْوَتَهُ، ويقطع شَرَّ مَنِيَّتِهِ كما يقطعهُ الوِجَاء ... والقول الثانى أن المراد هنا بالباءة مُؤْن النكاح سميت باسم ما يلازمها، وتقديره من استطاع منكم مُؤْن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطعها، فليصُم ليدفع شَهْوَتَهُ". يراجع: النووى، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، ج9، ص 173.

(32) تقى الدين أبو الفتح لن دقيق العيد، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، ( القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، د. ت.)، د. ط.، ج2، ص 168، وأبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، **طرح التثريب في شرح التثريب**، ( بيروت: دار إحياء التراث العربى، د. ت.)، الطبعة المصرية القديمة، ج7، ص 4.

(33) النووى، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، ج9، ص 206.

(34) D. E. Battaglia, P. Goodwin, N. A. Klein and M. R. Soules, Fertilization and Early Embryology: Influence of Maternal Age on Meiotic Spindle Assembly Oocytes from Naturally Cycling Women, **Oxford Journals**, (Oxford, 1996) vol. 11, issue 10), pp. 2217-2222.

(35) رواه أحمد، والطبرانى فى (الأوسط)، من طريق حفص بن عمر عن أنس. وقد ذكره ابن أبى حاتم، وروى عنه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. يراجع: أبو الحسن الهيثمي، **مجمع الزوائد، و منبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القُدسى، ( القاهرة: مكتبة القدسى، 1414هـ - 1994م )، د. ط.، ج4، ص 252.

(36) أحمد الحُصَيْن، **لماذا الهجوم على تعدد الزوجات**، ( الرياض: دار الضياء، 1410هـ - 1990م )، ط1، ص3.

(37) الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، **المطالب الأساسية للجمعية المغربية لحقوق الإنسان الخاصة بالمرأة - مارس (2012)**

<http://www.amdh.org.ma/ar/about-amdh/statuts>

(38) فتوح الشاذلى، **حقوق المرأة في مجال الأحوال الشخصية؛ إشكاليات الزواج من الوجهة القانونية**، مقال منشور على الموقع الرسمى للمجلس القومى للمرأة بتاريخ: الإثنين، (15 أكتوبر 2012). يراجع:

<http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/docswomen/pslara/443-pslara3>

(39) خادم حسين إلهى بخش، **أثر الفكر الغربى فى انحراف المجتمع المسلم فى شبه القارة الهندية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص 162.

(40) سورة النساء: الآية 3.

(41) القرطبى، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج5، ص 12.

- (42) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج5، ص20.
- (43) رواه الشافعي عن الثقة عن مَعْمَرِ بْنِ الزُّهْرِيِّ عن سالم عن أبيه نحوه، ورواه ابن حبان بهذا اللفظ، وبألفاظ أخر، ورواه أيضا الترمذى، وابن ماجه. كلهم من طُرُق عن مَعْمَر. ورواه النسائي عن أبو يزيد عمرو بن يزيد الجَزْمِي عن ابن عمر موقوفا على عمر. ورواه أحمد في مسنده عن ابن عُلَيَّة ومحمد بن جعفر عن مَعْمَر مرفوعا، وموقوفا. قال ابن حجر: "والموقوف على عمر هو الذى حكم بصحته البخارى عن الزهري عن سالم عن أبيه". وقال: "رجال إسناده ثقات". يراجع: أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، 1416هـ-1995م)، ط1، ج3، ص348-347.
- (44) الشافعي، **الأم**، د. ط.، ج5، ص53.
- (45) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة، د. ت.)، د. ط.، ج2، ص30.
- (46) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، د. ط.، ج2، ص30.
- (47) موسى بن أحمد الحجواي، **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، (بيروت: دار المعرفة، د. ت.)، د. ط.، ج3، ص245، وشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، **مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994 م)، ج4، ص296.
- وأحمد سلامة القليوبي، وأحمد عميرة البرلسي، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ-1995م)، د. ط.، ج3، ص246-247، ومحمد بن أحمد بن عرفة، **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، (بيروت: دار الفكر، د. ت.)، د. ط.، ج2، ص214.
- (48) أبو محمد على بن حزم، **المحلى بالآثار**، (بيروت: دار الفكر، د. ت.)، د. ط.، ج9، ص5.
- (49) علاء الدين، أبو بكر بن مسعود الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ-1986م)، ط2، ج2، ص265.
- (50) على بن أبي بكر الميرغيناني، **الهداية في شرح بداية المبتدى**، تحقيق: طلال يوسف، د. ط.، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.)، د. ط.، ج1، ص189.
- (51) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، **بداية المجتهد، ونهاية المقتصد**، د. ط.، (القاهرة: دار الحديث، 1425هـ-2004م)، د. ط.، ج3، ص64.
- (52) ابن قدامة، **المغني**، د. ط.، ج7، ص85.
- (53) أبو عبد الرحمن: **فضل تعدد الزوجات؛ فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، تقريرا: أبو بكر جابر الجزائري، تقديم: على بن محمد بن سنان، (الرياض: دار المنار، 1411هـ-1991م)، ط1، ص17.

- (54) أبو عبد الرحمن: فضل تعدد الزوجات؛ فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1، ص18.
- (55) محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: دمشق: المكتب الإسلامي، 1404هـ - 1984م)، د. ط، ص 68-71.
- (56) يوسف القرضاوى، الحلال، والحرام في الإسلام، تخرج: محمد ناصر الدين الألباني، (دمشق - بيروت: المكتب الإسلامي، 1400هـ - 1980م)، ط1، ص 13، و محمد بن محمد شتا أبو سعد، تعدد الزوجات إعجاز تشريعي يوقف المد الاستشراق، (القاهرة: د. ن، د. ت.)، د. ط، ص38.
- (57) عبد الناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات من النواحي الدينية، والاجتماعية، والقانونية، (القاهرة: الشركة المصرية للطباعة، والنشر، 1392هـ - 1972م)، د. ط، ص15.
- (58) عبد الناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات من النواحي الدينية، والاجتماعية، والقانونية، د. ط، ص25.
- (59) عبد الناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات من النواحي الدينية، والاجتماعية، والقانونية، د. ط، ص44.
- (60) الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، المكتب المركزي، المطالب الأساسية للجمعية المغربية لحقوق الإنسان الخاصة بالمرأة - مارس (2012) <http://www.amdh.org.ma/ar/about-amdh/statuts>
- (61) محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، (القاهرة: دار المحدثين للبحث العلمي، والترجمة، والنشر، 1431هـ - 2010م)، ط2، ص32.
- (62) فتوح الشاذلي، حماية المرأة في قوانين العمل، والوظيفة العامة، مقال منشور على الموقع الرسمي للمجلس القومي للمرأة بتاريخ: الإثنين، (15 أكتوبر 2012). يراجع <http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/docswomen/pslara/443-pslara3>
- (63) فتوح الشاذلي، حقوق المرأة في مجال الأحوال الشخصية؛ إشكاليات الزواج من الوجهة القانونية، مقال منشور على الموقع الرسمي للمجلس القومي للمرأة بتاريخ: الإثنين، (15 أكتوبر 2012). يراجع <http://www.ncwegypt.com/index.php/ar/docswomen/pslara/443-pslara3>
- (64) سورة الأحزاب: من الآية 33.
- (65) أبو الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ)، ط1، ج6، ص 363.
- (66) محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2013م)، ط3، ج3، ص 569.
- (67) أحمد بن علي، أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1405هـ)، د. ط، ج5، ص 230.

- (68) البخارى، صحيح البخارى، ط1، (دمشق: دار ابن كثير، 1432هـ - 2002م)، كتاب النكاح، باب المرأة راعيةً في بيت زوجها، الحديث رقم (5200)، ص 1326.
- (69) ابن حجر، فتح البارى شرح صحيح البخارى، د. ط.، ج13، ص 113.
- (70) العزق جمع عُرَاق، وهى العظام التى يُقشَّر عنها معظم اللحم، ويبقى عليها بقية. يراجع: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط.، ج4، باب العين، والراء، وما يثلثهما، ص 287، وابن الجوزى، غريب الحديث، ط1، ج2، ص 88.
- (71) متفق عليه. رواه البخارى، ومسلم في صحيحهما، واللفظ للبخارى. يراجع: البخارى، صحيح البخارى، ط1، (دمشق: دار ابن كثير، 1432هـ - 2002م)، كتاب النكاح، باب خروج النساء لحوائجهن، الحديث رقم (5237)، ص 1334، ومسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، د. ط.، ج4، كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، الحديث رقم (2170)، ص 1709.
- (72) النووى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، ج14، ص 151.
- (73) أبو الأعلى المودودى، الحجاب، تعريب: محمد كاظم سَبَّاق، (دمشق: دار الفكر، 1384هـ-1964م)، ط2، ص 235-236.
- (74) الغزالي، إحياء علوم الدين، د. ط.، ج2، ص 59.
- (75) أبو الأعلى المودودى، الحجاب، ط2، ص 234-236.
- (76) أبو الأعلى المودودى، الحجاب، ص 313.
- (77) سورة النساء، من الآية 34.
- (78) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج5، ص 169.
- (79) متفق عليه. رواه البخارى، ومسلم في صحيحهما، واللفظ للبخارى. يراجع: البخارى، صحيح البخارى، ط1، ج5، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ)، كتاب المغازى، باب حديث، الحديث رقم (4141)، ص 116، ومسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، د. ط.، ج4، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، الحديث رقم (2770)، ص 2129.
- (80) النووى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، ج17، ص 117.
- (81) رواه مسلم من حديث سالم بن عبد الله. يراجع: مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، د. ط.، ج1، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مُطَيَّبة، الحديث رقم (442)، ص 326.
- (82) القاضى عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط1، ج2، ص 354.
- (83) ابن حجر، فتح البارى شرح صحيح البخارى، د. ط.، ج2، ص 351.

- (84) رواه البخارى في صحيحه من حديث أبي هريرة. يراجع: البخارى: صحيح البخارى، ط1، ج7، ( بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ)، كتاب النكاح، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعاً، الحديث رقم (5192)، ص 30.
- (85) زكريا محمد بن زكريا الأنصارى، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.)، د. ط، ج3، ص 239.
- (86) مصطفى بن سعد بن عبده الرّجيبانى، مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1415هـ - 1994م)، ط2، ج5، ص 271.
- (87) الرّجيبانى، مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى، ط2، ج5، ص 272.
- (88) خادم حسين إلهى بخش، أثر الفكر الغربى في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص 153، وعثر، نور الدين، ماذا عن المرأة، ط11، ص 157.
- (89) مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه، والقانون، (الرياض: مكتبة الوّزّاق، 1420هـ - 1999م)، ط7، ص 156.
- (90) مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه، والقانون، ط7، ص 140.
- (91) مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه، والقانون، ط7، ص 154.
- (92) أبو الأعلى المودودى، الحجاب، ط2، ص 255-263.
- (93) يستدل على ذلك بما رواه حميد بن مسعدة عن أبي رجاء الكلبى رُوّح بن المُسَيّب عن ثابت البُنّانى عن أنس، قال: جِئْتُ النِّسَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرَّجَالُ بِالْقَضِيلِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَا لَنَا عَمَلٌ نَدْرِكُ بِهِ عَمَلَ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ فَعَلَ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، مَنْكُنَّ فِي بَيْتِهَا، فَإِنَّهَا تَدْرِكُ عَمَلَ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". قَالَ الْبَرَاءُ: لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ ثَلَاثِ إِلا رُوّح، وَهُوَ بَصْرِيٌّ مشهور. يراجع: نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البرّار، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، ( بيروت: مؤسسة الرسالة، 1399هـ - 1979م)، ط1، ج2، ص 182.
- (94) مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه، والقانون، ط7، ص 161.
- (95) فقد بات العديد من الغربيين يشكون مر الشكوى من تصدع الأسرة، و الانحطاط الخلقى الذى باتت المجتمعات الغربية تعاني منه، ويمتدحون تمسك المسلمون بتعاليم دينهم التى تقود البشرية إلى طريق الأمان. يراجع: محمد بن ناصر العرينى، المرأة بين تكريم الإسلام، ودعاوى التحرير، ( المملكة العربية السعودية: الرياض، د.ن، 1420هـ)، ط2، ص 37.
- (96) مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه، والقانون، ط7، ص 162.

## المخاطر والتأثيرات الاجتماعية للإعلام الجديد

جامعة مسيلة

د. فطوم بن قبي

### Résumé :

Les nouveaux médias instaurés par la révolution technique ont leurs avantages aussi bien que leurs inconvénients. En effet, ce sont des médiateurs de transmission des cultures et de l'échange des idées ainsi qu'un espace de dialogue et de débat. En outre, ce sont des moyens d'exposition et de commercialisation des productions des créateurs et un terrain pour effectuer les recherches. Par ailleurs, ce sont des médiateurs pour la diffusion des fausses idées et un moyen de diffusion des rumeurs, de la provocation et des diffamations.

Malgré leurs avantages multiples, ils ont des effets et répercussions négatifs y compris les dangers des influences sociales sur l'individu et la société.

Tout cela nous oblige à poser une question : Quels sont les dangers et les effets sociaux de nouveaux médias sur l'individu et la société ? Comment peut-on tirer un maximum de profit de ces médias sans que cela n'entraîne la perte chez l'homme des racines et de son humanité à travers ce flux technologique ?

### ملخص:

إن الإعلام الجديد الذي صنعته الثورة التقنية له محاسنه كما له مساوئه، فهو وسيط لنقل الثقافات وتبادل الأفكار وتقويمها وساحة للتحاور والنقاش ووسيلة عرض وتسويق لإنتاجات المبدعين وميدان لإجراء البحوث والدراسات واتجاهات الرأي، مثلما هو أيضا وسيط لنشر الافكار الخاطئة ووسيلة لنشر الإشاعات والتحريض والتشهير، فرغم مزاياه المتعددة فله آثار وإنعكاسات سلبية عديدة، ونريد من خلال هذا المقال تسليط الضوء على بعض المخاطر والتأثيرات الاجتماعية للإعلام الجديد على الفرد والمجتمع، فالتعرف على هذه المخاطر أمر ضروري وخاصة أن مضمون هذا الإعلام يمتلئ بالأفكار والعقائد والقيم التي لا تتلاءم مع واقع مجتمعنا العربي الإسلامي؛ كما أننا لا نساهم في صناعة هذا المحتوى إلا بالقليل منه وفي غالب الأحيان يكون تقليداً مطلقاً للمحتوى الغربي.

كل هذا يضطرنا إلى طرح تساؤل كيف يمكن أن نحقق الاستفادة القصوى من هذا الإعلام دون أن يتسبب ذلك في فقدان الإنسان لجذوره وإنسانيته في ظل هذا التدفق التكنولوجي؟ وكيف يمكن أن يكون الإقبال عليه والوعي بإستشراف واثق ومستنير لخدمة البشرية بأسرها.

**Abstract :**

The new media that had been created by the technical revolution has advantages and disadvantages; it's an intermediary transfer for cultures and exchange of idea and a forum to dialogues and discussions , a way of presenting and marketing creative productions and a field for researches , it's also a mediator to spread false ideas and propagandas . Rumors and defamations .despite its many advantages it has negative repercussions one of them are the dangers that occurs on the individuals and the society. All this makes us ask a question: what are the dangers and social impacts of the new Media on individuals and society? And How can we have an absolute benefit from this media without losing humanity and human roots under this flow of technology ?

## مقدمة

إن عصر الإعلام الجديد ألغى حواجز العزلة بين الحضارات، كما أن السرعة المتزايدة والفاثقة والمستمرة التي تدور بها اليوم عجلة تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دفعت العالم إلى الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات لتعصف ثورة المعلومات وتكنولوجيا متعددة الوسائط جوانب الحياة كافة، في التجارة والسياسة والتربية والتعليم إلى التسلية والألعاب.

فالإعلام الجديد قام بإختزال كل الوسائل الإعلامية والاتصالية الأخرى واحتوائها، فيمكن اليوم من خلال الاطلاع على كل صحف وجرائد العالم ومشاهدة كل القنوات التلفزيونية الدولية، والاستماع لكل القنوات الإذاعية، ويمكن كذلك الاتصال مع الآخرين مهما كان مكانهم في كل أنحاء الكرة الأرضية، فاليوم العالم يعيش " ثورة جديدة من نوع خاص، فاقت في إمكاناتها وأثارها كل ما حققه الإنسان من تقدم حضاري خلال وجوده على الأرض"<sup>(1)</sup>، فالتقدم الذي حصل في النصف الثاني من القرن العشرين، عادل كل الفترة السابقة التي عاش فيها الإنسان، و عوض كل ما توصل إليه.

وهكذا يمكن القول أن الإعلام الجديد الذي صنعته الثورة التقنية له محاسنه كما له مساوئه، فهو وسيط لنقل الثقافات وتبادل الأفكار وتقويمها وساحة للتداول والنقاش ووسيلة عرض وتسويق لإنتاجات المبدعين وميدان لإجراء البحوث والدراسات واتجاهات الرأي، مثلما هو أيضا وسيط لنشر الأفكار الخاطئة ووسيلة لنشر الإشاعات والتحريض والتشهير، فرغم مزيه المتعددة فله تأثيرات وانعكاسات سلبية عديدة على المستوى الفردي للمستعملين وعلى المستوى العام للمجتمع وخاصة فئة الشباب والمراهقين التي تعد أكثر الفئات استقطابا لهذا النوع من الإعلام، فهي فئة عمرية لها أهميتها ودورها داخل المجتمع وطاقة بشرية مهمة ومؤثرة في كيانهم وتحتاج للعناية والحفاظة عليها لتأمين مستقبلها ومستقبل المجتمع في خضم الإنتاج الهائل لكافة أنواع التقنيات وتكنولوجيات الاتصال، ولهذا فإن التعرف على مختلف هذه الانعكاسات أمر ضروري لتجنبها وإزالتها حتى لا تقع هذه الفئة في هوة الانهيار بالتكنولوجيات الحديثة في عصر المعلومات، وخاصة في بعض الأحيان تصبح التأثيرات غير المرغوبة لتكنولوجيا مدمرة لدرجة تهدد بإلغاء فوائدها المنشودة، وعلى هذا جاءت الفكرة كمحاولة لإبراز أهم التأثيرات الاجتماعية للإعلام الجديد وذلك على مستوى الفرد والمجتمع وخاصة

مجتمعنا العربي ومكوناته الثقافية والاجتماعية، وصولاً في الأخير إلى إعطاء بعض الآليات لمواجهة هذه التأثيرات وذلك من خلال المحاور التالية :

المحور الأول: مخاطر وانعكاسات الإعلام الجديد على الفرد .

المحور الثاني: مخاطر وانعكاسات الإعلام الجديد على المجتمع .

المحور الثالث : آليات وسبل مواجهة تأثيرات الإعلام الجديد.

### I. مخاطر وانعكاسات الإعلام الجديد على الفرد:

إن التضايف والاندماج بين تكنولوجيا المعلومات والوسائط الإعلامية والاتصالية يهب المعرفة والمعلومات قدرات وإمكانات غير محدودة على اختراق الحدود والزمن، وسيغير بسرعة غير مسبوقه اقتصادنا وسياستنا وتربيتنا وقيمنا وأخلاقنا على نحو من الأنحاء فنحن مرغمون على استخدام واستهلاك وتلقي منتجات هذه الثورة ومعرضون بالضرورة لعواقبها الأخلاقية والثقافية والسياسية السلبية منها والايجابية، فهي وسائط وقنوات تصب في حياتنا اليومية وتلح على عقولنا وتتحدانا كي نعيد النظر في تربيتنا وفي سلوكنا وفي منظوماتنا السياسية والاقتصادية والثقافية في كلا المستويين الفردي والاجتماعي.

وقبل البداية في الحديث عن سلبيات ومخاطر الإعلام الجديد لا بأس أن نتكلم عن بعض إيجابياته في حياة الفرد، فهو يقدم العون للبشر من خلال توفيره قدرأ أكبر من التسهيل في تخزين المعلومات وتراكمها ونقلها، وبإمكاننا من خلاله أن ندير الأعمال وندرس العالم ونستكشف ثقافته المغايرة، ونختار أصدقاء جدد يماثلوننا في اهتماماتهم، وستكون هذه الوسائط سوق معلومات كونية هائلة، توفر لنا خيارات أوسع فيما يتعلق بجميع الأشياء والعلاقات من الخدمات والربح الاقتصادي إلى الأفكار والنظريات والقيم الإنسانية، بما يوسع إمكاناتنا الإنسانية والمادية، ويفتح إحساسنا بالهوية وبالأخر وتحررنا من التقوقع والتركز حول الذات بما قد تتيحه لنا من اتصال ثقافة الأخر والتعامل معها<sup>(2)</sup>.

إن الإعلام الجديد قد حقق فتحاً جديداً في عالم الاقتصاد، فيما يطلق عليه اليوم الاقتصاد الجديد، وهو الذي يقصد به تلك الطبقات الجديدة العاملة في مجال التكنولوجيا الدقيقة والمعلوماتية والاتصالات والتي تشكلت في العقد الأخير واكتسحت أسهمها الأسواق المالية بسرعة مختلفة وراءها الشركات العريقة للقطاع الصناعي

التقليدي<sup>(3)</sup>، ومن إيجابياته توسيع نطاق توزيع المعلومات، تحقيق الضغط على المناطق الحضرية من خلال تمكين الأفراد من العمل في المنزل أو من مكاتب بعيدة، فرص جديدة فيما يتعلق بالعمل والتعليم والتجارة الترفيه، وبعد التكلم عن إيجابياته سنركز على بعض سلبياته وذلك في الجانب الاجتماعي والديني والأخلاقي والنفسي والصحي.

### 1- الانعكاسات الاجتماعية<sup>(4)</sup>:

يمكن القول أن الأثر الأساسي للإعلام الجديد، يتمثل في علاقة الفرد بمحيطة الاجتماعية ونسبة احتكاكه به، حيث أن العديد من الدراسات التي تناولت هذه الجوانب بينت أن هؤلاء الأفراد يحدث لهم نوع من العزلة والانفراد وتراجع مدة جلوسهم مع أفراد عائلاتهم وأصدقائهم.

ففي دراسة قام بها (كريستوفر سانديرز) نشرت في صيف سنة 2000م، تبين أن هناك علاقة بين استعمال الأنترنت ومشاعر العزلة الاجتماعية والاكتئاب<sup>(5)</sup>، وقد بينت دراسة أخرى<sup>(6)</sup> أن الاستعمال الرائد للأنترنت كانت له علاقة مع انخفاض الاتصالات العائلية، ونقص حجم الدائرة الاجتماعية المحلية للعائلة في زيادة مشاعر الاكتئاب والوحدة، كما أن هناك دراسة أخرى لـ (بيترز) التي أجريت 2007<sup>(7)</sup> بينت أن منتديات الدرشة لها انعكاسات على العلاقات الزوجية ولها دور كبير في التقليل من الوفاء بين الزوجين، وبالتالي في إحداث عدة مشاكل اجتماعية، ولكل ذلك انعكاسات على النسيج الاجتماعي، مما يؤدي إلى إحداث فجوة وتفكك اجتماعي كبير.

فالإعلام الجديد يجعل الفرد يشعر بمتعة وانسباط، نظراً لإمكانية الحديث مع أشخاص من كل أنحاء العالم، وهذا ما يجعله يستغرق في النقاشات ويقضي أوقات دون أن يشعر، وبالتالي ينفصل عن المجتمع الحقيقي ويدخل في مجتمعات افتراضية، ويصبح شخصاً غريباً عن مجتمعه، وينقص اهتمامه بقضاياها وبأحداث محيطة الاجتماعية، ومع مرور الوقت يتحول إلى شخص منعزل تماماً عن بيئته الاجتماعية، ويصيبه ما يسمى بالانعزال الذاتي، ويزداد ارتباطه بأصدقائه الافتراضيين، إلى درجة أن يفقد الرغبة في الجلوس لمدة طويلة مع أفراد عائلته وأصدقائه، ويعود هذا الارتباط الشديد بالجماعات الافتراضية ومنتديات المحادثة الإلكترونية إلى كون هذه المنتديات توفر بيئة يقوم فيها الأفراد بتطوير شعور الانتماء والهوية الاجتماعية وتوفير بنى اجتماعية موجودة في المجتمع الحقيقي.

ولهذا فإن الإعلام الجديد يهدد بشكل مباشر كيان العلاقات الحقيقية وجها لوجه، ويحدث قطيعة بين الأفراد، مما يؤدي إلى زوال النسيج الاجتماعي التقليدي، وحلول نسيج اجتماعي افتراضي محله، يتميز بانعدام حميمية الجوار والتقارب .

وكنتيجة لهذا الانعزال والانفصال الاجتماعي، يحدث نوع من التفكك الاجتماعي، وتطغى النزعة الفردية على الجماعية ويتراجع الاهتمام بقضايا الجماعة؛ لكن هذا الانعزال لا يجب أن يجعلنا أن نغفل عن العلاقات الجديدة التي يكتسبها الفرد مع أفراد من كل الأنحاء، فهو يتعرف على أفراد جدد كل يوم، ورغم ذلك فإن هذه العلاقات لا يمكن أن تحل محل العلاقات الواقعية مع محيطنا الاجتماعي، ومن الانعكاسات التي تحدث كذلك من جراء استخدام منتديات المحادثة الإلكترونية باعتبارها وسيلة اتصال الاغتراب الثقافي والتنميط الاجتماعي الذي يجعل الفرد يشعر وكأنه لا ينتهي إلى ثقافة مجتمعه، وتبدأ أعراض التملص من عادات مجتمعه وتقاليده، وتبدأ أعراض التشبث بالقيم الغربية، وأنماطهم الثقافية الناتجة عن كثرة الاحتكاك بهم والاتصال معهم وهذا ما سنتعرض له بشيء من التفصيل في الانعكاسات على مستوى المجتمع.

ومن المؤكد أيضا أن شيئا مفقود عندما نستخدم الاتصال عبر وسائط إلكترونية، ومن أمثلة هذه الأشياء المفقودة التلميحات غير اللفظية، كتعبيرات الوجه وحركات الجسد، والإيماءات، والتي تساعدنا في فهم المعاني الأكثر عمقا للكلمات، وهذا هو مفهوم الحضور الاجتماعي، الذي يختلف عن الحضور النسبي، الذي يعني غياب التلميحات المحسوسة التي تساعد في نقل المعاني المستمرة<sup>(8)</sup>.

## 2- الانعكاسات على الجانب الديني والأخلاقي<sup>(9)</sup> :

من أخطر انعكاسات الإعلام الجديد تلك المتعلقة بالجانبين الديني والأخلاقي، حيث أن مناقشة مواضيع تافهة وإنحرافيه، ولا سيما تلك المتعلقة بالجنس، قد تؤدي إلى تدهور منظومة القيم وانحطاط أخلاقي لدى الأفراد، لأن الحديث الإلكتروني قد يكون مع أشخاص جديين ومتخلفين كما قد يكون مع أشخاص منحرفين لا قيم لهم ولا مبادئ، وهذا ما يشكل خطراً خاصة بالنسبة للأطفال والمراهقين، لأنهم دائما ينساقون وراء ما هو غامض ومجهول نظرا لفضولهم الكبير ومحاولة اكتشاف كل شيء، ولهذا فإنهم قد يتعرضون لنقاشات إباحية تؤدي إلى انحراف سلوكياتهم بشكل كبير؛ بالإضافة

إلى هذا فإن استغراق أوقات طويلة في استعمال الأنترنت قد يؤدي إلى تهاون في أداء الواجبات الدينية مثل الصلاة في المسجد، إلى غير ذلك من العواقب التي تنجر عن الإعلام الجديد؛ وهناك من يستعمل بعض الخدمات للقدح في الأشخاص وانتهاك خصوصياتهم، أو لاستفزاز طرف معين، أو لإجراء نقاشات عنصرية.

ومن الانعكاسات التي ظهرت أيضا ظهور لغة جديدة بين الشباب وتتميز بأنها مصطلحات خاصة لا يعرفها إلا من يعاشروهم باستمرار ويستخدمها الشباب العربي في محادثاتهم عبر الأنترنت، فهذه المصطلحات تهدد مصير اللغة العربية! وتحولت إلى موز وأرقام مثل الحاء "v" و الهمزة "٢" والعين "٣" ... إلخ، فإلى أين شبابنا سيصل باللغة العربية؟! (10).

### 3- الانعكاسات النفسية والصحية :

ومن بين الآثار التي تسببها الأوقات المتواصلة أمام الشبكة الإلكترونية، الإصابة بالإحباط النفسي، والإحساس بالقلق بسبب قضاء أوقات طويلة، ولاسيما إذا كان هذا الاستعمال عشوائيا أي دون هدف محدد مسبقا، أو إذا أجرى الفرد نقاشا في موضوع تافه لا ينفع كالمواضع الإباحية، فإنه من دون شك سيشعر في الأخير بالذنب وتضييع المال والوقت، وهو ما يؤدي بالإحباط النفسي والمعنوي، وكذلك من بين تأثيرات التكنولوجيا الاتصال والإعلام تأثيرات صحية، فهي تؤثر على الجانب البيولوجي والفيزيولوجي للأفراد، فالعديد من الأمراض كان سببها استخدام المفرط لهذه التكنولوجيات مثل الصراع، الاكتئاب، ضعف البصر، الإرهاق، ضغط الدم، القلق، أوجاع الظهر، ضعف السمع ... إلخ، وهو ما أثبتته العديد من الدراسات العربية في هذا المجال (11).

## II. مخاطر وانعكاسات الإعلام الجديد على المجتمع

يمكن أن نلخص مخاطر وانعكاسات الإعلام الجديد على المجتمع على العموم فيما يلي :

### 1. الهيمنة والغزو الثقافي الإعلامي:

يتحدد مدلول الهيمنة الثقافية على أساس أنها تشمل أنماط الملكية والتحكم والتوزيع، وعلاقة وسائل الإعلام الجديد بالقيم والمضامين الإعلامية ذاتها، سواء ما يتعلق بالمعلومات أو الفكر والثقافة الغربية على الدول والشعوب الأخرى، وبمعنى آخر

أن الغزو الثقافي الإعلامي يقصد به محاولات فرض النموذج الغربي في ميدان الثقافة والاتصال على دول العالم، من خلال ما تنشره وسائل الإعلام الالكترونية المختلفة، فهي تروج الإيديولوجيات الفكرية الغربية وتفرضها في الواقع من خلال تفكيك الضغوط الإعلامية، وهذا ما تلعبه تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة اليوم، فخطورتها تتجسد من خلال تفكيك الثقافات والغزو الثقافي والتلوين الثقافي وإفساد الثقافات الوطنية ومسائل الهوية الثقافية، لأنه وبكل بساطة أن هذه التكنولوجيات الحديثة لا تعبأ بإنتقاداتنا وأخلاقياتنا، ولا تنتظر حتى نكمل تأقلمنا ونقدنا وتفيدنا لسليباتها، بل هي تتقدم دون أن تنتظر أن نصبح مهينين لمعانقتها.

والثابت أن تكنولوجيا الاتصال الحديثة هي نتاج ثقافي غربي ظهرت لتلبي حاجات موضوعية لصيقة ببنیان وثقافة هذه المجتمعات، ولم تراع ما هو موجود في مجتمعاتنا من أعراف وتقاليد ومبادئ وقيم جاء بها الدين الإسلامي، وهذا ما جعلها تشكل خطرا كبيرا على هذه المقومات<sup>(12)</sup>.

ونستنتج من هذا أن النظام الإعلامي يتسم بأنه تدفق حر للمعلومات عبر السموات المفتوحة، إلى حد يسمح معه بالقول إعلام بلا حدود وبأن العالم أصبح بمثابة غرفة كونية اتصالية بالنظر إلى السرعة الفائقة في إنتقال المعلومات والأخبار والأحداث، وهذا يعني سيطرة الدول التي تملك الوسائل والإمكانيات التكنولوجية الحديثة، وتبعية باقي الدول الأقل تقدما لتلك الدول المسيطرة، وما يرتبط بذلك من ظاهرة عدم التوازن في الحصول على الأخبار والمعلومات والتي يتم بها اتجاه واحد من جانب الدول التي تعرف بدول الشمال (كالولايات المتحدة، دول أوروبا الغربية) وبين دول الجنوب (مثل المكسيك والبرازيل والدول العربية عامة ...) وهذا ما سنشير إليه في النقطة الموالية.

## 2. حدوث الفجوة الرقمية المعرفية<sup>(13)</sup> :

إن المتبع لتطورات التي شهدها ميدان تكنولوجيا الاتصال الحديثة يلاحظ أن هذه التطورات على الرغم من الأهمية التي تكتسبها لم تشمل كل المجتمعات بصفة متوازن، ففي حين أصبحت هذه التكنولوجيا تمثل في بعض المجتمعات ضرورة ووسيلة مهمة وفعالة في تسيير أمور الحياة اليومية لدرجة أن من لم يستعملها أو من لا يتقنها أصبح يعد أميا، لم تتمكن العديد من المجتمعات من مواكبة والانخراط في هذه الثورة

وبقيت تعتبر هذه التكنولوجيا كمظهر من مظاهر الرفاهية لا يكتسي استعمالها أي جدوى أو ضرورة.

ومن هنا ظهر وشاع استعمال مصطلح "الفجوة الرقمية" للتعبير عن الهوة التي تفصل بين النظام التقليدي في الإنتاج والتواصل والتعامل إلى نظام جديد يعتمد أساساً على تقنيات الاتصال الحديثة وبين من لم تمكنوا من تجاوز هذه العقبة، وقد أصبح تعبير الفجوة الرقمية شائعاً تماماً خلال السنوات القليلة الماضية، وهو تعبير يستخدم للدلالة على الهوة التي تفصل بين من يمتلكون المعرفة والقدرة على استخدام تقنيات المعلومات والكمبيوتر والأنترنت، وبين من لا يمتلكون مثل هذه المعرفة أو هذه المقدرة، والفجوة الرقمية ستبقى قائمة رغم كل جهود التطوير التحديث التي تقوم بها بلدان العالم الأخرى، لأن العالم الأنجلوساكسوني يسيطر على نسبة كبيرة جداً من نشاطات شبكة الأنترنت، وربما من أهم وأخطر مظاهر الفجوة الرقمية اتساعها المتزايد يوماً بعد يوماً، فعلى الرغم من تفاؤل بعض المحللين إزاء إدراك بعض الدول النامية لأهمية التقنيات الحديثة للاتصال في تحقيق الازدهار الاقتصادي إلا أن الفجوة الرقمية ما انفكت تشهد اتساعاً متواصلاً في مساحتها، وتمثل الإحصائيات خير شاهد على ذلك فأشارت تقارير الأمم المتحدة إلى اتساع الفجوة المعرفية بين البلدان العربية والبلدان المتقدمة، وأوضح أن هناك نسبة 2.1% من المواطنين العرب يمتلكون حاسباً، ونصف هذا العدد يستخدم خدمة الأنترنت، وأشارت التقارير إلى أن معظم الدول العربية ما عد الإمارات والكويت يتساوى جميعها في درجة افتقارها لتقنية المعلومات والاتصالات<sup>(14)</sup>.

فإن لم تسارع الدول العربية إلى المشاركة في هذه الثورة التكنولوجية الاتصالية والإعلامية الجديدة، فإن هناك خطر احتمال زيادة تهميشها وزيادة احتمالات حدوث العزلة الثقافية والدينية والعرقية التي يمكن أن تؤدي إلى صراعات محلية وإقليمية.

وانطلاقاً من هذا يمكن القول أن الواقع الإعلامي الجديد بما يمثله من هيمنة وسيطرة عربية محكمة قد ترك آثاراً سيئة على وسائل الإعلام الجديدة في العديد من الدول، والعالم العربي الإسلامي ضمن هذه الدول التي تأثرت بهذا الواقع الإعلامي الجديد، وما تزال تعاني من سلبياته ومشكلاته والذي يتميز بالتقليد والتبعية، وهذا ما أشارت إليه نظرية التنمية التابعة التي توصف التغيير الاجتماعي في دول العالم الثالث يسير بشكل منتظم نحو تحقيق النموذج المثالي للمجتمعات الغربية، وأن حركة هذا

التغير تسير نحو مزيد من التخلف، وأنه إذا تحققت جوانب التنمية، فإنها تظل تنمية تابعة غير مستقلة، فهذه السلبيات والمشكلات الناتجة من الإعلام الجديد هي من المنتجات هذا التغير التابع أو هذه التنمية التابعة.

وللإشارة هنا فقد نشأ تيار فكري معارض لاستخدام تكنولوجيا الاتصال والأنترنت، بفعل هذه الانعكاسات المتعددة وهم المتشائمون من التقنيات الحديثة "les technophobes"، يمثل هذا الاتجاه مختصون في علم الاجتماع وعلم النفس، وهم يتعرضون بالنقد اللاذع لتكنولوجيا الاتصال والأنترنت، ويتخوفون أينما تخوف من آثارها وانعكاساتها على الفرد والمجتمع، ولا يقتصر الأمر في مجال نقد التكنولوجيا والاتصال على المعارف الواقعية، ولكنه يمتد إلى المعارف الوهمية، ويتمثل ذلك فيما يعرف بظاهرة "تكنوفوبيا"، وقد تعددت أسباب هذا التخوف، ودواعي التشاؤم من التكنولوجيات الحديثة، فهناك من يرى بأنها وراء "عدة سلبيات في المجتمع اليوم، كالتفريق بين الأفراد وعزلهم، وتفجير القاموس اللغوي لدى الشباب والتسبب في عدائهم للأدب والفكر"<sup>(15)</sup>، وإن كان بعض الكتاب يقرون بالإيجابيات الكثيرة للتكنولوجيا الاتصال، من خلال الاستفادة منها في عدة مجالات، وتسهيل عدة أعمال ونشاطات إلا أنهم يركزون على سلبياتها أكثر، ومنهم الكاتب (ايفيس) الذي يرى "بأن تكنولوجيا الاتصال المعاصرة تقدم حلاً لبعض المشاكل الموروثة في نفس الوقت الذي تقوم فيه بخلق العديد من المشاكل الجديدة، فهي تنهي العلاقات الإنسانية وتكبح إبداع التفكير الإنساني"<sup>(16)</sup>، إذ أن استخدامها في كل المجالات ولا سيما في الميدان العلمي، سيؤدي إلى الاعتماد الكامل عليها، وبالتالي سيجر العقل البشري إلى الخمول والركون للراحة، ومن الباحثين المتخوفين من تكنولوجيا الاتصال المختصة النفسانية (sherry truble) والتي ترى بأن التوجه الكبير إلى الاهتمام بالتقنيات الحديثة، أدى إلى اعتبار الإنسان كآلة، حيث يتم تجريدته من كل أحاسيسه وإنسانيته<sup>(17)</sup>.

ويتساءل كل من (VAHÈ Z و EMILE N)، هل يمكن اعتبار تكنولوجيا الاتصال نعمة علينا أم نقمة؟<sup>(18)</sup>، أي هل يمكن أن نتفاءل من إدماجها في مجتمعاتنا والترحيب بها، أو نحذر منها ونتحفظ من تبنيها واستعمالها في مختلف الميادين كوسيلة حديثة؛ وقد قام مجموعة من المهتمين بهذا الميدان، بالإجابة على هذا التساؤل، حيث يبين الكاتب (فيليب بروتون)<sup>(19)</sup> الأخطار المحتملة والجسيمة على الروابط الاجتماعية،

وتوجه الفرد إلى العزلة الاجتماعية والنفسية عن محيطهم بفعل الاستخدام المفرط للأنترنت ويعارض كذلك فكرة القرية الكونية للكاتب (schmuel trigano) بحجة أنها تزيل استقرار الهوية الإنسانية<sup>(20)</sup>.

وعموماً يمكن القول أن انعكاسات تكنولوجيا الاتصال والإعلام الجديد هذه لا ينبغي أن تجعلنا أن نلغي تماماً إيجابياتها وانعكاساتها السلبية، ولكن يجب أن نحدد الإجراءات الواجب القيام بها لتجنب كل هذه السلبيات وتقليل انعكاساتها على الفرد والمجتمع.

### 3. آليات وسبل مواجهة تأثيرات الإعلام الجديد:

1- امتداداً لتأثيرات الإعلام الجديد، تبرز الحاجة إلى تركيز الضوء على دور الأفراد في مجتمعات دول الجنوب، لاسيما العالم العربي الإسلامي، إزاء تلك المردودات السالبة وقدراته التي يملكها في مواجهة قوى الهيمنة ومحاولات طمس هويته وخصوصية ثقافته وقيمه السائدة، ومحاولة تحليل أبعاد استجابته وأسلوب تعامله مع تكنولوجيا الاتصال ومجتمع المعلومات، ويتمثل دور الأفراد تجاه الإعلام الجديد فيما يلي:

- تطوير تكنولوجيا الاتصال لخدمة الثقافة المحلية، أو القيم والاتجاهات الاجتماعية والسياسية للأفراد.

- تفسير الوسائل الاتصالية والثقافية بشكل يعزز الهوية المحلية، ويتواءم الضرورة مع المعاني والغايات المقصودة من هذه الرسائل.

ومؤدى ذلك، الحد من اطلاقات تلك الهيمنة الإعلامية والثقافية والادعاء بأنها هيمنة بلا حدود وعدم التسليم بقدرتها على إذابة أو طي الثقافات المحلية وصهرها في بوتقة واحدة، تنطوي على تجاهل إرادة الأفراد ودورها في التعامل مع تكنولوجيا الاتصال.

2- إن الإعلام العربي مطالب بالأخذ بأحدث تطورات التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية والمبتكرات الإلكترونية والرقمية، واستيعاب ثقافة الحاسبات الآلية والأنترنت، وبحيث يكون مالكا لمقدراته ولوسائل إرسال وأقمار فضائية يديرها ويتحكم فيها كجزء من سيادة القرار الوطني، بما يمكنه من مواجهة أي غزو ثقافي يحمل أشد المخاطر والأضرار، وتحقيق الحماية الكافية للأجيال الصاعدة وترسيخ

الانتماء للوطن العربي الإسلامي وتاريخه وحضارته وقيمه وقضاياه المصرية وعاداته وتقاليده ومصالحه العليا.

3- إن التعامل مع التقنيات الإلكترونية والمتطورة يستدعي كذلك وعي الأفراد والأجهزة الإعلامية في كل دولة عربية بأهمية الإلمام ولو بإحدى اللغات التقنية الأربع (الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية)، الأمر الذي لا بد معه من بذل جهود واعية كأولوية وطنية لبناء أو تطوير لغة ثانية، بجانب اللغة العربية، حيث يفترض التعدد اللغوي إتاحة المجال لاطلاع الأفراد على الثقافات المختلفة، وتمكين أجهزة ووسائل الإعلام من إعداد برامج ومواد تعد خطوة أساسية في مواجهة الغزو الثقافي الوافد، عبر البث على القنوات الفضائية.

ومن الواضح تماما أن هناك خطورة بالغة من لاقصصار على اللغة الأصلية، وبالتالي فإن اتجاه بعض الدول العربية - لأسباب وطنية - إلى عدم التشجيع على استخدام اللغة التقنية قد يلحق ضررا جسيما لمواطنيها لأنها تسلبهم أداة أساسية لمعرفة والبحث والدراسة وتحول دون مساهمة التقدم.

4- أيضا من الآليات والسبل التي تتسم بالفاعلية والأهمية القصوى، ما يشهد من أن محاولات الغزو الثقافي المصاحبة للثورة الإلكترونية في عالم الاتصالات توجب إتباع إستراتيجية إعلامية واضحة المعالم في إطار من التكامل والتنسيق بين مختلف سياسات الدول العربية، تتبنى أهداف تلقين الناشئة للمبادئ والقيم الأخلاقية المستمدة من شريعة الإسلام كضمانة لا غنى عنها، لتحسينهم من الأفكار المعادية الوافدة من الخارج، وبوضوح أكثر توعية أبناء الوطن العربي والشباب منهم بخاصة بأمور دينهم، والدعوة إلى التمسك به وزيادة احساسهم بالمسؤولية تجاهه. ونضيف بأنه كل جهد أو عمل يبذل لمواجهة مخاطر الاعلام الجديد تقل جدواه ما لم ينشد المجتمع بناء ركائزه على القيم الروحية والتربوية النابعة من أخلاقيات العقيدة الإسلامية الحققة.

5- إضافة إلى ما سبق نؤكد على أنه لا بديل عن إرساء أسس سياسية إعلامية محددة في إطار مبادئ ميثاق الشرف الأخلاقي للإعلام، باعتبار أنه من المتعذر استخدام أساليب المنع والمواجهة لذلك السيل من المواد والبرامج الوافدة، والتي لا تقف أمامها حدود، ولا تعترضها موانع أو حواجز، كسمة مميزة لعصر السماوات

المفتوحة، دون الالتزام بالمعايير الأدبية والسلوكيات الأخلاقية من جانب القائمين بالاتصال.

ونعاود التأكيد على أن مسألة الالتزام بالأخلاقيات لدى المتلقي في العالم العربي كمسألة مبدأ وقضية إيمانية قبل أن تكون أخلاقية مجردة إنما تمثل إحدى الضمانات أو التحصينات الأكثر فعالية وتأثيراً تجاه ذلك الغزو، خاصة وأنها تحقق لديه إمكانية الاختيار الانتقائي، لما يقرأ أو يطلع على شبكات المعلومات العالمية (الأنترنت) أو يسمع ويشاهد من مضامين ومحتوى إعلامي عبر الوسائل الالكترونية (السمع بصرية).

## الخاتمة:

لقد أحدث الإعلام الجديد تأثير كبير في العديد من مجالات الحياة وسلوكيات أفراد المجتمعات العربية الإسلامية، التي شملت الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعية، هذا فضلا عن ما تعرضه وسائله الجديدة بعدما جعلت العالم قرية صغيرة، وقد نجحت السياسة الغربية بكل مقوماتها وأساليبها في توجيه الاعلام نحو أهدافها الاستراتيجية المرسومة رغم تناقض أقوالها مع أفعالها وتعرض الفرد والمجتمع إلى خطر.

فنحن بحاجة ماسة إلى إصلاح ومواجهة سلبيات هذا الإعلام من خلال بناء رسالة إعلامية تتفق مع العصر ومتغيراته، وتلبي حاجة الجمهور العربي وتوطيد الثقة به، وتعميق المصداقية بالمعلومات، واحترام إرادته، وتوسيع مشاركته في صنع القرارات، فبدون يقظة العرب واستيعابهم لمتطلبات ثورة الإعلام الجديد وتقليص فجوة التقنية، والمشاركة في صناعة المعلومة، وتعميق الديمقراطية في الحياة وتطوير التعليم وتفعيله، ومصارحة الذات ونقدها، وتوعية الشباب وتبصيرهم بأهمية العلم وأمور دينهم، يبقى الخطر قائما.

وفي الختام يمكن القول أن الآثار المترتبة على التقدم المستقبلي التكنولوجي تتسع لتشمل كافة المجالات، سواء ما يتصل بالبنية الاجتماعية والثقافية والإعلامية، أو ما يرتبط بالتأثيرات الاقتصادية، وكذلك ما لها من تأثيرات سياسية وهي الأخطر على الدول.

ومن المحقق أن المستقبل يحمل في طياته ما يفوق أي تصور وأن منجزات العلم والتكنولوجيا لا تعرف المستحيل، وغاية ما يمكن الجزم به أننا نعيش مع دخول القرن الجديد عصر إعلام بلا حدود.

**الهوامش:**

1. عيسى عيسى العسافي: المعلومات وصناعة النشر، دار الفكر، دمشق، 2001، ص 42.
2. محمد الفاتح حمدي وآخرون: تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة- الاستخدام والتأثير-، مراجعة: د. فضيل دليو وفضة عباسي بصلي، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 14، عن: محمد أحمد: الإعلام الفضائي وآثاره التربوية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2008.
3. المرجع نفسه، ص 15، عن: رجا أحم آل بهيش: سيمياء الخطاب الدعائي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الأدب، 1998.
4. إبراهيم بعزیز: الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال الحديثة من طرف الأفراد- الآثار والانعكاسات- ورقة مقدمة في الملتقى الأول "تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة على الأفراد والمجتمعات"، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2011، ص ص 6-7.
5. أحمد محمد صالح: حياة على شاشة الأنترنت، مجلة العربي، ع 515، (01-01-2011)، ص 2.
6. المرجع نفسه.
7. ابراهيم بعزیز، المرجع السابق، ص 9، عن: Beatriz I.a Mileham: Online infidelity in internet chat rooms-en ethnographic exploration, computer in human behavior, 23, 2007, p p 11-31.
8. د. شريف لرويش اللبان: تكنولوجيا الاتصال – المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية-، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2005، ص 194، عن: Joseph strabhaar and robert la Rose: communication media in information society, op.cit, p 440.
9. ابراهيم بعزیز: المرجع السابق، ص 11.
10. ملخص من موقع قيو عرب / <http://www.qaarb.com>
11. محمد الفاتح حمدي: المرجع السابق، ص 18.
12. د. فيصل أبو عيشة: الإعلام الالكتروني، ط1، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، 2010، ص ص 32-35.

13. ياس خيضر البياتي: الإعلام الجديد – الدولة الافتراضية الجديدة- ، ط1، دار البلدية، ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2014، ص 44.
14. د. أسماء حسين حافظ: تكنولوجيا الاتصال الإعلامي التفاعلي في عصر الفضاء الإلكتروني المعلوماتي والرقمي، ط1، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص 176.
15. إبراهيم بعزيز: المرجع السابق، ص 12، عن :
- Gean christophe B: l'apropriation des tic, NG, I.t, communication -société et internet- , paris, harmattan, 1998.
16. طه عبد العاطي نجم: الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2005، ص 87.
17. إبراهيم بعزيز: المرجع السابق، ص 12، عن :
- Phillippe breton: le culte de l'internet -une menace pour le lien social-, la découverte, paris, 2000.
18. المرجع نفسه، عن: vahe z. Emile.n: op .cit, P 07
19. المرجع نفسه، عن : philippe B: op.cit, P 11
20. المرجع نفسه، عن : philippe B: op.cit, P P 16-17

# الوضع الصحي بإقليم الحضنة (الجزائر) ووقع الاحتلال الفرنسي بين 1840-1945

جامعة المسيلة

د. كمال بيرم

## Résumé:

## الملخص:

L'histoire des mouvements politiques et révolutionnaires on souvent séduit la plupart des études sur l'histoire de la colonisation française en l'Algérie, par contre, peu d'études on été consacrés aux différents aspects de la de vie sociale tel la santé.

D'où, cet article vise à jeter un éclairage sur les répercussions de la politique coloniale sur la situation sanitaire dans la région de M'sila. Celle ci autant qu'exemple de ce que à endurer l'ensemble de la société algérienne dans le domaine de la santé sous l'occupation française.

A savoir, le Hodna a été occupé en 1840, et depuis il a été sujet de maintes épidémies et cataclysmes jusqu'à la Seconde Guerre mondiale, Une période longue que nous voulions éclairer quelques unes de seseurs de ses stations les marquantes dans cette brève contribution.

ظل تاريخ الحركات السياسية والثورية يستهوي اغلب الدراسات حول تاريخ الجزائر فترة الاستعمار الفرنسي، والتي أخذت حيزا كبيرا في مجموع رصيد الكتابات التاريخية حول تاريخ الجزائر، وأغفلت الكثير من جوانب المجتمع المعيشية والصحية وغيرها. لذلك نحاول في هذا المقال الوقوف عند إحدى الحالات الاجتماعية التي عانى منها المجتمع الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي بسبب وجوده وسياساته، ونقصد بها الحالة الصحية التي أخذنا منطقة الحضنة كنموذج لها.

ومنطقة الحضنة التي احتلت سنة 1840 عاشت كثير من الويلات والأوبئة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهي فترة طويلة أردنا الوقوف عند كثير من محطاتها لإبراز وقع الاحتلال وسياساته المختلفة اتجاه الأرض والسكان بها.

مقدمة

الدارس لمنطقة الحضنة "hodna" التي تقع في جنوب الإقليم التلي للجزائر الشرقية ، وهي منطقة سهبية رعوية ، لا يمكن له التعرف على أوضاعها إلا من خلال الدراسة الوافية لوثائق الأرشيف المحلية و ذاكرة السكان، خاصة منها وثائق مراسلات الاهالي ،لان جانبها كبيرا من وثائق الإدارة الاستعمارية ، لا تقدم لنا الحقيقة الكاملة ، بقدر ما تقدم تقارير ايجابية لحالة السكان تمجد من خلالها وجودها وبقائها ، وهذا ما لمسناه عند اغلب تقارير المتصرفين الإداريين ، باستثناء حالات الوباء و اكتساح الجراد و الجفاف التي تكاد تكون حالات عادية أكثر منها استثنائية.

تكاد تجمع الكتابات الفرنسية التي تناولت الأوضاع الاجتماعية والصحية للجزائر على أن ما ارتبط بالجزائريين من أوضاع صعبة معيشيا وصحيا إنما مرده الطبيعة والأرض والإنسان العربي، وتتجه في معظمها الى إبراز الجوانب المرتبطة بسلوكيات الإنسان الجزائري، لكن تتجاهل الحال بالنسبة للأوروبيين وكأن الطبيعة تغضب إلا على الأهالي كما جاء في كتاب الأب بورزات l'Abbé burzet تاريخ الكوارث في الجزائر<sup>1</sup>.

لقد امتزجت الوضعيات الاجتماعية بالحضنة (الصحية و المعيشية و السكن ) لتتحول إلى وضعية متشابهة ، أصبحت الطابع المحلي لسكان منطقة المسيلة في ظل الاحتلال الفرنسي ، وكانت حاصل إفرزات السياسات الاستعمارية التي أرادت أن تكون مجتمعا محليا خدوما تحت سيطرة المعمرين ، على قلتهم بالمنطقة.

و للوقوف عند وقع هذه السياسات نحاول تتبع حالاتها وفق التدرج التاريخي الذي عاشته المنطقة ، انطلاقا من الوضع الصحي الذي ساد منطقة الحضنة ، وترك بصمات قاسية في ذاكرة السكان.

**1- الاحتلال الفرنسي والحالة الصحية لسكان الحضنة:**

لم نثر على كثير من الإشارات حول وضع الحضنة الصحي للفترة السابقة للاحتلال التي نجهد عنها الكثير، في ظل عدم وجود المصادر و الكتابات الخاصة بالإقليم الجغرافي للحضنة ، وان وجدت فهي في إطار العموم وفي إشارات محدودة لمن عبر المنطقة ولم يستقر بها .

التقارير الفرنسية حول الوضع الصحي والتي معظمها كانت موافقة للحملات العسكرية الأولى ، تشير من خلال وصفها للوضع العام إلى تدني كبير لمستوى معيشة السكان التي

ارتبطت كثيرا بالتقلبات المناخية الصعبة التي في الغالب هي الوضع السائد لمنطقة الحضنة<sup>2</sup>.

وعاشت منطقة الحضنة بداية الاحتلال الفرنسي وطيلة النصف الأول من القرن العشرين حالات متكررة من الأمراض و الأوبئة التي أصبحت من الوضعيات المألوفة لدى سكان المنطقة .

فخلال الحملات العسكرية الأولى على منطقة الحضنة ، أشارت تقارير عن عدد الوفيات التي أصابت قوات الاحتلال الفرنسي ، جراء انتشار وباء الكوليرا ، مثل حالة 1849 (التي أصيب فيها العشرات من قوات الجنرال serrokka.. والضابط pein بان، في حملاتهم ضد قوات ثورة ابن شبيبة بوسعادة وجنوب منطقة الحضنة سنة 1849.

وفي سنة 1864 عندما اندلعت انتفاضة أهل الحضنة بقيادة إبراهيم بن عبد الله بن بوعزيز قايد عرش السوامع ، تكبدت قوات الجيش الفرنسي أعدادا من الوفيات لنفس المرض الذي أصاب المنطقة<sup>3</sup>.

كما شهدت منطقة الحضنة بكاملها انتشار وباء الكوليرا الذي رافق سنوات الجفاف و العوز 1866-1868. وترك بصماته القاسية على التجمعات السكانية الهامة للمنطقة ، حيث بدأ في الانتشار منذ 11 جويلية 1867 وعم مختلف مناطق الجزائر. وكانت مقاطعة سطيف لوحدها التي كان يقطنها سنة 1867 ما يزيد عن 146000 نسمة، قد تعرضت إلى أكثر من 5300 حالة وفاة ، أي ما يزيد عن نسبة 3.6% من مجموع السكان ، بينما كانت منطقة الحضنة من أهم المناطق التي مسها الوباء مثل أولاد عدي ب 178 وفاة ، أولاد دراج ب 186 وفاة ، المسيلة ب 280 وفاة وغيرهم<sup>4</sup>.

وتعتبر فترة الصيف الحارة أهم فترات انتشار الأمراض و الأوبئة بمنطقة الحضنة كالتيفيس typhus و الرماد العيني و الكوليرا paludisme-choléra<sup>5</sup>.

وإذا كان حال الأهالي قبل انتصاب الحكم المدني بمنطقة الحضنة سنة 1871 تحت رحمة المناخ و المعيشة من جهة وبين تسلط الاحتلال من جانب آخر ، فان وضعهم لم يزد إلا سوءا بقدموم المعمرين الجدد وتكوين البلدية المزدوجة commune mixte بها منذ 1885 ، لذلك تكررت حالات الأمراض الفتاكة التي انتشرت وعمت قرى و أرياف منطقة الحضنة . ومن الحالات التي مست الجزائر عامة نذكر:

وباء سنة 1867):

أشارت التقارير الصحية حول الوباء الذي أصاب الجزائر ككل خلال سنة 1867 ، انه أصاب بدوره منطقة الحضنة ، وأشارت الوثائق المختلفة أن الإصابات الأولى للوباء الكوليرا قد ظهرت في صيف 1867 بمدينة الحضنة التي تعتبر المركز الحضري للإقليم<sup>6</sup>. كتب الطبيب موسى mousse أن المرض ظهر يوم 07 جويلية 1867 في يوم الأحد بعرض السوامع احد فروع عرش أولاد دراج، عقب انعقاد السوق التقليدي ، وبعد يومين أصاب سكان مدينة الحضنة في الأحياء اليمنى لوادي القصب، وأدى الوباء حسب التقرير إلى وفاة 72 شخص بين تاريخ 07 إلى 14 أوت ، بينما توفي 04 اوروبين فقط ، كما أشارت التقارير أن الأوبئة بلغت على امتداد 18 يوما و أودت إلى 144 وفاة من الأهالي و الاوروبين بين تاريخ 14 إلى 18 أوت .

امتد الوباء إلى منطقة بوسعادة يوم 17 جويلية ، حيث كتب الطبيب دوفيل Duvel عن انتشار الكوليرا في الفترة الممتدة بين 17 جويلية إلى 08 اوت ، و أرجعت الهيئة الصحية سبب انتقال هذا الوباء إلى الروابط الاجتماعية و الاقتصادية بين أهل بوسعادة وأهل الحضنة خاصة في مسألة العلاقات العائلية و التجارية ، التي تؤدي عادة إلى الإيصال و الاحتكاك و التواصل ، ساهمت عناصر طبيعية أخرى في سرعة انتقال الوباء إلى الجفاف و الحرارة خاصة أيام هبوب رياح السيروكو (الشهيلي)<sup>7</sup>.

هذا مع العلم أن القيادة العسكرية و الإدارية لمحيط بوسعادة كانت مكونة من قيادة عليا ، وضباط المكتب العربي و الجنود تقارب 98 شخصا ، في الوقت الذي بلغ مجموع المعمرين 77 أوروبي منهم 22 رجلا ، و 24 امرأة و 40 طفلا ، 44 بنتا ، في حين بلغ مجموع الأهالي : 4948 رجلا ، 2444 إمراة ، 2066 ولدا أي مجموع 6096 نسمة<sup>8</sup>. القيادة العسكرية في شخص القائد الأعلى للدائرة تنفي أن تكون أسباب الوباء مسألة المسافرين إلى بوسعادة لانه بلغ بمدينة المسيلة وحدها 249 مصابا ، حيث المياه ذات النوعية الرديئة .

أكد الطبيب المسؤول عن متابعة هذا الوباء من مدينة المسيلة و أعالي جبال الحضنة نحو برج بوعريج بدأت تظهر المباني و الأكواخ بدل الخيام ، و انتشر الوباء بداية الشتاء في مناطق برج بوعريج التي حاولت السلطات الفرنسية وضع جهاز صحي لتأمين السكان من المرض ، غير أن انتقال بعض الجنود من المسيلة وهم مصابون بالمرض كان

من الأسباب التي أسرعت في انتشار الوباء الذي قضى بمنطقة البرج وحدها : 470 وفاة ، منها : 45 رجلا و 59 امرأة ، 62 طفلا و 54 فتاة .<sup>9</sup>

تؤكد جل التقارير الصحية أن المناطق المصابة هي الأكثر فقرا وحرمانا وبها اغلب الضعفاء و البؤساء

وقد أشارت التقارير في إحصائيات لبعض الوفيات بالمنطقة التي كانت تخضع لخلافة المقراني بمجانة مثل برج بوعريريج (897 وفاة ) و سطيف (211 وفاة ) .

وقدرت التقارير مجموع الوفيات بإقليم الهضاب العليا سطيف بـ 8394 وفاة من مجموع السكان 146000 نسمة تقريبا .<sup>10</sup>

وفي اغلب التقارير وجدنا نفس الملاحظات ونفس الإشارات ، بحيث أن وباء الكوليرا انتقل من الجنوب إلى الشمال ، ونفس الأسباب أدت إلى نفس النتائج . القرى الأكثر تعرضا للوباء هي الأكثر فقرا وحرمانا و الأقل نظافة و الأكثر تجمعا و احتكاكا. الوفيات تصيب في اغلب الحالات الفقراء . كل الذين كتبوا هذه التقارير هم ضباط سامون أو أطباء اجمعوا على أن انتشار الوباء كان وراءه انتقال الأفراد واتصالهم ببعضهم البعض . هكذا كان وباء سنة 1867 أكثر خطورة في ظل عدم تعود الأهالي على مثل هذه الحالات أو توقع انتشارها السريع . وعادة ما تكون عملية تسارع الوفيات عقب قدوم شخص أو أشخاص من مناطق مجاورة مصابة، وفي كل الحالات ضاعفت حالة الفقر و العوز و الحرمان و البؤس من عملية انتشار وتسارع وفيات الجزائريين . غير أن ما أكدته هذه التقارير أن الوباء الذي أصاب الجزائر ككل إنما بدأ من مدينة المسيلة سنة 1867 .<sup>11</sup> رغم الأمراض والأوبئة التي صاحبت منطقة الحضنة منذ بداية الاحتلال 1840 فان الإدارة الاستعمارية لم تحاول تخفيف وطأة هذا الوضع ولم تفكر في إقامة عيادة طبية إلا سنة 1904 عندما افتتحت أول عيادة خاصة بالأهالي (infirmerie indigènes) في 16 أكتوبر 1904 جهزت بـ 17 سريرا و 3 عمال صحة . وقد بقيت هذه العيادة محدودة الخدمة وغير قادرة على تأمين صحة السكان خاصة في ظل بعد المسافات بين مركزها و الدواوير من جهة ونقص الدعم البلدي المالي لها من جهة ثانية .<sup>12</sup>

كما وقع نهاية القرن التاسع عشر و خاصة سنة 1893 انتشار واسع لوباء الكوليرا المميت بمنطقة الحضنة كان سريعا، وأدى إلى عدد كبير من الإصابات التي قاربت 500

حالة تحولت منها 416 حالة إلى وفيات خصوصا في المناطق الحضرية كمدينة المسيلة (177 وفاة) وكان توزيع هذا الوباء حسب العدد كالتالي<sup>13</sup>:  
جدول رقم 21 خاص بانتشار وباء الكوليرا 1893 بمنطقة الحضنة.

المناطق	عدد الإصابات	عدد الوفيات
سلمان	29	10
أولاد عدي	5	1
المسيلة	الأوروبيين: 7	3
	الأهالي: 282	282
المطارفة	59	20
أولاد منصور	35	14
السعيدة	82	28
مسيف	18	8
ملوزة	2	2

في قراءة لأرقام الجدول مقارنة بالتقارير الاجتماعية الرسمية و تقارير قياد دواوير منطقة المسيلة المرتبطة بالوفيات و المعيشة ، لا يبدو تطابق بين الحالتين ، لان الأرقام المبينة في الجدول لا تعكس الوضع الحقيقي للأهالي على جميع المستويات و الأصعدة، وفي نفس الوقت لا تعطي الصورة الواقعية لدور العيادة الطبية الصحية اتجاه الأهالي.<sup>14</sup>  
لقد أدى وضع الأهالي الصعب إلى اعتماد السكان بمبادرة لأعيان من ذوي الدخل إلى محاولة التكفل الاجتماعي من خلال إنشاء جمعيات التعاون و التكافل الاجتماعي لتعويض حالات البؤس و المرض الذي أصبح يلاحق السكان.<sup>15</sup>  
وقد حصرت إدارة هذه العيادة المعطيات الأستشفائية لدورها بين سنوات 1904-1914<sup>16</sup> وكان كالتالي :

جدول خاص بحالة الخدمات الصحية بالعيادة بين 1904-1914.

الحالات	1904	1906	1907	1910	1911	1912	1916	1917
عدد الأسر	13	13	13	13	13	13	17	17
عدد الممرضين	3	3	3	3	3	3	03	04
عدد المرضى :	227							
- رجال	143	161	152	174	162	170	174	205
- نساء	31	54	39	25	44	56	41	53
- أطفال	14	22	29	34	36	37	27	27
عدد أيام إقامة المرضى	1730	2457	2825	3302	2914	2120	3114	3181
عدد الوفيات من المرضى	1	3	4	5	4	5	6	5
إصابات العيون	18	37	13	20	18	20	30	32
إصابات الهضم	48	61	21	24	20	36	18	15
إصابات الجلد	34	39	59	56	97	87	71	14
أمراض أخرى	57	/	/	/	/	/	16	20
عدد الفحوصات الطبية	150	200	2150	1400	1927	840	1701	1080

ورغم الويلات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى من مجاعات و أوبئة، فإن الفترة الممتدة بين 1918 إلى غاية 1949 لم تشهد خلالها منطقة الحضنة زيادة في الإطارات الصحية، ولم يزد عدد الممرضين عن ممرضة واحدة و عون صحي واحد.<sup>17</sup> ومرد ذلك

استقرار عدد المعمرين بمركز الاستيطان الوحيد بها أي بالمسيلة من جهة ، ومن جهة ثانية لم تكن لدى سكان الحضنة عادة الاستشفاء بمراكز الاحتلال و كانت المداواة التقليدية هي الأكثر انتشارا و تقبلا .

ومما ضاعف في بؤس الأهالي صحيا ضعف الإنتاج الفلاحي، وصعوبة المناخ وانتشار حالات الحمى التي تؤدي غالبا إلى وفيات كثيرة مثل ما حدث سنة 1918.<sup>18</sup>

كما أن الإدارة المحلية لم تضاعف من حجم دعمها المالي و المادي لهذه العيادة الوحيدة التي تقلص دعمها من 99 فرنكا سنة 1904 إلى 90 فرنكا سنة 1912، يأخذ منه عمال العيادة 60 فرنكا سنويا أي تقدم العيادة من مواد صحية (acide loriquet) إلا بمقدار 30 فرنكا.

و السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى كانت جد صعبة من حيث استمرار انتشار وباء التيفيس بمحيط مدينة المسيلة.<sup>19</sup>

### الأوضاع الصحية بالحضنة بين الحربين (1919-1939) :

لم يتغير كثيرا وضع منطقة الحضنة الصحي بعد الحرب العالمية الأولى بسبب سياسة الاحتلال وإفرازاتها والوضعية المناخية و الاقتصادية الصعبة التي صاحبت سنوات 1918-1923 مما جعل المنطقة محل انتشار عدد من الأمراض و الأوبئة الفتاكة ، مثل الرماد العيني و الحمى او البالدوزيم PALUDISME خاصة بين الأطفال التي تتراوح أعمارهم بين 10-15 سنة.<sup>20</sup> وكان الانتشار واسعا بين أطفال الأهالي في حين لم تشمل التقارير الصحية و لا حالة واحدة عند الأطفال الأوروبيين الذين وصل عددهم إلى 101 طفل ، كما استمرت حالة باقي المعمرين جيدة إلى غاية بداية الحرب العالمية الثانية.<sup>21</sup>

وقد ارتبطت الأمراض و الأوبئة في الفترة الممتدة بين الحربين بمنطقة الحضنة بالفقر و العوز و المجاعات بعد حالات الجفاف و نقص الإنتاج الزراعي .

ففي مقال بعنوان "المجاعة في البلد " كتبت مجلة الكفاح الاجتماعي<sup>22</sup> عن وضعيات الأهالي الصعبة في منطقة الحضنة سنة 1923 ، حيث انتشر الفقر من منطقة برج بوعريج إلى بوسعادة ، المسيلة ، و كانت الإدارة الاستعمارية تقوم بتوزيع كميات محدودة من الخبز لا تزيد عن 70 غرام لكل فرد يوميا ، و لا تخفي المجلة تواطؤ الإدارة الاستعمارية المحلية مع أرباب العمل على استغلال مأساة سكان الحضنة حتى يتمكن

هؤلاء البؤساء من شراء الخبز و الحبوب و ذلك ببيع عقاراتهم لشراء ، وتضرب لذلك مثلا لذلك بسكان المسيلة أين يبدو الدور المزدوج للكولون و الإدارة في القضاء على أرزاق الناس و البؤساء.<sup>23</sup>

تعد الأمراض و الأوبئة بمنطقة الحضنة كحال باقي الجزائر من الحالات غير المحدودة لأنها واكبت حياة السكان فترة طويلة ،ومن أهمها أمراض العيون و الأمراض المرتبطة بالفقر كالتييفيس و الكوليرا ،وقد أحصت التقارير الصحية أنواع عديدة من الأمراض مثل الرمد العيني ، أمراض الحنجرة ، أمراض الجلد وغير ذلك كما يبين الجدول التالي خلال الحرب العالمية الأولى بين سنتي 1917-1918 ، حسب الخدمات المقدمة من العيادة الأهلية الوحيدة في الحضنة<sup>24</sup> :

جدول خاص بحالة الصحة خلال الحرب العالمية الأولى.

الأمراض	1917	1918
الرمد العيني	30	6
أمراض الحنجرة	76	41
أمراض الجلد	6	11
أمراض العين	4	3
الأمراض التنفسية	30	18
الأمراض الهضمية	18	17
الجراحة العامة	71	64
أمراض أخرى	16	20

ومن جانب آخر قدرت الإدارة المحلية عدد الفحوص التي قدمتها المصحة للأهالي خلال سنة 1917-1918 بـ 1501 حالة، علما أن وضع المنطقة كان أصعب قبل الحرب العالمية الأولى حسب الإحصائيات الخاصة بعيادة الأهالي بالمسيلة.<sup>25</sup>

بينما استمر فيه الوضع الصحي بالمعمرين في نفس الفترة على ما يرام ،حيث لم نعثر عن أي حالة من حالات الأوبئة المنتشرة أو الأمراض التي أصابت الأهالي.<sup>26</sup> قد أصابت مركز استيطانهم بالمسيلة. ولم نجد سوى إشارات قليلة عن ذلك مثل إصابة ثلاثة من المعمرين بمرض العيون سنة 1913.

**تأثير الحرب العالمية الثانية: سنوات التيفيس و العربة بالمسيلة 1941-1942 :**

شهدت مدينة المسيلة خلال الحرب العالمية الثانية وضعا استثنائيا ، من حيث انتشار الفقر المدقع والأوبئة الفتاكة التي تركت بصمات عميقة في ذاكرة السكان الجماعية ، و التي لم تشهدها مناطق أخرى في الجزائر بنفس الحدة و الوطأة إلى بداية 1954.<sup>27</sup>

لقد ساهمت عوامل عديدة في تردي حالة أهالي منطقة الحضنة خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد ألحق الجفاف المستمر بين 1937 الى 1954 حالات إضافية من الفقر التام و الكلي و الشامل لسكان منطقة الحضنة ، بعد أن جردوا خيراتهم و حرّموا من أراضيهم و تشنت أرزاقهم و بيعت حيواناتهم من اجل لقمة العيش التي ضاقت من اجلها السبل . و اذا كانت التقارير الرسمية قد أغفلت نهائيا تسجيل أصعب فترة عاشتها جهة من الحضنة الغربية و هي منطقة المسيلة خلال الحرب العالمية الثانية ، فان الذاكرة الجماعية المحلية تتذكرها بتفاصيلها.<sup>28</sup>

مثلت سنوات الحرب العالمية الثانية أقصى وأشد فترات الوجود الاستعماري بمنطقة الحضنة و ارتبطت أحداثها و مآسها بذاكرة سكان المنطقة الذين جعلوا منها مرحلة هامة لبشاعة الظلم الاستعماري و التمييز العنصري بين الأهالي و الأروبيين الذين كانوا بمركز البلدية بالمسيلة.

لقد تلقت مصالح الإدارة الاستعمارية بمنطقة المسيلة من الوالي بقسنطينة التعليمات الخاصة بتنظيم الحياة اليومية للأهالي و الأروبيين أو الفرنسيين الذين بلغوا بداية الحرب 215 نسمة ، حيث لم تكن بالمدينة أية حامية عسكرية لحمايتهم ، لذلك عمدت السلطة المحلية على تجنيد كل عمال البلدية و الشرطة و الفرسان لمختلف الدواوير القريبة من المدينة و إقامة مخابئ للأروبيين خوفا من غارات قوات المحور<sup>29</sup> و تم تكوين :

-مركز علاج أولي : يقوم بإشرافه عمال المصححة الملحقة بالمسيلة و مركز إنقاذ و مركز تنظيف

-مركز نقل بالسيارات و تكونت فرقة خاصة بالأوبئة و الأمراض لمركز الاستيطان بالمدينة و فرضت إجراءات أمنية على محاصيل الحبوب خوفا من أعمال إجرامية<sup>30</sup>.

كما شددت الخناق على الأهالي بواسطة القياد ومراقبة تحركاتهم وأنشطتهم وأمرت القياد بارسال تقارير مفصلة عن وجود أي عنصر من أحباب البيان والحرية<sup>31</sup>. وفرضت تجنيد الأهالي في جهات القتال بعد أن رفضوا العمل في الجندية إلى جانب فرنسا<sup>32</sup>. كما كانت مدينة المسيلة محطة لعبور قوات الحلفاء من الغرب نحو تونس في جوان 1943 حيث تم تخصيص مركز لقواتهم بالبلدية<sup>33</sup> بأمر من الوالي بقسنطينة.

وقام القياد بحراسة المنطقة وإخبار السلطة بكل غريب أو جندي فار<sup>34</sup>، بعد أن تلقوا التعليمات بإعدام كل سجين يتم القبض عليه<sup>35</sup>. إن الشغل الشاغل للإدارة الفرنسية هو امن والأوروبيين وحياتهم بالمنطقة فقد كانت الحرب العالمية الثانية عاملا في استغلال المعمرين سجناء الحرب من الألمان والإيطاليين الذين تم القبض عليهم ببلدية المسيلة، والذين بلغ عددهم 164 سجينا وسخروا في أعمال الفلاحة في ضيعات المعمرين ببلدية المسيلة<sup>36</sup>.

أما الأهالي فقد عمقت ظروف الحرب ماساتهم وزادت في تعاستهم لدرجة فضيعة لم تشهدا المنطقة في تاريخها من خلالها حالات الوفيات والفقر والحرمان بعد أن فقدوا كل شيء لديهم من مواشي وممتلكات<sup>37</sup>. وتكشف تقارير القياد لمختلف دواوير بلدية المسيلة<sup>38</sup> حالات البؤس ونقص الغذاء حتى للمواشي التي بقيت على الحياة تقتات على الحطب اليابس فقط<sup>39</sup>، إن ما أصاب سكان بلدية المسيلة خلال الحرب العالمية الثانية خصوصا سنة 1941، كان يستلزم تدخلا محليا ومركزيا فوريا وبجدية كبيرة فقرة تقرير عن احد سكان المدينة ندرك ذلك الهول الذي أصابها بحيث يذكر أن حالات الوفيات للسكان بسبب الحمى خلال شهر واحد (رمضان 1941) كانت بمعدل 25 وفاة يوميا، في الوقت الذي لم تقم السلطات المحلية بأية مبادرة لفائدة السكان غير أنها لم تتعرض في المقابل لأية عقوبات من الإدارة العليا. وصل الحد بالسكان إلى عدم إمكانهم الحصول حتى على كفن الموتى بسبب انعدام الأقمشة في كامل المدينة، وتشير الشهادات إلى أن الكفن يخيطة عدة مرات لكفاية الميت ووصل الحال ببعض السكان إلى عدم استطاعتهم دفن موتاهم لعدم تمكنهم من الحصول على قماش الكفن. وقد وصل عدد وفيات سنة 1945 بالبلدية 2897 من جملة 3611 مواليد.<sup>40</sup>

لقد كان الوضع المأساوي الذي عاشه سكان البلدية ومركزها المسيلة بسبب السياسة الاستعمارية التي جعلت المعمرين يحتكرون الخيرات والمياه والثروة، ويفقر الأهالي ويحرمون من الشغل والغذاء وهذا ما جعل أعيان فرنسا من القياد يتداركون هذا الوضع في تقاريرهم نهاية الحرب في ضرورة إعطاء الأهالي فرص أحسن للعيش بتوفير العمل، وفتح ورشات الشغل وإمدادهم بقنوات مياه السقي وطرق المواصلات وتكوين فرق لتنظيف مدينة المسيلة وفتح مطاعم خاصة بالمحتاجين والمعطوبين وضرورة تموين الفلاحين ببذور الحبوب للقضاء على البؤس والحرمان والأمراض<sup>41</sup>.

فخلال شهر رمضان 1941<sup>42</sup> حل بالمنطقة وباء التيفيس الخطير الذي صاحب حالة الجوع والفقر وانتشار القمل و الجراد. و أدى الى حالة اجتماعية تكاد تكون استثنائية من تاريخ منطقة الحضنة، وقد كتب عنها احد أبناء مدينة المسيلة واحد رواد حركتها الوطنية السيد بوضياف عبد الحميد ، مقالات عديدة في جريدة سريع قسنطينة la dépêche de Constantine سنة 1941-1942 ابرز خلالها الحالة المأساوية لسكان مدينة المسيلة خاصة خلال شهر رمضان ، حيث كانت الوفيات بالجملة لدرجة عجز السكان عن نقل الجثث على الأكتاف ، استعملوا العربات التي تجرها الخيول لنقل الموتى الذين يصل عددهم يوميا إلى ما يزيد عن 30 وفاة ، وكان من اثر ذلك استحداث الاهالي لمقبرة جديدة بحي الأشياخ بالمسيلة لاستقبال العدد الكبير من الاموات ، وقد صاحب هذا الوباء عوز كبير في الأقمشة و الألبسة ، حيث تجمع شهادات السكان عن عجزهم عن توفير ابسط الأشياء مثل كفن نعش الميت<sup>43</sup>.

وفي خضم الأوضاع الاجتماعية الصعبة تخلت الإدارة الاستعمارية عن التكفل حتى بالمنشآت الضرورية للسكان في ظل عجز الإطارات الصحية ، إذا علمنا انه بين 1904 إلى غاية 1949 لم يكن بعيادة الأهالي بالمسيلة سوى طبيب واحد إلى جانب ممرضة واحدة . فتوقفت المدارس وفر المعلمون منها خاصة الأوروبيون منهم خوفا وعجزا<sup>44</sup>.

ورغم اقتراح حاكم بلدية المسيلة المختلطة في رسالته ( 1943/12/20 ) إلى مضاعفة الطاقم الطبي للحضنة بدعم مالي إضافي فان الوضع استمر على حاله إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية 1946.

فخلال سنة 1941 ورغم الإضافة المالية لراتب الممرضة الزائرة إلى 2000 فرنك إلا أنها لم تغط المنطقة الواسعة المترامية الأطراف ولم تقدم الإدارة خلالها من المساعدات إلى الأهالي إلا :

- 1000 متر من القماش لصنع القندورة .
- 1000 متر من القماش لصنع القميص<sup>45</sup> .

وحملة المساعدات التي قدمتها مصلحة الأمومة في تقرير إحصائي لنشاطها بالمنطقة سنة 1941:

- عدد الفحوص التي قام بها الطبيب 15 فحصا .
- عدد الدورات التي قامت بها الممرضة الزائرة 13.
- عدد الرضع الذين فحصوا من طرف الطبيب 1912 .
- عدد القندورات التي وزعت للأمهات 133/25 قميص للرضع .
- عدد وفيات الرضع 117 أي 17% في زيادة عن 1939 .
- ارتفاع الوفيات بـ PALUDISME\* بـ 19%<sup>46</sup> .

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية أصيبت الحضنة الغربية مرة أخرى بوباء خطير بدأ الظهور منذ يوم 22 أوت 1945 بشكل خطير و سريع ، ومن خطورته ارتفاع عدد المصابين يوميا بحيث كانت المصلحة الوحيدة تستقبل ما بين 300-600 مريض يوميا ، ونفذ دواء المخزون بسرعة ، وتسارعت التقارير وطلبات الإغاثة بالأطباء و الدوائر إلى الإدارات المركزية بالعاصمة بعد اتساع دائرة الوباء في محيط منطقة الحضنة و الذي عرف بـ conjonctivite granuleuse<sup>47</sup> وأصاب كثيرا الأطفال الذين أصيب منهم 80%.

لم تقم الإدارة الاستعمارية بجهد يذكر من اجل الحد من انتشار الوباء ولم ترسل سوى ممرض واحد غير مختص في 10 ديسمبر ارتفاع عدد المصابين إلى 800 مصاب يوميا وتطلب الأمر تدخل الشرطة و الأمن لتداول المرضى على المصلحة التي أرهقت ممرضتها الوحيدة .

عمل الدكتور الجزائري ألسماتي في تدخلاته العديدة في إطار المندوبيات المالية على طلب نقل المرضى بسرعة إلى مستشفيات المدن المجاورة كسطيف ، التي قامت

باستقبال و معالجة 819 مريضا وأصبح الدكتور سماتي يتابع شخصا العملية بمدينة سطيف بالتنسيق مع مديرية النظافة و الصحة .

استمرت عملية نقل المرضى بالحافلات و الشاحنات يوميا إلى سطيف إلى غاية شهر أكتوبر 1945 في ظل نقص مواد التنظيف التي انعدم وجودها بكامل منطقة المسيلة مثل الصابون و الأدوية و القماش.<sup>48</sup>

لقد استمر تدهور الوضع الاجتماعي المرتبط باستمرار تدهور الاقتصاد الأهلي وتقلص الثروة الحيوانية واستمرار الجفاف وارتفع عدد العائلات المحتاجة رغم محاولات التضامن بين السكان في حدود إمكانياتهم.<sup>49</sup>

وتشابهت أحوال سكان منطقة الحضنة بين الحربين في ظل استمرار الفقر و المرض ولم يحصل أي تطور يذكر كما أشارت التقارير الفرنسية في مختلف الميادين، بل استمر تضيق الإدارة الاستعمارية على السكان لمنعهم من ابطس الحقوق مثل استعمال المياه للتنظيف وتميزت هذه الفترة بسنوات حرجة من حيث انخفاض الغلات الزراعية و ارتفاع الوفيات كما كان الحال سنة 1937 بحيث أدى وباء التيفيس الذي يرتبط بالنظافة و التغذية إلى تقلص عدد السكان بلدية المسيلة من 54.371 سنة 1936 إلى 48396 نسمة سنة 1937<sup>50</sup>، أي تقلص السكان بما يقارب ب6000 نسمة وقاربت نسبة ارتفاع الوفيات لسنة 1941 مقارنة سنة 1931 ب 48% 51.

لقد ترتب عن هذا الوضع حالة من اليأس لدى بعض الأهالي الذين غادروا بلدية المسيلة المختلطة في اتجاهات مختلفة بعائلاتهم أو بمفردهم وكان العامل الجغرافي والعلاقات التاريخية من أهم عوامل توزيع هذه الهجرة السكانية مثل تاملوكة - سدراتة - عزابة برج بوعريبرج قالمة وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية كما اتجهت عائلات من منطقة القصابية نحو بلاد القبائل مثل تازمالت البويرة - مايو - الجزائر أقبو وكذا فرنسا. واتجهت كذلك عدة عائلات من بني يلماح نحو بلاد القبائل و متيجة وروبية وفرنسا.<sup>52</sup>

كما أن المتصرف الجديد للبلدية يشير في تقريره<sup>53</sup> نهاية الحرب إلى حالة الفقر والحرمان التي تسود المدينة و أهلها الذين باعوا كل ما يملكون من اجل لقمة العيش<sup>54</sup>، في الوقت الذي استغلت فيه شركة الأهالي الاحتياطية الظروف في تقديم قروض وصلت إلى 1000.000 فرنك رهن الأهالي مقابل لها أملاكهم وأراضيهم<sup>55</sup>. كما نجد

في شهادة معلم فرنسي بمنطقة الدريعات<sup>56</sup> ذلك الواقع المؤلم لأهالي المنطقة وأبنائهم ، بحيث يشتكي معهم الجوع والبرد ويذكر الأطفال وهم جياح لا يلبسون إلا ما يستر عورتهم ولا يجد معهم في المدرسة ولا قطعة حطب للتدفئة لكن هل انتهى الوضع إلى هذا الحد بالنسبة للسلطة الاستعمارية؟.

لم تكن السلطة الاستعمارية ترى إلا من باب واحد هو خدمة الأهالي لفرنسا وللمعمرين وهذا ما جعلها تفرض عقب نهاية الحرب على الأهالي بعد المرض و الفقر غرامات تقدم لمختلف الجمعيات الفرنسية في إطار إعادة أعمارها مثل:  
-الجمعية الخاصة بالموظفين الإداريين للمقاطعة التي فرضت دفع 30.000 فرنك.

-المتحف التاريخي للمارشال فروشي D'espoey Frenchet مبلغ 300.00.  
-فدرالية المستعمرات للمقاطعة لمركز لاصطياف مبلغ 3000.00 فرنك ، كما فرضت الإدارة المحلية على جميع الدواوير مساهمات جعلت ميزانية البلدية تحقق فائضا ماليا سنة 1945 قدر بـ 200.970 فرنك<sup>57</sup>.

وكان تعمير فرنسا المنهارة نهاية الحرب بخراب المنطقة البائسة بحيث فرض عليها تقديم دعم مالي إلى الجمعية الإسلامية لإعادة إعمار فرنسا بالمسيلة قدر بـ 427.675 فرنك قدم إلى الحكومة الفرنسية بواسطة أعيانها من القياد أعضاء الجمعية ورئيسها الأغا بوضياف علي<sup>58</sup> . وكانت تقوم بالدعاية لها صحيفة صوت الأهالي La voix indigene بعنوان "le vrai visage du bled" .

هذه بصمة صغيرة من بصمات السياسة الاستعمارية الفرنسية في إحدى المناطق الداخلية العميقة في الجزائر، وان تداركنا جزءا منها على ضوء الأرشيفات المتناثرة ، إلا ان الذاكرة الجماعية لأهالي منطقة الحضنة ومدينة المسيلة ما تزال تستشعر وطأة ذلك الزمن التي تداخلت فيه أحوال الطبيعة مع شؤم المستعمر وبطش الإدارة وتصرف القياد، وشكلت بعض الحالات الصحية مرجعية تاريخية لدى حياة السكان عند استرجاع محطات تاريخهم المعاصر. ويبقى رغم هذا التقديم الموجز لوضع الجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي ، جانب كبير من التاريخ الاجتماعي ينتظر بحثا متواصلا لكشفه وتقديمه بالصورة التي تبعث الهمم لواقع أفضل وتجرم الاحتلال على ما اخذ وعمل في أوطاننا<sup>60</sup>.

- هوامش المقال:

- <sup>1</sup> L'abbé burzet: histoire des désastres de l'Algérie, imp, centrale algérienne, 1869.
- <sup>2</sup> -CAOM (centre d'archive outre mer Aix) 8H7 .occupation de Bou Saada , rapport du 12/11/1849.
- <sup>3</sup> -CAOM : 8H22, trouble dans le hodna , rapport du 23/09/1864.
- <sup>4</sup> -ACMM (archive de la commune mixte de M'sila) B (boite), 264, Assistance musulmanes , renseignement statistique .
- <sup>5</sup> -Burzet, abbé: l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine, -imp. de E. Garaudel (Alger)-1869 .pp24-41.
- <sup>6</sup> -CAOM:65k1.2poste de. M'sila , cercle de boussada , rapport de mossu , medecin aide-major à M'sila détaché à M'sila (10/09/1867) .
- <sup>7</sup> -CAOM:8h7. cercle bousaada , rapport du medecin deville , medecin aide major (21/09/1867.page : 168).
- <sup>8</sup>-CAOM:8H7,OP-.cit page 166 .
- <sup>9</sup> . CAOM 65k1, rapport de M.le commandant supérieur (1866 – 1867) .
- <sup>10</sup> -CAOM:65k4.rapport de M.Lienard . médecin aide major 1867.
- <sup>11</sup> CAOM:65k3 rapport sur l'épidémie de 1867 dans le hodna.
- <sup>12</sup> -- ACCM : B264 – Infirmerie indigènes . rapport .31/10/1904.
- <sup>13</sup> -ACMM : B 87, Etat énumératif d'épidémie chloroforme du 11/08 au 8 octobre 1893-

<sup>14</sup> - في رسالة من سكان المسيلة الى الحاكم (1922/08/31) يشكون فيها حالهم جراء التمييز العنصري الذي كانت تمارسه الممرضة الوحيدة التي بقيت في الخدمة في العيادة وهي الفرنسية ، ضاق من تصرفاتها حتى اليهود الأهالي آنذاك (ACMB 12/01/1944)

- <sup>15</sup> -ACMB : B-217/ (1927/08/27societe de bienfaisance' al mousaada. مثل تكوين جمعية المساعدة لمدينة المسيلة).
- <sup>16</sup> -Edmont,Sergent et autres: Contribution de l'institut Pasteur d'Algérie à la connaissance humaine, in cahier d'outre mer ,volume 7-8 année 1954,pp305-310.
- <sup>17</sup> -ACCM : B 264,sante publique, lettre de l'administrateur 10/05/1949.
- <sup>18</sup> - ACIM : B 210, –rapport du Caid boudiaf Med caid douar dreat 24/09/1918 .
- <sup>19</sup> -ACCM : B 90-, santé- Lettre du directeur de l'école indigène de M'sila .04/04/1912 . (choussal) .
- <sup>20</sup> -archives de l'institut pasteur Algérie , 1923.
- <sup>21</sup> ACMB : B264..rapport 31/01/1936 .
- \*تكرر حالات وباء الكوليرا بعد سنة 1910 بالحضنة (انظر المبرشر عدد 5277 السنة 1910 الأربعاء 24 أوت 1910)
- <sup>22</sup> - Gracchus : la famine dans le bled , la lutte sociale N° 220 , le 16/08/1923 et N°221 27/08/1923 et N°224/02/03/1923 .
- <sup>23</sup> -I BID : 27/02/1923.
- <sup>24</sup> -ACMM :B90 infirmerie indigène rapport du 03/01/1918
- <sup>25</sup> -ACMM :B264 rapport quotidien ( du 1904/1918) .
- خاصة رمد العيون للمزيد انظر 1923 Archive de l'institut pasteur d'algérie
- <sup>26</sup> -ACCM : B 213 – rapport administrateur 31/01/1931 et rapport administrateur – 31/12/1940 .
- <sup>27</sup> مقابلات عديدة مع شيوخ المنطقة وشهادات مسجلة .
- قدم المخرج السينمائي محمد لخضر حمينة صورة وافية عن هذه الوضعية في فيلمه
- <sup>28</sup> -وقائع سنين الجمر وهو ابن البلدة التي أصابها الوباء.
- <sup>29</sup> - ACMM,B,20; ( rapport de L'Administrateur 9/5/1940)
- <sup>30</sup> - ibid.

- <sup>31</sup>- ACMM,B,54,D1, ( lettre des caïd des douars de la CMM, 31/01/1943.
- <sup>32</sup> -- ibid.
- <sup>33</sup>- ACMM,B187 (lettre des caïd des Douars de la CMM, 31/02/1943
- <sup>34</sup> - دور قايد ملوزة في القبض على الجنود الايطاليين وتسليمهم لفرنسا -رسالة القايد - ( ACM ,B257D4.بوضياف 25 أوت 1943 )
- <sup>35</sup> - ACMM,B187 ( lettre l'Administrateur au caïds de le commune 25/9/1943)
- <sup>36</sup>- ACMM,B; 257 D ( prisonnier de guerre détaché a l'agriculture )
- <sup>37</sup>- la dépêche de c<sup>ne</sup>-21-11-46) rapport de Boudiaf-Abdelhamid.
- <sup>38</sup>- ACMM,B;54 (rapport des caïd 1941.)
- <sup>39</sup>- ACMM,B;54 ( rapport caïd de Kherabcha 2/1/1941.)
- <sup>40</sup>. شهادات حية لعدد من السكان الذين عاشوا الفترة ومنهم الوالدان
- <sup>41</sup>- la Dépêche de Constantine 21-11-46
- <sup>42</sup>-dépêche de Constantine 22/10/1941.
- ACMM:B90 : circonscription médicale de colonisation M'sila . épidémie <sup>43</sup> d'affection oculaires 25/09/1945 .
- <sup>44</sup> رسالة معلم الدريعات (1941/02/12) وفيها تصوير فضيع لحال الأطفال الأهالي (ACCM : B -209) المعيشية الاجتماعية
- <sup>45</sup>-ACCM : B 211 , inspection de l'assistance publique subvention par 1943/28/08/1943
- <sup>46</sup> - I BID –rapport 02/11/1941 .
- \*J .clastrier : sur une Epidémie de paludisme observé à M'sila in contribution de l'institut pasteur d'Algérie : par JAMES ORIN OLI PHANT . institut pasteur . 1962 . P .31 .
- <sup>47</sup> ACCM :B90 – circonscription médicale de colonisation d'affection oculaires 25/09/1945.

<sup>48</sup> -ACCM : B 133– assistance aux mères et aux nourrissons . rapport  
.25/05/1945 .

<sup>49</sup> -A.C.M.M: B, 18. مثل تكوين أهالي المسيلة الجمعية الخيرية الإسلامية .-.  
1927/01/18

<sup>50</sup> -استمرار سنوات الجفاف بين 1921-1927 وأمراض التنفيس 1921-1937 في الوقت  
الذي لم يكن يوجد بالبلدية إلا طيب متنقل من البرج [ ين سالم عيسى] بين 18-  
.1924

<sup>51</sup> - ACM,B18.rapport administrateur.(5-09-1940)

<sup>52</sup> - ACM,B;133(Rapport des caïd 9/1/1941).

<sup>53</sup> - ACMM, B;89 ( rapport de L'Administrateur3/3/45)

<sup>54</sup> 3-تشير الكثير من الشهادات إلى بيع السكان لأراضيهم الواسعة من اجل لقمة العيش  
<sup>55</sup> 4-تشير الرسالة الثانية إلى حرص التلاميذ (21) على التعليم ومساهمة أهاليهم في  
تموين مطعم المدرسة الوحيد بالبلدية المختلطة للمسيلة ب مواد : الملح-البصل-الحطب  
-الخضروات-ACMM;B154

<sup>56</sup> - ACMM,B,154 (lettre de l'instituteur de l'école de Dreat a l'Administrateur  
27/03/1941.

<sup>57</sup> - ACMM,B,53,D1,

<sup>58</sup> للإشارة فإن الميزانية البلدية استمرت منذ مدة طويلة تحقق فائضا ماليا بسبب قلة  
الإنفاق والضرائب العديدة على السكان..ACMM,B,87,115  
للاشارة فإن الميزانية البلدية استمرت منذ مدة طويلة تحقق فائضا ماليا بسبب قلة  
الإنفاق والضرائب العديدة على السكان..ACMM,B,87,115

## محب الدين الخطيب

والانتداب الفرنسي في سورية 1926-1946م

جامعة البصرة

د. حسين محمد الشريف

where he revealed the hidden conspiracy between the Turks, the British and the French to usurp the Sanjak of Alexandretta and tie them to Turkey in 1938, and warns against the impact on Syria and the Arab world, and unveiled that will compromise the deceits of the French mandate and those who support him in his attempt to impose a system for communities and exploit intolerance by thirsty for power and prestige to destroy the heart of the union of the Syrian nation.

It expresses deep regret for the disunity that has dug his claws into the Syrian nation and divided into parties that are fighting each other, forgetting the historical mission of their incumbent. And when the French colonizer was evacuated from Syria April 15, 1946, he expressed his great joy and praised a great tribute to the national government that led the country to independence

### الملخص:

إنّ الحديث عن الأكراد وثوراتهم وانتفاضاتهم هو الحديث عن هذا الشعب المسلم الثائر عبر تاريخه في مناطق تواجده. والقارئ العربي في حقيقة الأمر في أمس الحاجة إلى معرفة تاريخ هذا الشعب الشقيق ومراحل المتعاقبة والإطلاع على الجوانب الإيجابية والسلبية منها، لأنّ معرفة تاريخه هي المدخل الرئيسي لمعرفة قواعد وقوانين صراعه حالياً مع الدول المجاورة التي قسّم الاستعمار الأوروبي بلاده عليها، وهذا ما تطرقنا له في مقالنا هذا مع التركيز على مواقف وآراء عاصرها وكتب عنها العلامة محب الدين الخطيب وأدلى فيها بدلوه، إذ لم يكن غائباً عن ذهنه الثورات الكردية بدءاً من ثورة الشيخ سعيد في مارس 1925م إلى غاية 1948م.

**Abstract:**The remoteness of Mohib Eddine Khatib Syria his homeland made him more committed and more dedicated to it, by focusing on all that is happening and what is reproduced in Syria, colonized by France 1920- 1946,

المقدمة:

نكبت الأمة العربية نكبة كبرى من جراء الخلافة العثمانية التي خرجت عن إطارها الإسلامي، إذ لم يكن في العرب من يفرق بين المسلم وأخيه المسلم مهما كان لونه أو أصله، وسلموا حمل الراية الإسلامية إلى الترك الذين تسللوا إلى السلطة، وحازوا رضاء بني العباس، وتكونت فيما بعد الدولة العثمانية التي انضوى تحت لوائها العرب من الخليج العربي شرقا إلى حدود الجزائر الغربية غربا.

ولكن العثمانيين المتأخرين ظهرت فيهم العصبية لأصلهم واتبعوا أساليب مختلفة في معاملة الشعوب العربية، وفشت فيها الدسائس والمراوغات والمؤامرات، وتقلد المناصب الإدارية والقضائية من هم أكثر ولاء للسلطة، بغض النظر عن الكفاءات العلمية والثقافية، إلى أن ظهر من يتحدى العرب في لغتهم وحاول تتركهم. كما ظهر طغاة مستبدون حاولوا بسط نفوذهم عن طريق القوة ضد أحرار العرب، الذين وقفوا في وجه حملة التتريك هذه، فنصبت المشانق وأعدم وجهاء في سوريا ولبنان، لا لشيء إلا لأنهم دافعوا عن حق العرب بأن تكون لغتهم هي السائدة في بلادهم - إلى جانب اللغة التركية- وهي اللغة التي يرضى بها جميع المسلمين.

كما أن الأموال التي كانت تجبى من العرب كانت تتحول إلى بناء القصور الفخمة في تركيا لتحقق الترف والرفاهية للحكام وأصحاب السلطة. ولم يبن الترك مصانع ولم يكونوا جيشا قويا من أبناء العروبة بل راحوا يجمعون لمامة الشعوب في جيش انكشاري لم يستطع الوقوف أمام الدول الأوروبية فلا تسليح يؤمن العزة والصمود ولا رجالا يوثق بولائهم وإخلاصهم وإيمانهم بالله والوطن وبالإضافة إلى ذلك فإن العرب لم ينسوا ما عانوه من جوع وفقر وحرمان أثناء اشتراكهم في الحرب العالمية الأولى إذ لم يجد المشاركون في الحرب ما يأكلونه حتى وصل الحال ببعض الجنود؟ إلى نعال الصباييط الجلدية فغسلوها وطبخوها<sup>(2)</sup>.

وكان البلاء الكبير عندما تولى السلطة جماعة الاتحاد والترقي بعد انقلاب عام 1908م الذين أداروا ظهورهم للإسلام الذي أوصل أجدادهم إلى السلطة وأخذوا يتطلعون إلى محاكاة الغرب وتقليده تقليدا أعمى مما أثار حفيظة المثقفين العرب الذين رأوا في هذه الحفنة والشرذمة من أصحاب السلطة ما يشكل خطرا أكيدا ومحتما على الإسلام والعروبة فشكّلوا جمعياتهم التي أخذت أسماء مختلفة للوقوف في وجه تيار التتريك

الطوارني الذي عاداهم وأعمل في رقابهم حبال المشانق وتنكر كل التنكر للعروبة والإسلام وراح يبحث عن أمجاد الأتراك في العهد الوثني ونسي بأن العرب هم أنفسهم الذين قهروا من قبل من كان أشدّ طغيانا وظلما من المغول والتتار فلا جنكيز خان ولا تيمورلنك ولا هولوكوبقي لهم من أثر إلا اللعنة الإلهية والبشرية.

وما كادت الحرب العالمية الأولى تنتهي حتى ابتلي العرب بسبب حالة الضعف والانهزام التي ترتبت عن الدولة العثمانية بمستعمرين جدداً أعملوا عقولهم في تجزئة ما بقي من الوطن العربي وتشطيره إلى مناطق نفوذ أوربي "لفرنسا وبريطانيا" من خلال مؤامرات انجلوفرنسية جعلت بلاد الشام والعراق مقسمة بين فرنسا وانجلترا وظهر إلى الوجود وعد بلفور المشؤوم عام 1917م ففتحت بريطانيا أبواب فلسطين على مصراعها لشذاذ الأفاق من اليهود.

ولم يكن هؤلاء المستعمرون أشدّ وفاء من العثمانيين إذ خانوا عهودهم مع الشريف حسين الذي ساعدهم في محاربة الدولة العثمانية على أمل أن يكون مؤسس الدولة العربية الكبرى ومليكمها مكافأة له على الدور الذي يلعبه وقواته العربية في هزيمة الأتراك.

وزاد هؤلاء المستعمرون في خيانتهم وغدرهم للعرب فسلبوا من سوريا جزءاً عزيزاً هو لواء الإسكندرونة وسكانه عرب سوريون وأعطوه إلى تركيا تقرباً لحكامها العلمانيين وكسبا لحيادهم في الحرب العالمية الثانية التي كانت تبدو بوادرها في الأفق القريب، ودعموا منهم وإسناداً للسياسة التغريبية التي باشروا السير في طرقها وميادينها وطموحاً في جعل أرض الخلافة مقبرة لدعاة الإسلام.

وهذا يكون المستعمرون قد غرسوا في جسم الوطن العربي رأس رمح في اللواء وخنجر غدرومكروخداع في قلب الأمة العربية والإسلامية فلسطين.

وسيبقى ذلك وصمة عار في تاريخ الفرنسيين والانجليز وإنّا لنتساءل عن منبع هذا الكرم الذي جعل هؤلاء يسلبون جزئين عزيزين من جسم الأمة العربية ليتبرعا بهما لمن ليسوا من أهلها.

ومن الجدير بالذكر أن فرنسا عمدت إلى عقد معاهدة "أنقرة" في 20 أكتوبر 1921م مع الكماليين بعد مناوشات حدودية عدلت بموجها الحدود بين تركيا وسوريا إذ تخلت فرنسا لتركيا عن "كليكميا" وحرمت الوطن العربي من تخومه الطبيعية في الشمال وهي

جبال "طوروس" واحتفظت سوريا بالسيادة على "اللواء" باعتراف تركيا حتى عام 1936م حيث عادت فرنسا وتواطأت مع تركيا ودفعتها لإثارة قضية "اللواء" زاعمة أن جميع سكانه من الأتراك<sup>(3)</sup> وتدخلت بريطانيا في الموضوع استمالة لتركيا لضمان حيادها في الحرب العالمية الثانية ضد النازية فكان اتفاق "جنيف" في مايو 1937م الذي وضع موضع التنفيذ في 29 نوفمبر 1937م. وحول اللواء إلى لواء تركي مع أن الأتراك لم يتجاوزوا نسبة 25% من سكانه.

وفي 23 يونيو 1939م عقدت فرنسا وتركيا ومن وراء ظهر عصبة الأمم اتفاقية "انقرة الثانية" التي قضت بضم اللواء نهائيا إلى تركيا وإلغاء جمهورية هاتاي "إسكندرونة" وانسحبت الجيوش الفرنسية في 23 يوليو 1939م تاركة للأتراك جميع السلطات<sup>(4)</sup>. وهكذا تكون فرنسا قد انتقمت من الشعب السوري الذي وقف في وجهها في معركة "ميسلون" ومعارك "هنانو" في الشمال ومعارك "الدروز" في جبل العرب (الدروز سابقا) ومعارك (الشيخ صالح العلي) في جبال العلويين والساحل السوري، مع أنها كانت دولة منتدبة لمرحلة معينة ريثما تهئ الشعب السوري لتسيير أمور البلاد.

#### 1- محّب الدين الخطيب وقضية سلخ لواء إسكندرونة عن سوريا الأم:

لم يكن الخطيب أقل حماسا في مسألة اللواء عن حماسه في مسألة فلسطين وغيرهما من بلاد الإسلام فقد كانت تؤلمه الأحداث والنائبات فيتصدى لمعالجتها وتقديم كل ما يمكن أن يصل إلى يده من معاهدات واتفاقات وكل ما تفصح عنه المراجع التاريخية والوثائقية ثم يهيب بالمسلمين قاطبة وعلى رأسهم علماءهم ورجال دينهم وأصحاب السلطة والمناصب بأن يهبوا لنصرة الحق الإسلامي، ولاسيما لواء الإسكندرونة السليب على أن المعركة القائمة كما يراها هو صراعا بين الحق والباطل وبين الإسلام والمرتدين عنه في أنقرة.

ويظهر لنا من كتاباته شدة حرصه على الوحدة الإسلامية واستمرار رايتهما عالية خفاقة تجمع القلوب ولا تفرقها في ظل التسامح القومي بعيدا عن العصبية والعنصرية ويرى فيها الدعامة للحرية والاستقلال في أي جزء من الوطن الإسلامي.

ولم يخف الخطيب فرحته الكبرى للإعلان الذي نشرته جريدة (الأهرام) لصاحب السمو (الأمير عمر طوسون) الذي ذكر بكل وضوح أن سوريا هي صاحبة الحق في هذا السنجق

وأّن ذلك لا يحتاج إلى دليل فقد كان تحت السيطرة السورية وفي عهدتها طوال مدة الانتداب الفرنسي<sup>(5)</sup>.

كما أشاد بالأستاذ "خليل بك ثابت" الذي كتب مقال افتتاحية في جريدة المقطم أعرب فيه عن استغرابه من أنّ مصير جزء كبير هام من سوريا يقرر في غياب سوريا ومن وراء ظهرها ودون أخذ رأيها مع أنّ سوريا هي صاحبة الحق لا فرنسا فكيف لا تستشار؟<sup>(6)</sup> وفي متابعة للأحداث الجارية في اللّواء بيّن كيف مهّد الفرنسيون لتسليم اللّواء بأنّ أنزلوا العلم السوري عن المباني الحكومية ورفعوا العلم الفرنسي بديلا عنه ليرفع العلم التركي بعد ذلك.

وأشار الخطيب إلى أنّ المجلس النيابي في دمشق قد اتخذ قرارا برفض (اتفاقية جنيف) وكيف تنادى الوطنيون في دمشق إلى اجتماعات ضمت بعض رجال السياسة وأبناء الشعب وتم فيها إلقاء الخطب الحماسية ودعوة الشباب لحمل صوتهم إلى أسمع العالم مادامت الأساليب السياسية تمنع المجاهرة بالحق<sup>(7)</sup>.

وبيّن الخطيب أسباب حزنه لسلم لواء الإسكندرونة عن سوريا ولخصها فيما يلي:

أ- أنّ عرب اللّواء وضعوا أمام أمرين. إما الاعتراف بأنهم ليسوا عربا وبالتالي عليهم طلب الدخول في الحكم اللّاديني أو أنّ يحملوا ما يستطيعون حمله من منقول ويبيعون ما يملكون من أرض ويخرجون من اللّواء إلى غير رجعة.

ب- أنّ الدين الإسلامي لن يعود مصدر القوانين وخاصة ما يتعلق بالأحوال الشخصية.

ج- إغلاق أبواب المحاكم الشرعية كما فعل الفرنسيون مع مناطق البربر في المغرب الأقصى.

د- منع الكتاتيب والمدارس الأولية والابتدائية من تعليم القرآن الكريم للأطفال.

ولم ينس في ختام كلمته أنّ يستثير حمية المصريين بأن يبدي أسفه على تقاعس المصريين عن رفع صوتهم والوقوف في وجه هذه المؤامرة الدنيئة فيقول: (نحن نقول أنّ مصر قلب العالم الإسلامي وبيدها قيادته ومع ذلك لم يرتفع فيها صوت حكم في استنكار هذا الظلم الجسيم اللهم إلا ما كتبه الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة في جريدة الحزب).

كما توجه إلى المسلمين عامة مبينًا بأن اللّواء الضائع من أهله وحدهم بل ضاع من يد كل مسلم وكل ناطق بالضاد على وجه الأرض. ويعزو الخطيب هذا الضياع إلى ما تعانيه الأمة الإسلامية من تقاطع وقعود عن واجب النصرة والجهاد<sup>(8)</sup>.

ومع أن البلاد العربية والإسلامية كانت تعيش في ظروف قاسية من استعمار وتجزئة وفقر وجوع وجهل فإن الخطيب يتناسى ذلك كله ويبقى مشدودا في خطابه إلى عهد الخلافة الإسلامية التي تمزقت بلادها شرممق وتقطعت أوصالها والتي أصبحت فيها الشعوب تبحث عن خلاصها من الاستعمار معتمدة على أبناء وطنها وقوميتها. ففي غياب زعامة الخلافة الإسلامية تفرقت صفوف الأمة الإسلامية وتمزقت أوصالها ولم تعد فكرة الجهاد التي نادى بها القرآن الكريم موجودة إلا في حدود معينة ومجالات ضيقة، أضف إلى ذلك أن البلاد الإسلامية شاسعة ممتدة ويكاد يكون الاتصال فيما بينهما معدوما أضف إلى هذا ما يعانيه الناس من جهل وفقر وحرمان.

يتابع الخطيب سلسلة الأحداث فيعرضها ويتساءل عن الدور الذي يقوم به العلماء والمسلمون في نزع فتيل الخطر وإطفاء نار الفتنة التي أشعلت فتيلها حكومة أنقرة في لواء الإسكندرونة حيث أوغرت صدور القلة التركية ضد الكثرة العربية فحاربت الفئة المسلمة أختها الفئة المسلمة وسفكت دماءها وفرقت جموعها وهجرت من هجرت وحلت الفرقة والعصبية محل الأخوة الإسلامية فتوجه المسلم برصاصة إلى أخيه المسلم وألغيت المحاكم الشرعية واختلط الحابل بالنابل ولم يرتفع صوت رجال الدين وعلماء الإسلام بل اكتفوا بالتفرج وكأن الأمر لا يهمهم من بعيد أو قريب.

ويرى أن واجب إطفاء نار الفتنة إنما يقع على عاتق علماء الترك أنفسهم قبل علماء العرب، ويحمل علماء الأناضول الموجودين في ولاية حلب مسؤولية تنوير ألباب إخوانهم الترك في اللّواء وينحو باللائمة على علماء العالم الإسلامي الذين يقرؤون أخبار الفتنة وينظرون إلى النزاع كأنه قائم في بلاد الصين بين فرقتين من البوذيين<sup>(9)</sup>.

ويتساءل قائلا: (ترى هل خلص علماؤنا من كل الواجبات ولم يبق عليهم غير الإفتاء في مسائل الحيض والنفاس؟)<sup>(10)</sup>.

وفي ميدان دفاع الخطيب عن حق سوريا بالإسكندرونة وأنطاكية يذكر المسؤولين والمسلمين والحكام في دمشق وتركيا والعالم الإسلامي بأن اتفاقية أنقرة المعقودة يوم

20 أكتوبر 1921م بين فرنسا وتركيا نصت في المادة (8) الثامنة أن خط الحدود يبدأ من نقطة على خليج الإسكندرونة ويتجه إلى ميدان اكبس تاركا محطة سكة الحديد والمركز تابعين لسوريا كما جاء في معاهدة لوزان<sup>(11)</sup>.

وأن جميع المعاهدات والاتفاقات المعقودة بين فرنسا وتركيا من سنة 1920 تحتوي على اعتراف رسمي من جماعة أنقرة بأن لواء الإسكندرونة جزء من سوريا.

وفي مايو 1926م وافق المجلس التنفيذي في اللّواء على قرار يقول: (إن منطقة الإسكندرونة جزء لا يتجزأ من سوريا كما انجلى استفتاء لجنة عصبة الأمم عن تأييد سكان اللّواء بحق سوريا فيه وحتى أن جميع الفرمانات السلطانية زمن الدولة العثمانية كانت تسمي الطرف الشمالي من ولاية حلب اللّواء باسم عربستان هذا من الجانب القانوني ومن جهة أخرى فإن المسألة ليست مسألة ترك وعرب ولكنها مسألة بلاد تنعم بالروح الإسلامية ويراد لها إزالة هذه النعمة الإلهية عنها)<sup>(12)</sup>.

ونظرا لأن حكومة الترك تخلت عن الإسلام فقد سهل عليها التسامح مع الانجليز في تهويد فلسطين كما استجاب الانجليز لها بالتسامح على تتركيز أنطاكية وإسكندرونة. كما وأن فرنسا حذت حذو الانجليز وتسامحت مع تركيا في موضوع اللّواء من هذا المنطلق أيضا<sup>(13)</sup>.

والملاحظ على الخطيب بأنه لم يقطع الأمل ولم ييأس عن مناشدة علماء الترك المسلمين ليكون لهم موقف إيجابي في مساندة إخوانهم عرب اللّواء لوقف التزيف الدموي الذي أخذ يتسع نطاقه يوما بعد يوم. كما يلاحظ عليه بأنه قد غلب الجانب الديني الإسلامي على الجانب الوطني وهو حق سوريا في اللّواء.

ويبدو لكل مطلع وباحث سعة ثقافته ومعلوماته التي تدفعه إلى التصدي للمؤامرة المحاكاة بين فرنسا وانجلترا وتركيا في سلب اللّواء واجتزائه من سوريا ليكون مع مدن أخرى هي في قلب الأناضول وسكانها من العرب كديار بكرين وائل وعين تاب.

ويستشهد في دفاعه على عروبة اللّواء بمعجم البلدان لياقوت الحموي والكامل لابن الأثير وهي من المراجع العربية المهمة ويقاموس الأعلام وهو أغنى معاجم اللّغة التركية في التاريخ والجغرافيا وكلها لا تنكر عروبة لواء الإسكندرونة، وعين تاب وديار بكر.

ويذكر مستشهدا بوزير المعارف العثماني العلامة الشهير "منيّف باشا" المولود في "عين تاب" والذي يعرف بأن الحب كان يتنازعه بين بلدته العربية التي غذته بنسيمها ومائها وبين العاصمة التركية التي ارتقى إلى أوج المعالي تحت سمائها. وكما يقال فقد شهد شاهد من أهلها حتى أنه يقول في عين تاب بأنها: (عروس البلاد العربية) والتي حولها الكماليون إلى أسوأ مدينة ونجده متسانلا ومتهكما: (فانظر كيف صارت في صميم الجمهورية الكمالية).

ولا يغيب عن ذهنه بان يدلي بالنصح للقائمين بالأمر على دمشق فيطالبهم الإبقاء على عروبة اللواء وإجراء تبادل في السكان وذلك بأن يخرج أتراك اللّواء (عشاق تركيا من أترك الإسكندرونة وأنطاكية كما سماهم) إلى مدن مرسين وعين تاب ومرعش، وفي المقابل يهجر عرب هذه المدن إلى لواء الإسكندرونة<sup>(14)</sup>. لتبقى الإسكندرونة ميناء سوريا لاسيما وان البلاد كانت متوجهة إلى عهد الانتداب وحبولها على فرحة الاستقلال التي لن تكون تامة بعد عزلها عن امنع ثغور الدنيا وأجملها وأغناها.

ويستمر الخطيب في الدفاع عن عروبة لواء الإسكندرونة ويذكر الأتراك بان في داخل حدود تركيا أضعاف أقليتهم التركية في أنطاكية من أبناء العرب الموزعين والمنتشرين في أعماق "كليكيّا" والذين هم مضطهدون وممنوعون من تلاوة القرآن بلغته العربية<sup>(15)</sup> وحتى التخاطب بهذه اللغة، مع أن الوثائق الخمس التي أمضاها الفرنسيون والترک في جنيف<sup>(16)</sup> تتضمن حماية هؤلاء.

وكان يحز في نفسه منع دخول صحيفة "الفتح" إلى سوريا الأمر الذي يحول بينه وبين توجيه الخطاب مباشرة إلى شبابها وجمهور الأمة فيها وللحيلولة دون انتشار دعوة الإلحاد التي أخذ ينفثها الأتراك من مؤيدي الكمالية.

ويسارع إلى إسداء النصح لحكام سوريا ويضعهم أمام واجبين:

أ- العناية بالثقافة الإسلامية في جميع المدارس لتخريج شباب مؤمن ومقاوم لفكرة الإلحاد.

ب- العناية بالتربية العسكرية في الثكنة والمدرسة والمنزل.

ويثني على (سلطان باشا الأطرش) ويعتبره بعيد النظر في دعوته إلى الوحدة العربية وأنها أصبحت ضرورة قومية وان لا حياة للناطقين بالضاد إلا بتحقيقها<sup>(17)</sup>.

كما يشيد بانضمام اليمن إلى الحلف الذي عقد بين العراق والمملكة العربية السعودية عام 1938م ويدعو سائر أوطان العرب للانضمام إلى ذلك<sup>(18)</sup>.

وقد فسح المجال أيضا لإخوانه السوريين المقيمين في مصر لمناشدة العرب المهاجرين في أمريكا للقيام بدورهم في مناصرة سوريا في قضية اللّواء السليبي وفلسطين في قضية تهويدها، فكتب مقالة اللّجنة التحضيرية للدفاع عن حق سوريا في اللّواء، والتي طالبوا فيها فرنسا بأن تقف موقفا شريفا في هذه المسألة وتصحيح أخطائها مع السوريين الذين فرض عليهم الانتداب وقاسوا في عهده كل مهانة وإذلال<sup>(19)</sup>.

وإزاء ما حل بعرب اللّواء من مصيبة نكراء وتأمّر في الخفاء بين الترك والانجليز والفرنسيين هبّ يزود عن إخوانه ويثير حماسهم مذكرا إياهم بالقدوة الصالحة من الأجداد وأنهم مروا أيضا بأيام كانت مريرة قاتمة بسبب طغيان التعصب البغيض كما مروا بأيام كانت لامعة بوميض الظفر الباسل ولذلك فإن جهادهم وتضحياتهم قد استمرت ولم تنقطع وأنهم لم يفقدوا الأمل ما داموا متمسكين بعروة الإسلام الوثقى ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أن يحذوا حذوهم وسينصرهم الله على دعاة الكفر والعلمانية الحاقدة على الإسلام.

ويذكر لقرائه كيف أن السياسة أنكرت عليهم عربيتهم مع أنهم أولاد تنوخ وتغلب وإياد وربيعة ومن بطون بكر بن وائل وأنهم في ظل الحكم الاستبدادي الظالم أصبحوا يتهمسون بالضاد اختلاسا ويخفتون أصواتهم عند تلاوة القرآن العربي خشية أن تصل نبرات التلاوة إلى أذان الشرطة الذين سيتهمونهم بالخيانة<sup>(20)(21)</sup>.

ويشير إلى أن الأكثرية من العائلات التركية المقيمة في لواء الإسكندرونة قد اختارت الجنسية السورية على الجنسية التركية وأن قسما منهم لجأ إلى ولاية حلب وأقام فيها وتمتع بالجنسية السورية<sup>(22)</sup>.

وأكد لي ما ذهب إليه الخطيب الأستاذ/ فهي الزغل من أن في سوريا اليوم كثيرا من العائلات التركية الأصل والجنس في مدينة إدلب وحلب وسلقين المجاورة لنهر "العاص" الفاصل بين الجزء التركي من اللّواء والأراضي السورية وهم اليوم سوريون ولجأوا إلى سوريا بعد قيام الأتاتورية هربا من استبداد الكماليين ونجاة بدينهم الإسلامي من الردة الكمالية<sup>(23)</sup>.

وقد عرف اللّواء إثر هذه السياسة التأميرية بين فرنسا وتركيا ظهور مناضل قومي يعد من أبرز فلاسفة الشرق العربي وهو الأستاذ: زكي الأرسوزي الذي خَلَف في اللّواء حركة امتازت بصلابتها ونزاهتها وتصرفها الوطني فجمعت جماهير الشعب وطرحت شعارات مثلت الجماهير وتطلعاتها فقاموا من أجلها ببطولات نادرة وجابهوا محاولات الفرنسيين والأتراك وحاربوا من تعاون معهم وأصدرت الحركة جريدة "العروبة" عام 1937م التي عالجت مشكلات الوطن العربي واحتضنت "عصبة العمل القومي" حركة القومية العربية في اللّواء.

واستمر الأرسوزي في نضاله مع الشاعر المعروف -سليمان العيسي- أحد أبناء اللّواء الأبرار والمكافحين من أجل عروبة اللّواء حتى اضطرتهما السلطة التركية على الهرب إلى حلب حيث مارسا التدريس في ثانوية -المأمون- متابعين نضالهما القومي وهما اللّدان كان لهما الدور الكبير في إنشاء حزب البعث العربي بزعامة الأستاذ: مشيل عفلق.

أما السلطة التركية فاستمرت في ممارسة الضغوط على عرب اللّواء كما ساعدت الأتراك على النزوح إلى اللّواء وشراء الأراضي من العرب المقيمين ومع ذلك فما زال لسوريين أراض في اللّواء يستغلونها إلى اليوم.

ومن الجدير بالذكر ما صرح لي به أستاذي الفاضل الدكتور ناصر الدين سعيدوني بعد زيارته لتركيا وتجواله في اللّواء عام 1998م من أنه قد تُرِكَ تماما غير أن قضيته ستبقى في ضمير العرب حية ومائلة لا تزول ولن تنسى، ولعله في المستقبل سيكون لواء إسكندرونة منطلقا للقاء بين الأمتين العربية والتركية وجسر أخوة بين الشعبين اللّذين جمعهما التاريخ خلال أربعة قرون وربط بينهما الإسلام الحنيف لأن من مصلحتهما أن يحدث التقارب والتفاهم واللّقاء بعد الفرقة والجفاء.

## 2- التحولات السياسية في سوريا ومتابعته لها:

إن بعد الخطيب عن وطنه الأم سوريا جعله أكثر ارتباطا وتعلقا بالوطن مهتما بكل ما يجري وما يطرأ من جديد في سوريا المستعمرة من طرف فرنسا، مباركا كل خطوة يخطوها أبناء وطنه نحو إثبات وجودهم ووقوفهم في وجه الاستعمار مذكرا إياهم بمجد الأمويين وداعيا إلى الجهاد بكل أنواعه وبشكل خاص الجهاد المتعلق بتكوين العائلة وتربية المرأة وفتح الصراط المستقيم إلى التطور والتجديد فيقول: (نريد رجالا ينكرون الجديد بل ينكرون ما يكون فيه من سموم مدسوسة، ونريد رجالا لا يتعصبون للقديم

بل لما فيه من مقومات الحياة القومية والخلقية. فإذا رأيت جديدا نافعا فكن أول المؤذنين بالدعوة إليه، وإذا رأيت جديدا مشوبا خيره بشره فكن شجاعا واعترف بما فيه من خير...<sup>(24)</sup>.

وهو إذ يخاطب أبناء وطنه الأم فإنه يحدوه الأمل بأن تصل كلماته وعباراته إلى أذان السوريين عن طريق من يتنقلون بين مصر وسوريا أو بواسطة الصحيفة "الفتح" التي كانت تدخل بطريقة ما. وهذا لأن السلطة الفرنسية قد منعت دخول صحيفة "الفتح" إلى سوريا ولبنان بشكل نهائي وتعاقب من يتداولها<sup>(25)</sup>.

ويتصدى لما فعله المندوب السامي الفرنسي في سوريا كما ورد في جريدة "petit journal" الباريسية من أن فتاة مسلمة من اللائي تربين تربية فرنسية أرادت أن تخرج في شوارع دمشق بملابس أوروبية فأنكر عليها بعض قومها ذلك فالتجأت إلى المندوب السامي لينقذها فتلقت منه كل الدعم لأنه كما صرح يقول: "إننا بذلك نتوصل إلى اكتساب قلوب الرجال عن طريق النساء بتأييدهن وتشجيعهن على التحول عن تقاليد بلادهن إلى التقاليد الفرنسية والأوروبية".

ويخاطب الدمشقيين ويقول لهم: (... إن دمشق جاهدت صنوفا كثيرة من الجهاد أن لهم يجاهدوا جهادا آخر مجيدا وعليهم أن يكونوا صفوفهم وأن يعملوا أعمالا كثيرة في سبيل تحويل التيار عن مواطن الخطر. وإن مفتاح النجاح هو الاعتدال والإنصاف وعلينا أن ننشئ في المدارس الإسلامية أمة وفيه للإسلام متمسكة بهدائته متحلية بالمعارف التي هي ملاك القوة وطريق العزة)<sup>(26)</sup>.

ويشجع أبناء جلدته في سوريا على الاتحاد والعمل من أجل الاستقلال وأن يعتصموا في قضيتهم بالإيمان القومي الذي اعترف لهم به الملك فيصل في العراق وأن يقيسوا الأحداث ويحكموا عليها من منطلق هذا الإيمان ويشيد بأبناء دمشق في موقفهم من مقاطعة نور الكهرياء ومركبات الترام سبعة أشهر كاملة حتى نزلت الشركة على شروطهم كاملة.

كما يشيد بمواقف الساسة السوريين الذين مثلوا بلادهم في جنيف والمحافل الدولية ويقول: (إن على الأمة التي تنشُد دواءها أن تبحث عن دوائها في نفسها قبل أن تبحث عنه في يد الغير وعليها أن تستأصل أسبابه في نفسها وإذا كان الاستعماريون قد مزقوا البلاد العربية فدواء وعلاج الضعف والتمزق هو الوحدة)<sup>(27)</sup>.

وكان الخطيب يستحسن من الكتلة الوطنية في دمشق إتباعها أصول اللياقة في زيارتها لممثل فرنسا بمناسبة عودته إلى دمشق لأنها برهنت له عن حسن النية في الصلابة التي استمدتها من إيمانها القومي<sup>(28)</sup>.

والملاحظ عليه أنه يحب من قومه سلوك طريق الاعتدال وحسن التعامل بلباقة ودهاء مع المستعمرين وبكل حذر.

ويوصي شباب دمشق أن يبقوا عرباً وأن يبقوا مسلمين وأن يأخذوا بجميع أسباب القوة التي رفعت الأمم الأخرى لأوج السيادة وأن يحتفظوا بالقومية والملية ويجددوا قوامها وأن ينشروا العلوم الجديدة التي ترفع الأمة وتزيد قوتها وان يدعوا إلى النظام وحسن الإدارة للذين قويت بهما الأمم وان يساعدوا المشروعات العلمية التي تنتج عن العلوم والأنظمة والأساليب الإدارية ويرى في ذلك تجديداً يجب أن نقتبسه من الغرب. ويدعوهم إلى التحلي بمكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام<sup>(29)</sup>.

وبعدما نجح بونسو "Ponsot" في إنقاذ الدستور الجمهوري عام 1930م عقب المفاوضات الطويلة التي أدت إلى تفكك الجبهة الوطنية الموحدة حزاً في نفسه ما وقع من شقاق وفراق بين الفريقين المتنازعين على السلطة في الشام فدفعهم إلى توحيد الصفوف وتأليف الجبهة الوطنية المشتركة وساق لهم ما يصح أن يكون قدوة لهم في دفع الخطر الاستعماري فذكرهم بما قامت به حكومتنا مكة وبغداد بزعامة الحكيمين في نظره عبد العزيز آل سعود وفيصل بن الحسين اللذين غلبا لذة العزة القومية على شهوة العزة الشخصية سعياً إلى التعاون على إنقاذ القومية العربية من الركاكة والضعف وتغليباً للحكمة على الوسواس الشيطانية.

ودعا إخوانه السوريين إلى الاشتراك معاً في الاستعانة بحكومي الحجاز والعراق لتحسين الموقف في سوريا بعد أن اتسع الحريق وأعمل الفرنسيون رصاص وهمجية جيوشهم. وحذّر إخوانه السوريين من المصائب التي لن تقف عند حد إذا دام هذا الشقاق<sup>(30)</sup>.

يتجلى لنا من خلال مباركته لتفاهم بين العراق والحجاز حرصه على المصالحة العربية ونسيان أحقاد الماضي وصولاً إلى عزة الأمة وقوتها ونهضتها وإنقاذاً لقوميتها المهتدة بالمستعمرين ومن ينحو نحوهم.

سلسل الخطيب أحداث وصول فرنسا إلى الانتداب وأوضح بان السوريين رفضوا الانتداب الفرنسي وغيره وأصروا على الاستقلال واختاروا انتداب أمريكا عن كان

الاستقلال مستحيلا ورضوا من بعده بالانتداب الانجليزي غير أن الانجليز انسحبوا غير مترددين ولا نادمين ودخل الفرنسيون الشام من ساحلها فاستقبلهم أبناء لبنان الموارنة الذين تربوا في مدارس اليسوعيين وتربوا على لبنان الحب لفرنسا. أما دمشق التي ارتفعت رايات حكامها الأمويين من حدود الصين إلى الأندلس فإن نضالها ضد الاستعمار مستمر والثورات متواصلة، فتورة الدروز بزعامة "سلطان باشا الأطرش" وثورة العلويين بقيادة "صالح العلي" وثورة الشمال بزعامة "إبراهيم هنانو" وغيرهم لم تنقطع ولم تتوقف ودفعت فرنسا ثمنا غاليا لبقائها في سوريا. ويرى أن "جنيف" التي تراقب نظام الانتداب فالسوريون يتهمون كما تهكم أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأصنام الهياكل الكلدانية ويخلص من ذلك أنه لا أمل لفرنسا في تحقيق آمالها وبسط نفوذها على الشام<sup>(31)</sup>.

ويذكر إخوانه السوريين بما حدث للانجليز في العراق حيث دفعوا ثمنا باهظا في الوصول إلى بسط نفوذهم عليه غير أنهم وأمام بسالة العراقيين وتضحياتهم وجدوا أن لا مفر من الاعتراف للعراقيين بإطلاق يدهم في تكوين دولتهم وتجسيد مصيرهم بإرادتهم. ويقارن بين ما دفعته انجلترا من أرواح أبنائها، وما دفعه الفرنسيون فيجده قليلا ومع هذا فإن فرنسا التي دخلت سوريا تحت اسم الوصاية التي تفرض عليها تدريب أبناء البلاد على حكم أنفسهم قد أدارت ظهرها وعمدت إلى تقسيم البلاد إلى دويلات<sup>(32)</sup> واستعانت على تنفيذ سياستها التمييزية بكل عات وشرير.

وفي معرض ذلك يقول عن المفوض السامي الفرنسي: (أما سيدنا "بونسو" فيريد أن يشتري ولا يبيع وأن يأخذ ولا يعطي، يمد يد الصداقة للبعض بينما يده الثانية ممسكة بمن جعلهم خصوما له، وأن على الغرب أن يفكر بعد اليوم في إقامة علاقات جديدة بينه وبين الشرق مبنية على دعائم الصراحة والإخلاص والمصالح...)<sup>(33)</sup>.

فيما يتعلق بمعاهدة التحالف والصداقة<sup>(34)</sup> بين سوريا وفرنسا عام 1936م فكان للخطيب موقف معارض لما جاء في بنودها من حد للسلطة السورية وتوسع لبسط النفوذ والسيطرة الفرنسية ومع أنه يجلل الرجال الوطنيين الذين وقعوا هذه المعاهدة وبالرغم من صداقته لبعضهم فإنه تصدى لهذه المعاهدة حيث كان في موقع بعيد عن البلاد يسمح له بدراستها دراسة عقلانية بعيدا عن القيود والظروف الاستعمارية وتناول عيوب المعاهدة بندا بندا مبديا كل الاحترام والتقدير لمن قاموا بها وهم: هاشم بك

الأتاسي وهو رأس الكتلة الوطنية السورية، وفارس بك الخوري، وجميل بك مردم، ومصطفى الشهابي، وسعد الله الجابري، وإدمون حمصي.

فهو يرى ويلفت الأنظار إلى أن سوريا بلاد اعترفت جمعية الأمم رسمياً باستقلالها وأن فرنسا فرضت انتدابها على سوريا بقوة السلاح ولم تكف يدها عن شؤون الإدارة والحكم والقضاء والتشريع برغم ذلك.

وكان الجدير بها أن تسحب قواتها المسلحة من البلاد إلى نقطة محدّدة وتطلق أيدي السوريين في شؤونهم التشريعية والإدارية والقضائية، لكنها ومن واقع المعاهدة، احتفظت لنفسها بحق الاحتلال المسلح لأي بقعة شاءت في أية ساعة أرادت مدة ربع قرن بلا قيد ولا شرط وجعلت الأجواء السورية مفتوحة أمام طيراتها بالإضافة إلى سيطرتها على الأمن العام كما جعلت الفرنسيين المستخدمين ونساءهم فوق القانون السوري وقيّدت المصالح المشتركة بين سوريا ولبنان بقيود اقتصادية هي في مصلحة لبنان وحمّت دور التبشير وشركات الاحتكار<sup>(35)</sup>.

وانبرى الخطيب بالرد على الراديكاليين وحكام فرنسا وقتئذ الذين امتنعوا عن التصديق على المعاهدة السورية وفي نفس الوقت صدقوا المعاهدة مع لبنان لأنها جعلته جزءاً وسوقاً وتبعاً لفرنسا بالتواطؤ مع المسيحيين الموارنة ويقول: (حتى أن المارونيين أنفسهم لا يستحون أن يصرحوا أن فرنسا هي الوطن الأم).

ويخاطب الفرنسيين بطريقة غير مباشرة متسائلاً: (...ألا يكفهم انتقال الذهب السوري إلى فرنسا وتعويضه بالعملة الورقية وألا يكفهم كل ما نالته الشركات الفرنسية والمتمولون الفرنسيون من مصالح فرنسية).

وينبههم بأن السوريين قد وطنوا أنفسهم على التضحية في سبيل الوصول إلى حق بلادهم معتمدين على الله وحده<sup>(36)</sup>.

ولم يكتف الخطيب بهذا إذا راح يفضح ما ينطوي عليه خبث الانتداب الفرنسي والقائمين عليه في محاولته فرض نظام للطوائف ينطوي على العبث بدين الإسلام وتغيير أحكامه وإذلاله.

ويعري أساليب الفرنسيين في الكيد للإسلام وأهله في الشام وتحريضهم الأقليات الجاهلة على الأكثرية المسلمة واستغلال التعصب من طرف طلاب الكراسي والجاه من الأقليات وكيف فشلت السلطة الفرنسية في الوصول إلى إيجاد وزارة وطنية تختبئ

وراءها لتمضي في كيدها مشيدا بموقف الأمة وأبنائها المخلصين الذين أداروا ظهورهم<sup>(37)</sup> للاستعمار وأقفلوا في وجهه الأسواق والبيوت فاستقال (جميل مردم) ومن بعده (لطفي الحفار) وحتى مدير الأمن العام ومدير الشرطة لمحافظة دمشق مما دفع الفرنسيين إلى إنزال جيوشهم المدججة بالسلاح إلى قلب العاصمة ليسحقوا أهلها<sup>(38)</sup>.

ولم تفلح محاولات الجنرال كير والمندوب المفوض لفرنسا بإقناع رئيس الجمهورية في تهدئة الأوضاع والذي أشار عليه بإزالة أسباب ما حدث وما يقع وأكد الخطيب بان الأمة السورية ستبقى صفا واحدا هدفها الأول والأخير إزالة الاستعمار من البلاد<sup>(39)</sup>.

وعندما اعتلى السيد لطفي الحفار سدة رئاسة الوزراء في سوريا عام 1940م وهو زميل الخطيب في الطفولة ورفيق حياته الدراسية وهو الصديق الذي تعود تبادل الرسائل معه، خاطبه الخطيب عن بعد عبر صحيفة "الفتح" راسما له خطوط النجاح في عمله مبديا له السبيل القويم في قيادة الأمة وتوحيد صفوفها لاسيما وان البلاد مقبلة على المفاوضة مع السلطة الفرنسية لإعادة العلاقات الطبيعية بين الطرفين ملتصقا له في ذلك أسباب النجاح في مهمته خاصة وان البلاد عرفت في ذلك الوقت تيار الحزبيات فدعاه أول ما دعاه إلى اختيار من يستشف فيهم الكفاءة والإخلاص للوطن والذين لا تجرفهم تيارات الحزبية العمياء ولا تأخذهم شهوة الاستعلاء والحكم بعيدا عن آمال الشعب وان يبحث عن أهل الخير ويوقظ إخلاص ضمائرهم بصدقه وتجرده عن الأنانية والشهوة والتسلط<sup>(40)</sup>.

والمأمل في مبادرات الخطيب ودعوته يجد أنه لم يكن رجلا عاديا بل رجل فكر ودولة وسياسة، يقف موقف المعلم المرشد ويرسم لرجال السلطة طريق النجاح في المهمة، يدفعه إلى ذلك حب الوطن والمواطنين، ورغبته في أن يرى بلاده العربية وقد عادت لبناء أمجادها وتحقيق مستقبلها الأفضل بكل وعي وإدراك لمسؤوليات الحاضر والمستقبل، فما أن استقالت حكومة المفاوضة على الاستقلال حتى بادر إلى الثناء عليها وهي خطوة في قمة الديمقراطية والفهم السياسي الواعي، وما أن يعتلي سدة الحكم رجل مصلح يتسم بالإخلاص حتى يبارك له وهذا وأيم الحق من صفات المؤمنين حقا والمخلصين أشد الإخلاص لله والوطن.

وها هو يبدي تأسفه العميق على الفرقة التي نشبت أظفارها في جسم الأمة السورية فمزقته إلى أحزاب تتصارع فيما بينها ناسية المهمة التاريخية والرسالة الكبرى التي أدهتها

دمشق عبر العصور إذ كانت دليل العروبة إلى المجد، منها انتشر الدعاة في أقطار الدنيا لتنويرها بنور الهدى والرحمة والعرفان فيتساءل قائلًا: (ما بالها اليوم أسفت هذا الإسفاف حتى صار لها من كل رجلين حزب؟).

ويرى بأن القومية العربية أجدر بان تنشُد في الفرص السانحة لتبعث الحياة وتوقظ عناصر العمل وتوحد الصفوف، وقد غاظه أن يستفحل أمر الخلاف بين الأحزاب السورية والجمعيات التي انبثقت عن "النهضة العربية، والمنتدى الأدبي والعربية الفتاة" فأخذ يدعوها إلى مدّ الأيدي إلى بغداد وسائر عواصم بلاد الضاد لإنقاذ ما وصلت إليه الأحوال من فرقة وتشتت<sup>(41)</sup>.

وفي مناسبة تواجد الحاج أمين الحسيني أحد رموز النضال الفلسطيني في دمشق نائبا بنفسه عن ملاحقة السلطات الإنجليزية له رجاء الخطيب بأن لا يخرج من سوريا إلا بعد أن يعمل بكل ما آتاه الله من مواهب ليستل من قلوب العاملين في سوريا جميع أسباب الفرقة وان يتغلب من الأختيار على الأشرار لاسيما وأن في رجال الكتلة الوطنية رجالا أختيارا كثيرين وفي خارج الكتلة الوطنية رجالا أختيارا أيضا. فإذا تمكن من جمع كلمتهم يكون قد حلّ العقدة الثانية استعدادا للحرب العالمية المنتظرة التي راحت علاماتها تبدولكل مفكر.

ويقارن بين ما كان للعروبة من رجال قبل الحرب العالمية الأولى والذين كانوا يترفعون على حظوظ النفس وشهواتها ورغبات الرفعة والجاه وحب الظهور وبين عالم ما قبل الحرب العالمية الثانية من رجال مشغولين بالاختلاف على الكراسي. ويدعوهم إلى الاستيقاظ والاستعداد لتحقيق الهدف الأمثل للعروبة حتى يتهيّبم الأعداء والمستعمرون والطامعون ويرى بأن لا غنى عن هذا إلا بتوحيد الصفوف في دمشق بعد الانتهاء من قضية فلسطين التي أثارت الشعوب العربية المحيطة بها والبعيدة عنها من خلال المظاهرات المؤيدة وجمع التبرعات لها.

وفي رأيه أن الناطقين بالضاد إذا لم يحققوا وحدتهم وما يطالبهم به تاريخهم فسينالون لعنة الأزل وعبودية الأبد<sup>(42)</sup>.

### 3- الجلاء<sup>(43)</sup> وفرحته:

بلغ من شدة فرح الخطيب عند سماعه نبأ جلاء المستعمر الفرنسي عن سوريا وإنزال العلم الفرنسي عن مطار "المزة" من محافظة دمشق أنه دعا كل عربي أن يسجد لله عز

وجل شكرا له على ما حققه في سوريا. مؤكداً أن هذه الحادثة هي الأولى من زمن آدم إلى اليوم ومحفزاً السوريين من الغرور والانخداع وداعياً إلى إنشاء جيل متسلح بأسلحة القوة والأخلاق والمبادئ المتوارثة والمعارف والعلوم الجوهريّة التي هي عماد الصناعات والتي تحقّق الازدهار والتقدم والرفعة ويشهد الله الأعلى بأن السوريين قد ضحوا بأكثر مما ينتظر من أية أمة أن تضحي في سبيل الاستقلال ويحذر من الاغترار.

ويقول بصريح العبارة: (... أيها السوريون لقد خرجتكم من جهادكم الأصغر إلى جهادكم الأكبر).

ويشير على زعماء البلاد تأسيس الحكم الجديد على أسس ثابتة واختيار من يتصفون بعفة النفس والإخلاص ومن أهل الكفاية والخلق المتين ويثني كبير الثناء على الحكومة الوطنية التي أوصلت البلاد إلى الاستقلال لأنها ضربت المثل الأعلى في تخلّيها عن السلطة لأن البلاد أصبحت في عهد جديد يتطلب العمل والنضال لتدعيم عهد الاستقلال وبناء المستقبل الأفضل<sup>(44)</sup>.

والمتابع لنضال الخطيب يرى فيه الإنسان الوطني القومي المسلم فهو يهّل ويكبر ويحمد الله على كل ما يرفع شأن الأمتين الإسلاميّة والعربيّة وهذا ليس بغريب عنه فقد أثارتها قضية فلسطين وألمه ما آلت إليه الجزائر وغيرها من ديار العروبة والإسلام. ويستشعر الناظر في نضاله الحكمة في تناوله للأوضاع ودعوته للتوحد عربياً وإسلامياً ولا يرى بارقة أمل في أي نقطة من بلاد العروبة والإسلام إلا ويجعلها منارة تنير عقول المفكرين والمخلصين وتثير غيرتهم القوميّة والدينيّة.

وما دعوته العرب للسجود إلى الله على نعمة الجلاء إلا لتحفيزهم على النحو كما فعله السوريون وأمله بأن يكون هذا النصر هو بعث عربي جديد لأمة العرب. وصدقت رؤيته فقد تتابع استقلال البلاد العربيّة بلداً إثر بلد، وكانت الجزائر آخر من توج بتاج الحرية والاستقلال عام 1962م فأعقبها اليمن الجنوبي عام 1967م.

#### 4- الخطيب وموقفه من مشروع سوريا الكبرى:

تصدى الخطيب للداعين إلى مشروع سوريا الكبرى ورأى فيه خلطاً للأوراق وأنه إنما يهدف إلى إجهاد الجمهوريّة السوريّة المستقلة ويحقق لليهود اعترافاً بوجودهم في فلسطين ويكبل الجمهوريّة السوريّة بقيود استعمار جديد مازال يجثم في ربوع شرق الأردن الأمر الذي يعني كارثة لم يسبق لها وجود.

ويذكر بأنه كان من دعاة مثل هذا المشروع لكن قبل استقلال سوريا لأن توحيد الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين سيؤدي حتما إلى توسيع رقعة المد اليهودي واحتواء المهاجرين من يهود العالم ما دام ذلك سيكون مع وجود البريطانيين في الأردن وفلسطين. ويعترف بأنه أول إنسان على وجه الأرض دعا أبناء جيله من شباب العرب المخلصين لا إلى وحدة سوريا واستقلالها فحسب بل إلى بعث الأمة العربية وإرجاعها إلى دولا العمل في الحياة الإنسانية.

ولم يتورع عن تحذير أبناء جلدته في سوريا من دعوة سوريا الكبرى قائلا: (الحذر كل الحذر من هذه الضلالة)<sup>(45)</sup>.

لعله إذ بادر إلى الإعراب عن معارضته لمشروع سوريا الكبرى ذلك أنه مازال يعلق في ذهنه موقف الموارنة المسيحيين في لبنان الذين استقبلوا الفرنسيين وفتحوا لهم بيوتهم وجعلوا من فرنسا الأم الحنون ولعلمه بان صاحب هذه الفكرة هو "أنطوان سعادة" زعيم الحزب القومي السوري، مع العلم أن هذا الحزب لا يتنكر للعروبة بل يعتبر بأن السوريين هم صدر الأمة العربية وسيقها وترسها وهو المبدأ الأول المعلن للحزب<sup>(46)</sup>.

كما أن أسرة أنطوان سعادة منها الدكتور خليل سعادة الذي ترجم إنجيل برنابة الألماني الذي تسلل إلى مكتبة الفاتيكان بحكم أنه من القساوسة وأطلع على نسخة العهد القديم "التوراة" التي فيها نص يشير إلى نبي يأتي بعد عيسى عليه السلام اسمه أحمد والذي احدث هزة كبرى في الغرب<sup>(47)</sup>.

صحيح أن الخطيب كان في مصر بعيدا عن وطنه الأصلي "دمشق الفيحاء" ولكن لم تغفل عينه قط ولا فكره عن متابعة الأحداث ومجرياتها فلقد كان يطالع ما يصل إليه من الصحف الدمشقية ولفت نظره مقال كتبه الأستاذ معروف الأرنؤوط في صحيفة "فتى العرب" حول الاستعمار الفكري الغربي وخطره على الشرق واعتباره أشد خطرا من الاستعمار الأرضي وكيف أن الغرب يبني ذلك عن طريق الكتب الأدبية والروايات القصصية والمسرحية وعن طريق لوحة الصور المتحركة، وأهاب في مقالته ببني قومه وبني ملته الإسلامية أن يفتحوا عيونهم ويكافحوا هذا الخطر الجسيم.

فأشاد بصاحب المقال وأشار بأن موقف العرب الفكري والثقافي دقيق جدا وأن أكبر المصائب على الشرق العربي أن تكون فيه القيادة ضعيفة إلى حد أن لا يكون لها صوت مسموع ولا رأي متبع وأن لا يكون لتلك القيادات خطة منظمة لوضع الغذاء الفكري

بين أيدي الجماهير حتى يستعينوا به عما يأتي به الغرب من دسم مشوب بالسم وحلوى ممزوجة بالمواد المخدرة.

ويرى أن الخطر داهم ولاشك لاسيما وأن الشباب يتعلمون لغات الغرب المختلفة في المدارس الحديثة.... والشباب في نظره الحصون والقلاع للأوطان لهذا يجب المبادرة إلى تحصينهم وتوعيتهم ضد هذه الهجمة الاستعمارية الجديدة وأن على المسؤولين أن يستيقظوا يقظة حقيقية مبنية على العمل وبأساليب الجد وأن لا فائدة في الحماس وحده. ولا بد من دعاة القومية والوطنية من أن تدعمهم مساعي ودراسات الأخصائيين والعلماء المتبعين.

وأشار إلى أن الصحافة يمكنها أن تقدم خدمة في التوعية وكذلك رجال الأحزاب لكنه يرى بأن الأمة كلها مسؤولة عن ذلك<sup>(48)</sup>.

ولم تكن قضية الاستعمار الفكري جديدة عليه فلقد عالجها وبين أخطارها على العروبة والإسلام وحذر من وسائلها المختلفة في أكثر من مرة كاعتماد الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية وكذلك البرنيطة التي لها أكثر من معنى عنده وكذلك موقفه عند افتتاح ستوديو مصر للإنتاج السينمائي والتفكير بإنشاء مسارح على النمط الغربي ودعوته إلى مقاطعة البضائع الأجنبية...

وكل هذا ينطوي على هجمة ثقافية مختلفة المواقع والاتجاهات ولكنها تصب في موضع واحد وتدعو إلى فكرة واحدة وهي التغريب والمقصود بتلك الهجمة هو "الإسلام" في تقاليد وأحكامه وحضارته التي أنارت للعالم طريق التقدم ولها الفضل فيما حققه من قفزات في ميادين العلوم المختلفة، ناهيك عما أوجده من أحكام ساوت بين الحكام والمحكومين والمسلمين جميعا وبما أعطاه من حقوق للمرأة وما نشره من عدل وأخوة وسلام.

فتراه يبارك لشباب دمشق محاولتهم مقاطعة الدخان والانقطاع عن استعمال السجائر عام 1935م لأنها أعظم محاولة تجرب أمة عزتها وترغم بها خصومها مذكرا إياهم بأنه إذا كانت دولة الحلفاء قد لحست وعدّها باستقلالهم وحكمت القنابل الباريسية بجدران عاصمتهم وأطلقت يد الجشع الاستعماري في جنتهم فإنهم لا يزالون مستقلين في حكم مملكة أنفسهم ويذكرهم أنهم استطاعوا قبل بضع سنين أن يقطعوا عربات الترام أشهراً مع حاجتهم إليها حتى نزلت "شركة الترام" على إرادتهم واعترفت بحقوقهم

وأن عليهم أن يكونوا أشدّ صلابة وقوة للوقوف في وجه هذه الشركة الاحتكارية وأنهم إنما يحرقون نقودهم بها وأن الخلاص من قيد الدخان هو سبيل من سبل خلاصهم من قيد الاستعمار<sup>(49)</sup>.

ولإيصال هذه المباركة لإخوانه السوريين في سوريا أعلن في تنويه صحفي مستتر تحت عنوان: "إلى صحف فلسطين" يتكون من ثلاثة أسطر لا تلفت النظر يوصي فيها إخوانه أصحاب الصحف الفلسطينية التي تدخل سوريا بأن يتكروا بنقل هذه المقالة إلى شباب العاصمة الأموية ليطلعوا عليها ليكون لهم موقف من السلطة الفرنسية إزاء منع دخول صحيفة "الفتح" إلى بلاد الانتداب الفرنسي<sup>(50)</sup>.

#### 5- خواطر عالقة في ذهن الخطيب:

في معرض احتفال عواصم الشام بعيد الشهداء الذين أزهق جمال باشا أرواحهم يوم 6 مايو 1916م في دمشق يؤكد الخطيب لقراء صحيفته بأن أكثر هؤلاء الشهداء<sup>(51)</sup> هم أصدقاء له وينتمون إلى حزب اللامركزية العثماني وأنهم من صفوة الأخيار والأطهار وأنهم يمثلون طليعة الأمة في ثقافتهم ومكانتهم ويؤكد هذه الحقيقة بصفته عضو مجلس إدارة المركز العام لحزب اللامركزية العثماني وكاتم سره الثاني وأن هذا الحزب كان يسعى للنهوض بالعرب تحت ظل الحكم العثماني وحتى أن ابن أخت السلطان العثماني كان من دعائه أيضا وليس في أعمال الحزب ولا في أعمال أحد من رجاله أي شيء يستحق حبس يوم واحد على حد قوله.

وينتهي إلى أن الله عز وجل أعدل من أن يبقى على وجه الأرض حكما يقوم على هذا الجور فعجل بقصف أعمار جمال باشا والذين يساندونه<sup>(52)</sup>.

وفي ذكرى ميلسون ذكر الخطيب لقرائه غدر الحكومة البريطانية<sup>(53)</sup> التي ما أن تم لها النصر بمعاونة الشريف حسين حتى أدارت ظهرها له. وكانت قد وعدته بتتويجه ملكا على البلاد العربية غير أن أطماع الدولتين الاستعماريتين انجلترا وفرنسا قد قلبتا ظهر المجن بعدما عقدتا معاهدة "سايكس" يوم 26 مايو 1916م التي اقتسمتا بموجبها السيطرة على بلاد الشرق الأوسط.

وعن الأمير فيصل قائد الثوار في الشمال ذكر الخطيب بأنه وقبيل سفر الأمير لفرنسا للمفاوضة بعرض القضية العربية على مؤتمر الصلح كان قد أوصى إخوانه ومنهم الشيخ محمد كامل القصاب ومحّب الدين الخطيب بأن يحولوا دمشق إلى ثكنة عسكرية

استعدادا لمواجهة أي طارئ أو طامع أجنبي ولكن ما أن عاد الأمير حتى ثارت ثائرتة وبدا حاقدا وغاضبا على من فعل ذلك حتى وصل به الحال إلى الدعاء على الخطيب الذي كان قد أصيب برصاصة عشوائية في ساقه إذ قال للأمير زيد: (يا ليتها كانت القاضية)<sup>(54)</sup>.

وأضاف بأن تبديلا جذريا وقع في فكر الأمير فيصل بعد حضوره مؤتمر الصلح حتى وصل به الحال إلى إقناع الدروز بقبول ما اتفق عليه في أوروبا وظهر ذلك جليا للخطيب عندما سأل (نسيب بك الأطرش) في حفلة التكريم لفيصل والتي دعي إليها زعماء الدروز عن السبب في تبدل الرأي فأجابه: (الأمر بيد الأمير). ولم يكتف فيصل بذلك بل أوعز بحل الجيش إذعانا لإنذار الجنرال غورو كي يدخل دمشق دون سفك دماء ولهذا السبب لم يبق للشهيد "يوسف العظمة" وزير الدفاع السوري وقتئذ إلا شراذم من الجنود قاوم بها الفرنسيين في معركة ميلسون رافضا ما أوصى به فيصل<sup>(55)</sup>.

وينحو الخطيب باللائمة على فيصل فيما وصل إليه الحال لأنه:

أ- ارتكب خطيئة الاتفاق مع جورج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا على قبول الانتداب خلافا لما كان متفقا عليه من زعماء "جمعية العربية الفتاة" التي تحولت إلى ما يسمى بالكتلة الوطنية ومن ثم إلى الحزب الوطني ويرى بأنه لولا ذلك لبقيت اليد واحدة والقوى الوطنية متعاونة والقافلة تسير في الطريق.

ب- أنه انقلب على من وقفوا معه وراح يؤسس حزبا مناوئا للعربية الفتاة بمعاونة الركابي<sup>(56)</sup>.

ج- قبوله بإنذار غورو ونزوله عن إرادته بحل الجيش السوري الذي لم يبق فيه إلا عدد ضئيل قاوم به البطل الشهيد "يوسف العظمة" جحافل الجنرال غورو في ميلسون وبذلك فتح الطريق أمام الغزاة لدخول دمشق بعد قصفها بالمدافع<sup>(57)</sup>.

- البوامش:

- (1)- محّب الدين الخطيب: سوري النشأة ولد في دمشق عام 1886م وتوفي في القاهرة عام 1969م التحق بكلية الآداب والحقوق في اسطنبول عام 1905م أسس بها رفقة الأمير الشهابي جمعية النهضة العربية عام 1907م لاحقته السلطنة العثمانية لنشاطه القومي فهرب إلى اليمن ثم عاد إلى سورية بعد الانقلاب العثماني عام 1908م بعدها هاجر إلى مصر عام 1909م. شارك في الثورة العربية الكبرى عام 1916م وحرّر جريدة القبلة الناطقة باسمها، ثم تولى رئاسة تحرير جريدة العاصمة في العهد الفيصلي بسورية التي غادرها إلى مصر. أنشأ في مصر مجلة الزهراء ثم صحيفة "الفتح" 1926-1948م. كان من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين عام 1928م بالقاهرة، سخّر قلمه وفكره لخدمة القضايا العربية والإسلامية عقب سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924. "انظر مذكرات محّب الدين الخطيب التي نشرها الدكتور صالح الخرفي لأول مرة في حلقات عديدة في مجلة الثقافة التي كان يشرف عليها ابتداءً من العدد: 06 الصادر في ذي القعدة 1391هـ يناير 1972م وما يليه".
- (2)- من تصريحات الأستاذ فهمي الزغل أحد طلبة الفيلسوف الأسوسي إثر لقاء خاص معه.
- (3)- راجع: "الترك ودعواهم في اللواء"- الفتح- العدد: 608- 2 جمادى الأولى 1357هـ العام: 13- ص: 11.
- (4)- كرم بطل: "تاريخ العرب الحديث والمعاصر"- ج: 2- مطابع مؤسسة الوحدة- دمشق- سورية 1405هـ/1985م- ص: 21.
- (5)- مشكلة الإسكندرونة: سمو الأمير عمر طوسون يرسل أول كلمة عطف من مصر إلى شقيقها سوريا- الفتح- العدد: 556- 22 ربيع الثاني 1356هـ - العام: 11 - ص: 5.
- (6)- ما قضي به في مصر الإسكندرونة حادث يندر أن يكون له مثيل في الاستخفاف بمصير الأمم- الفتح- العدد: 553- غرة ربيع الآخر 1356هـ - ص: 20.
- (7)- زكي الخطيب: العدوان الأخير على الإسكندرونة- الفتح- العدد: 530- 17 شوال 1355هـ - العام: 12- ص: 19.
- (8)- محّب الدين الخطيب: النتائج الأولى لتترك الإسكندرونة- الفتح- العدد: 661- 18 جمادى الأولى 1358هـ- العام: 14- ص: 3-4.
- (9)- محّب الدين الخطيب: حقوق أترك الإسكندرونة وإنطاكية على علماء المسلمين- الفتح- العدد: 554- 8 ربيع الآخر 1356هـ - العام: 12- ص: 3.
- (10)- المصدر السابق.
- (11)- معاهدة لوزان 23 يوليو 1923م بين تركيا والحلفاء محت كل أثر لمعاهدة سيفر- 20 أوت 1920م- تنازلت بموجبها تركيا عن البلاد العربية التي كانت تابعة لها، وعن جزيرة قبرص كما تنازلت لايطاليا عن جزر الدوديكانيز ورودرس والجزر التركية في بحر إيجه وبالمقابل اعترف الحلفاء بملكية تركيا للقسطنطينية، وتراقيا الشرقية وكل أراضي آسيا الصغرى.

- (12)- محّب الدين الخطيب: هل تهزم الشريعة الإسلامية من الإسكندرونة وأنطاكية؟- الفتح- العدد: 605- 10 ربيع الثاني 1357هـ - العام 13- ص: 3-4.
- (13)- محّب الدين الخطيب: هل تهزم الشريعة المحمدية من الإسكندرونة وأنطاكية؟- الفتح- العدد: 605- 10 ربيع الثاني 1357هـ- العام: 13- ص: 3-4.
- (14)- محّب الدين الخطيب: الترك في بلاد العرب والعرب في بلاد الترك- الفتح- العدد: 529- 10 شوال 1355هـ- ص: 3-4.
- (15)- محّب الدين الخطيب: العبرة في مسألة الإسكندرونة- الفتح- العدد: 552- 24 ربيع الأول 1356هـ - العام: 12 - ص: 3.
- (16)- للاطلاع أكثر على الاتفاق التركي الفرنسي بجنيف انظر: مسألة الإسكندرونة- المصدر السابق- ص: 5- وانظر كذلك: ما قضي به في مصير الإسكندرونة- الفتح- العدد: 553- ص: 20.
- (17)- سلطان باشا الأطرش- زعيم الثورة السورية الكبرى 1925- 1927 ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة الدروز، صرح بهذا الكلام إلى مدير مكتب الصحافة العربية في مدينة السويداء عاصمة الولاية- راجع- الفتح- العدد: 552- ص: 9.
- (18)- محّب الدين الخطيب: العبرة في مسألة الإسكندرونة- المصدر السابق- ص: 3-4.
- (19)- محّب الدين الخطيب: السوريون في مصر وقضية الإسكندرونة وأنطاكية بيان إلى الأمة العربية- الفتح- العدد: 534- 15 ذي القعدة 1355هـ- العام: 11- ص: 19.
- (20)- محّب الدين الخطيب: إلى عرب اللّواء- الفتح- العدد: 607- 24 ربيع الثاني 1357هـ- العام 13- ص: 3-4.
- (21)- وأكد لي الأستاذ محمد فهمي الزغل الذي كان في زيارة لمدينة أنطاكية مع مجموعة من الأساتذة عام 1969م بأنه بينما كان يتجول في تلك المدينة أقبل على بائع للفاكهة وسأله عن الأسعار بالعربية فلم يجبه البائع حتى نظر يمنة ويسرة متأكدا من عدم وجود الشرطة السرية التركية وعندها أجابه بالعربية. وذلك يدل صراحة وبكل وضوح على الظلم والجور وفرض التتريك على أبناء اللّواء السليبي وطمس كل وجه عربي وهذا يؤكد صحة ما ذهب إليه الخطيب.
- (22)- محّب الدين الخطيب: جريدة البلاغ ومسألة الإسكندرونة- الفتح- العدد: 534- المصدر السابق- ص: 3-4.
- (23)- من تصريحات الأستاذ المحامي فهمي الزغل.
- (24)- محّب الدين الخطيب: استعمار قلوب الرجال عن طريق النساء- الفتح- العدد: 104- 24 محرم 1347هـ/ 12 يوليو 1928م - السنة الثانية- ص: 1 وما بعدها.
- (25)- يذكر الدكتور محمد عبد الرحمان برج أنه وجد بين أوراق الخطيب صورة التماس قدمه زعماء حمص ووجهائها إلى رئيس الدولة السورية لطفي الحفار يطلبون منه السماح لصحيفة الفتح بالدخول إلى سوريا مذكرين إياه بما للخطيب من أيداء بيضاء في خدمة القضايا العربية في شتى

مراحلها. أعلام العرب: "محّب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية 1906-1920م" - الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- مصر- 1990م- ص: 148.

(26) - محّب الدين الخطيب: المصدر السابق.

(27) - عقب استقالة "طدي جوفنيل" المفوض السامي الفرنسي على لبنان وسوريا خلفه "هنري بونسو، الشيخ "تاج الدين الحسيني" في فبراير 1928م بتأليف حكومة تشرف على انتخابات نزيهة ينبثق عنها جمعية تأسيسية تضع دستورا للبلاد غير أن بونسو عجز عن محو التسلط الفرنسي، وفي مايو 1930 أعلن دستور الجمعية التأسيسية وفيه المادة: 116 التي تمس السيادة الوطنية لأنها نصت على وقف تنفيذ المواد التي لها علاقة بصلاحيات الدولة المنتدبة فثار الشعب السوري وتنادى الزعماء السياسيون لاجتماع "حلب" كونوا على إثره الكتلة الوطنية التي حملت لواء الجهاد والمقاومة ضد الفرنسيين فكانت سنتي 1930-1931م مشحونتين بالاضطرابات والمقاومة والاحتجاج. راجع "كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي- فصل سوريا وفلسطين وشرقي الأردن والعراق- مطبعة دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- الطبعة 10- 1984م- ص: 765.

(28) - محّب الدين الخطيب: سوريا في طريقها نحو المطمح- الفتح- العدد: 278- 16 رجب 1350هـ - السنة السادسة- ص: 1-2.

(29) - محّب الدين الخطيب: إلى إخواني شباب دمشق- الفتح- العدد: 138- 25 رمضان 1347هـ / 7 مارس 1929م- السنة الثالثة- ص: 1-2.

(30) - محّب الدين الخطيب: تعاون العرب لإنقاذ قوميتهم- الفتح- العدد: 662- 25 جمادى الأولى 1358هـ - العام 14- ص: 3-4.

(31) - محّب الدين الخطيب: فرنسا في الشام- الفتح- العدد: 482- 6 ذي القعدة 1354هـ - السنة العاشرة- ص: 3-4. وانظر كذلك: فرنسا في الشام- الفتح- العدد: 373- 12 شعبان 1352هـ - السنة الثامنة- ص: 1-2.

(32) - إضعافا وتمزيقا للوحدة الوطنية قامت السلطة الفرنسية بتقسيم البلاد إلى ثلاث دول هي: دولة سوريا وعاصمتها دمشق ملحق بها لواء الإسكندرونة مع تمتعه باستقلال ذاتي- دولة العلويين عاصمتها اللاذقية ودولة الدرروز عاصمتها السويداء التي ضمت إلى دمشق عام 1922م. أما الساحل السوري فقد جعلوا منه لبنان الكبير وكان هدفهم إثارة الفتنة الطائفية وعملا بمبدأ فرق تسد. وعرف الانتداب الفرنسي ثلاث مراحل أعنفها المرحلة الأولى (1920-1926م) تلتها المرحلة الثانية الحافلة بالمفاوضات (1926-1936م) وانتهت المرحلة الثالثة (1936-1946م) بالاستقلال. راجع الدكتورين: بشرى قبيسي وموسى مخول- المرجع السابق- "فصل سوريا"- الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين "أوربا وآسيا"- بيسان للنشر والتوزيع- الطبعة 1- بيروت- لبنان- 1997م.

(33) - محـب الدين الخطيب: العرب بين الانجليز والفرنسيين- الفتح- العدد: 318- 11 رجب 1351هـ-  
السنة السابعة-ص:1-2.

(34) - معاهدة التحالف والصدقة: هي معاهدة تحالف سوريا فرنسية على غرار المعاهدة العراقية البريطانية المشهورة وكانت يوم 9 سبتمبر 1936م، يسري مفعولها لمدة 25 سنة ويسمح لفرنسا بموجبها بالاحتفاظ بحاميتين عسكريتين لمدة خمس سنوات الأولى في جبل الدروز والثانية في اللاذقية مع السماح لها باستعمال قاعدتين للطيران في المزة وقرب اللاذقية، صادق عليها المجلس النيابي السوري إلا أن البرلمان الفرنسي لم يوافق عليها. راجع: نصوص معاهدة التحالف والصدقة بين سوريا وفرنسا- الفتح- العدد: 521- 13 شعبان 1355هـ - ص: 10.

(35) - محـب الدين الخطيب: "المعاهدة الفرنسية مع سوريا وهل بنيت على أسس تحقق الصداقة والتحالف بين الأمتين"؟- الفتح- العدد: 521- 13 شعبان 1355هـ- العام: 11- ص: 1 وما بعدها.

(36) - محـب الدين الخطيب: دلال باريس وجنيف- الفتح- العدد: 574- غرة رمضان 1356هـ- العام: 12-  
ص: 2-3.

(37) - بعد أن أعلن المفوض الفرنسي السامي غبريل بيو- الذي عين خلفا للكونت دومارتيل- في 5 يناير 1939م أن حكومته عدلت عن سياسة معاهدة التحالف السورية الفرنسية عام 1936م قدم هاشم الأتاسي وجميل مردم ومن بعده لطفي الحفار استقلالهم لإدراكهم أن لا فائدة من الاستمرار في الحكم، فأوقفت فرنسا العمل بالدستور السوري وعادت لفصل جبل الدروز وجبال العلويين وإعطائهما إدارة مستقلة كما تنازلت عن لواء إسكندرونة إمعانا منها في العداة= والتجزية، كما أقام المفوض السامي حكومة المديرين برئاسة بهيج الخطيب أحد أنصار الانتداب. راجع: الدكتورين- بشرى قبيسي وموسى مخلول- المرجع السابق.

(38) - محـب الدين الخطيب: الدنيا في اخطر مواقفها وفرنسا مشغولة بسحق السوريين- الفتح- العدد:  
646- 2 صفر 1358هـ- العام: 13- ص: 3-4.

(39) - المصدر السابق.

(40) - محـب الدين الخطيب: إلى أخي السيد لطفي الحفار- الفتح- العدد: 644- محرم 1358هـ- العام:  
13- ص: 3-4.

(41) - محـب الدين الخطيب: دمشق واقفة في الطريق- الفتح- العدد: 653- 21 ربيع الأول 1358هـ -  
العام: 14- ص: 3-4.

(42) - محـب الدين الخطيب: ما هيأته العروبة لنفسها وما هيأه الله لها- اقتراح من الفتح إلى سماحة  
الحاج أمين الحسيبي- الفتح- العدد: 652- 14 ربيع الأول 1358هـ- العام: 14- ص: 4.

(43) - تم الجلاء الفرنسي عن سوريا في 15 أبريل 1946م واحتفل بالجلاء يوم 14 أبريل ولذلك عد هذا  
اليوم عيداً قومياً لهذه الذكرى. وهكذا تأيد استقلال البلاد بعد نضال مرير خاضه الشعب السوري  
ضد الانتداب الفرنسي استمر ربع قرن.

- (44)- محّب الدين الخطيب: حادثة الجلاء عن سوريا- الفتح- العدد: 834- 17 جمادى الأولى 1365هـ - العام: 17- ص: 3 وما بعدها.
- (45)- محّب الدين الخطيب: السم في الدسم حول دسياسة سوريا الكبرى- الفتح- العدد: 838- رمضان 1365هـ- العام: 17- ص: 3-4.
- (46)- القانون الأساسي للحزب القومي السوري- دمشق- 1951م- ص: 3.
- (47)- من إجابات الأستاذ فهد الزغل.
- (48)- محّب الدين الخطيب: الاستعمار الفكري في الشرق بمناسبة مقال خطير في جريدة فتى العرب الدمشقية- الفتح- العدد: 181- 9 شعبان 1348هـ/ 9 يناير 1930م- السنة الرابعة- ص: 1 وما بعدها.
- (49)- محّب الدين الخطيب: مرعى دمشق!- الفتح- العدد: 436- 2 ذي الحجة 1353هـ- السنة التاسعة- ص: 2.
- (50)- المصدر السابق- ص: 3.
- (51)- هؤلاء الشهداء هم: جلال بخاري، سعد فاضل عقل، بتروياولي، علي أرمنازي، عبد الوهاب الانجليزي، شكري عسلي، عبد الغني العريسي، عبد الحميد زهراوي، أمين لطفي، عمر حامد، توفيق بساط، الشيخ أحمد طبارة. أنظر أحمد إبراهيم عبد الله وآخرون، تاريخ لعرب الحديث والمعاصر الجزء الأول- مطابع دار البحث- دمشق- سورية- 1405هـ- 1985م- ص: 207.
- (52)- محّب الدين الخطيب: شهداء العرب- الفتح- العدد: 445- 13 صفر 1354هـ- السنة التاسعة- ص: 3-2.
- (53)- راجع في ذلك: يوسف الحكيم- سوريا والعهد الفيصلي- المطبعة الكاثوليكية- بيروت- لبنان 1966م- ص: 202-203.
- (54)- محّب الدين الخطيب: في ذكرى ميلسون- الفتح- العدد: 456- 2 جمادى الأولى 1354هـ- العام العاشر- ص: 2 وما بعدها.
- (55)- محّب الدين الخطيب: سوريا بين عهدين- الفتح- العدد: 846- شعبان 1366هـ- العام: 17- ص: 3 وما بعدها.
- (56)- علي رضا الركابي: هو ابن احمد سليمان الركابي المولود في دمشق والمنوفي فيها عام 1924م، متخرج من المدرسة الحربية في الأستانة، تولى مناصب عسكرية في القدس وبغداد والمدينة المنورة والبصرة، واحد المنتسبين لجمعية (العربية الفتاة) ثم جمعية (العهد) السريتين المناهضتين لحكم جماعة الاتحاد والترقي العثمانية، عينه فيصل بن الحسين حاكما عسكريا على دمشق ثم رئيسا للوزارة، انعزل عن السياسة عقب الاحتلال الفرنسي لسوريا، ثم قصد عمان- الأردن- ليتولى رئاسة الوزارة عام 1922م وانتهى به المطاف في دمشق ليعيش في عزلة نهائية عن السياسة إلى أن وافته المنية. (الزركلي خير الدين- الأعلام: ط: 2- م: 5- دار الثقافة- بيروت- لبنان- 1956م- ص: 100).
- (57)- محّب الدين الخطيب: سوريا بين عهدين- المصدر نفسه.

# دور الخُطوط البرية والبحرية والموائى والشواطئ المغربية في عملية عبور الأسلحة لصالح الثورة الجزائرية 1956-1961. د.

جامعة المسيلة

محمد السعيد قاصرى

## Résumé:

## الملخص:

Cet article s'inscrit dans le cadre des études sur la révolution algérienne. Il est question ici de l'un des problèmes les plus épineux qu'elle avait affronté; à savoir celui de l'armement. A ce propos, le génie de l'ALN ainsi que sa remarquable ténacité avaient su trouvé les mécanismes et les méthodes les plus adéquats, par lesquels serait approvisionné la révolution en armes et munitions. A cet effet, il est à souligner qu'après la création du service des liaisons générales de la révolution au Maroc et vu la position de ce dernier par rapport à l'Algérie, après son indépendance en 1956, d'où il joua un rôle axial dans l'opération du transit et de passage des armes à la révolution algérienne à travers ses différentes lignes routières et maritimes, ses plages et ses ports notamment méditerranéens.

يندرج هذا المقال ضمن تاريخ الثورة الجزائرية، ويتعلق الأمر هنا بعملية التسلح التي كانت في أمس الحاجة إليها، ونظرا لذلك تفتقت العبقرية الجزائرية وقوة الإرادة والعزيمة في البحث عن الآليات والطرق التي سيتم من خلالها تزويد الثورة بالأسلحة والذخيرة، وبهذا الخصوص وبعد إنشاء مصلحة الاتصالات العامة للثورة بالمغرب، وبحكم موقع هذا الأخير بالنسبة للجزائر بعد استقلاله سنة 1956، يكون قد لعب دورا محوريا في عملية عبور وتمير الأسلحة للثورة الجزائرية عبر مختلف خطوطه البرية والبحرية وشواطئه وموانئه خصوصا المتوسطية منها، ونظرا لما يكتسبه موضوع تسليح الثورة الجزائرية من أهمية عبر هذه البوابة، يكون قد وقع اختيارنا عليه للمساهمة به في هذه المجلة العلمية المتميزة.

**Abstract :**

This article is part of the history of the Algerian revolution. It is about the armament that was most needed. In view of this, the Algerian genius, the willpower and the determination to search for the mechanisms and methods through which the revolution will be supplied with weapons and ammunition, Morocco, and the site of the latter for Algeria after its independence in 1956, has played a pivotal role in the process of transit and transfer of weapons to the Algerian revolution across the various lines of land and the sea and its ports and ports, especially the Mediterranean, and because of the theme of arming the revolution For the importance of Algeria through this portal, we have been chosen to contribute to this magazine scientific excellence.

## مقدمة.

لقد شكّل المغرب الأقصى، ميدانا خصبا ومجالا حيويا لِدعم وإسناد الثورة الجزائرية بمختلف أنواع الأسلحة والذخيرة الحربية التي كانت في أمس الحاجة إليها، كما شكّل في نفس الوقت قاعدة خلفية وسندا قويا لها واكب تطورها منذ بدايتها وإلى غاية نهايتها، ويعود الفضل في ربط أواصر الأخوة والتعاون المشترك في مجال الدعم بالسلح لمجموعة من المناضلين المؤمنين بمبدأ الكفاح التحرري المغاربي المشترك بين الجزائر والمغرب، وفي هذا الشأن يبرز لنا كل من: محمد بوضياف، والعربي بن مهيدي من خلال مساهمتهما في ربط اتصالات وثيقة مع مناضلين مغاربة بكل من مدينتي تطوان والناظور<sup>1</sup>.

لقد أثمرت هذه الاتصالات في إجراء عدة لقاءات بين كل من: محمد بوضياف، والعربي بن مهيدي، من الجانب الجزائري، وعباس بن عمر (عباس المساعدي)، والسيد عبد الله (عبد الرحمان الصنهاجي)، من الجانب المغربي، لقاءات أسفرت عن آليات تفعيل الكفاح المشترك وإشكالية الحصول على السلاح لكلا الثورتين<sup>2</sup>، وفي ظل هذه الأثناء تبرز لنا أيضا شخصية جزائرية أخرى ويتعلق الأمر هنا بأحمد بن بلة الذي قام بعدة زيارات متتالية لمنطقة الناظور بالمغرب.

ولتثمين هذه الفكرة ندرج شهادة المناضل المغربي الحسين براده (عضو المجلس الوطني لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير بالمغرب) حول نشاط هؤلاء المناضلين الجزائريين: كانت معرفتنا بالمجاهدين الجزائريين على يد الحسين قيري الذي حل بمدينة تطوان في أواخر شهر ديسمبر 1954 للتحضير لزيارة أحد قيادي الثورة الجزائرية، ولم يكن هذا القيادي سوى السيد محمد بوضياف الذي كان لقبه النضالي آنذاك "علي الدريدي"، وتم اللقاء به في تطوان، حيث تم التعارف وإجراء المحادثات بينه وبين أعضاء قيادتنا، وكان من نقاط العمل المشترك المطروحة تزويد الثورة بالسلح، ومن هنا انطلقت الصلة التي امتدت بين المجاهدين وهم: محمد بوضياف، والعربي بن مهيدي، وأحمد بن بلة وبين إخوانهم المغاربة<sup>3</sup>.

لقد أثمرت هذه الاتصالات بتشكيل قيادة عسكرية لجيش التحرير المغربي، تضم كل من: عبد الكريم الخطابي، علال الفاسي، محمد الزرقتوني، حسن برضا، عبد اللطيف بن جلول، مولاي عبد السلام الجبلي، الغالي العراقي وغيرهم<sup>4</sup>، وقيادة أخرى

لجيش التحرير الجزائري تضم كل من: أحمد بن بلة، العربي بن لمهيدي، قديري حسين، محمد بوضياف، مستغانمي أحمد، عبد الحفيظ بو الصوف، معطشي أحمد، طالب عبد الوهاب، شيبان أعمار، الحاج بن علا، وفرطاس مصطفى<sup>5</sup>، ومن بين النقاط الأساسية ذات الأولوية التي تم الاتفاق عليها:

1. فتح باب التجنيد على مصراعيه.
2. إنشاء مراكز لتصنيع وتخزين السلاح.
3. البحث عن مصادر خارجية عربية وأجنبية لتمويل المغرب والجزائر بالسلاح والذخيرة. وعلى اثر هذا التقدم الحاصل في التنسيق بين القيادتين اجتهد قادة جبهة التحرير الجزائرية في تطوير واثمين علاقاتهم مع القيادة الميدانية لجيش التحرير المغربي؛ وهذا كله قبل استقلال المغرب رسميا في شهر مارس 1956، هؤلاء الذين سيسعون بدورهم إلى ضمان تأييد الملك محمد الخامس للثورة الجزائرية، وعلى رأسهم أحمد بن بلة الذي كانت له علاقات وطيدة وصلت إلى حد تبادل الرأي والمشورة بين الملك وبين بلة في مسألة استقلال المغرب من عدمه في سنة 1956؟ وانعكاسات ذلك على الثورة الجزائرية<sup>6</sup>.

بعد التأسيس لهذه الأرضية الخصبة التي باتت تربط بين القيادتين في كل من المغرب والجزائر في مرحلتها الأولى، لا يسعنا سوى الانتقال مباشرة إلى الحديث عن صلب موضوعنا، وهو دور المغرب في عملية عبور الأسلحة لصالح الثورة الجزائرية، من خلال تسخير مجاله الجغرافي-البري والبحري في نجاح هذه العملية، ولقد حاولنا حصر الإطار الزمني لمقالنا في الفترة الممتدة من سنة 1955-1961، وهي فترة زمنية لها ما يبررها سواء من حيث بدايتها التي تمثل أكثر من حدث بالنسبة للمغرب خاصة، أو بالنسبة لنهايتها حيث بدأت في موفى سنة 1961 تتقلص عمليات عبور الأسلحة عبر المغرب إلى الجزائر، بسبب الدخول في مرحلة المفاوضات، نظير الانتصارات التي حققتها الثورة على الجيش الفرنسي، فضلا عن تشديد البحرية الفرنسية مراقبتها لكل الخطوط البحرية خصوصا المتوسطية منها، لمنع عبور أي نوع من أنواع الأسلحة لصالح الثورة الجزائرية، ولعالجة هذا المقال ارتأينا الاعتماد على خطة عمل تتكون من العناصر الأساسية التالية:

-المغرب منطقة عبور للأسلحة نحو الجزائر:

لضمان نجاح عملية نقل أو بالأحرى تهريب السلاح نحو الجزائر عبر المغرب، قامت قيادة جبهة و جيش التحرير الجزائري بالمغرب، بتشكيل ما سمي بإدارة الاتصالات الخاصة التابعة للولاية الخامسة<sup>7</sup>، التي اتخذت من مدينة وجدة مقراً لها، وعيّنت على رأسها المناضل محمد الرويغي<sup>8</sup>، ومن بين الخطوات التي باشرتها إدارة الاتصالات في هذا الشأن: -تجنيد الجزائريين المتنقلين بين الجزائر والمغرب واستغلالهم في عملية نقل السلاح، وتجنيد بعض الأجانب التي تثق فيهم، واعتماد وسائل مختلفة ومتنوعة لتهريب السلاح، وفي نفس الوقت تنوع طرق التهريب.<sup>9</sup>

وبناء على المرجعيات التاريخية التي اعتمدنا عليها في هذا المقال، تكون عملية عبور السلاح إلى الجزائر قد عرفت عدة طرق وأشكال مختلفة؛ فمنها ما تم عن طريق البر ومنها ما تم عن طريق البحر، ومنها ما تم باليات أخرى كسماح السلطات المغربية لجبهة التحرير الوطني ببناء مصانع للسلاح والذخيرة فوق أراضيها، وتخصيص مراكز سرية للتدريب على مختلف أنواع الأسلحة... الخ، غير أننا سنقتصر حديثنا بما يخدم موضوع مقالنا، وهو دور الخطوط البرية والبحرية والموانئ والشواطئ المغربية في عملية عبور وتمير الأسلحة لصالح الثورة الجزائرية، ولتكن البداية بالخطوط البرية:

**1-الخطوط البرية:** شكّلت الخطوط البرية مجالاً حيويًا لنقل الأسلحة وتهريبها بشتى الطرق والأساليب؛ خطوط يمكننا تقسيمها حسب أهميتها إلى ما يلي:

**1-1خط وجدة-وهران-الجزائر:** استخدمت عدة أساليب وآليات لتهريب ونقل السلاح إلى الجزائر عبر هذا الخط، من أهمها:

أ-صناديق الخُضار: بدأ الشروع في استخدام هذه الوسيلة مع مطلع سنة 1958؛ حيث كان يتم وفي أماكن سرية إعداد صناديق الخضار ذات قعر مزدوج، توضع بداخله مسدسات وكميات من الذخيرة ثم يُعبأ فوقها الخضار المطلوب شراؤها ثم تُشحن عبر الشاحنة المتجهة إلى الجزائر<sup>10</sup>، وهي الوسيلة التي استمر العمل بها إلى غاية سنة 1960.

ب-البطيخ: استخدمت هذه الفاكهة الفصلية كوسيلة لنقل القنابل اليدوية والرّمانات الموجهة بالبنادق؛ وطلقات الرشاشات الثقيلة، وهذا بعد ما يتم تفرغها من جوفها ثم يُعبأ بالأسلحة المناسبة الحجم، ثم يعاد إغلاقه بطريقة مُحكمة، ودفعاً للتمويه كان يوضع بطيخ عادي فوق الشحنة.<sup>11</sup>

ج-قُلل الفخار(الجرار): قامت في هذا الشأن إدارة الاستخبارات بالاتفاق مع أحد التجار العملاء لها من مدينة وهران، ويتعلق الأمر هنا بالمدعو محمد بسباس<sup>12</sup> (صنطاس) الذي كان يقوم بعمليات استيراد وتصدير بعض السلع بين الجزائر والمغرب، حيث عُرضت عليه فكرة تهريب الأسلحة والذخيرة لصالح الثورة؛ فلم يبد أي اعتراض على هذه العملية، وبهذا الشأن دائما اتصلت إدارة الاستخبارات بأحد العمال المغاربة المتخصص في صناعة الفخار بمدينة فاس؛ وعرضت عليه فكرة تعاونه مع الثورة الجزائرية؛ في نقل الأسلحة وتهريبها؛ فوافق هو الآخر على هذه العملية.

ومن بين ما كان يقوم به هذا العامل المغربي: صناعة الفخار بشكل عادي وبعدها يجف يضع في قعره -حسب حجم القلّة- ذخيرة أو مسدسا صغيرا أو قنبلة يدوية؛ ثم يضع فوقها طبقة أخرى من الطين؛ ويتركها تجف مرة أخرى. ونظرا للتستر التام على هذه العملية تكون الثورة قد استفادت بشكل كبير من كميات الأسلحة التي توصلت بها عبر العديد من شُحنات نقل الأسلحة بواسطة هذه البضاعة عبر القطار نحو مدينة وهران<sup>13</sup>، ولقد استمرت هذه العملية ردحا من الزمن إلى أن تفتن لها أحد رجال الجمارك، فألغى على إثرها نقل السلاح بهذه الوسيلة؟.

د-خزانات وقود السيارات وهيكلها الخلفية: من بين الآليات التي كانت تتم بها هذه الطريقة:

1. نقل السيارات والشاحنات إلى أماكن سرية ثم القيام بخلع خزان الوقود للسيارة أو الشاحنة (أحيانا) ثم يُفتح ويُوضع في جوفه بشكل متناسق خزان صغير مليء بالأسلحة والذخائر ويترك فراغ حوله لتعبئة وقود يكفي سير السيارة لمسافة معقولة<sup>14</sup>.
  2. وضع ماسورة طويلة داخل الخزان معبأة بالأسلحة ثم يُعيدون تلحيمة ودهنه جيدا، ثم يعاد إلى مكانه بالسيارة ويتم تعبئته بالوقود بصورة عادية<sup>15</sup>.
  3. توظيف أرضية السيارة بتوزيع قطع السلاح عليها: ماسورات البنادق، مسدسات، علب الذخيرة، ثم يوضع فوقها أرضية-طبقة- أخرى. هذا إلى جانب استغلال السقف العلوي للسيارة تارة ومؤخرتها تارة أخرى<sup>16</sup>.
- وما يمكن تسجيله حول هذه المخابئ السرية هو أن البوليس الفرنسي كلما كان يكتشف مخبأ للأسلحة داخل السيارة إلا ويتم استبداله بمخبأ سري آخر، ولقد حققت

هذه الوسيلة نجاحا كبيرا في نقل وتهريب الأسلحة من المغرب إلى الجزائر؛ ومن بين العمليات التي تمت بنجاح في هذا الشأن<sup>17</sup>:

عملية الباش آغا حكيكي من المحمدية، فبحكم منصبه -عضو مجلس الشيوخ الفرنسي- يكون قد تولى تهريب كمية معتبرة من الأسلحة لصالح الثورة الجزائرية، ويذكر بهذا الخصوص بوبكر حفظ الله: « إن هذا الباشا تمكن من نقل ثلاث شحنات من الأسلحة لصالح الثورة»<sup>18</sup>.

عملية الباش آغا شنتوف من المحمدية هو الآخر، تعاون مع إدارة الاتصالات الخاصة، ونقذ 20 مهمة نقل سلاح وبريد بين المغرب والولاية الخامسة مستغلا مركزه العالي لدى السلطات الفرنسية؛ حيث كان يُعتقد أنه ينقل البريد العسكري كما كان يقوم بالتنقل أسبوعيا ما بين اسبانيا والجزائر كونه كان يحظى بثقة لدى السلطات الفرنسية<sup>19</sup>، وينقل السلاح بسيارته واستمر في أداء هذه المهمة إلى غاية وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962<sup>20</sup>.

عملية العميل الفرنسي-شامبو-الذي تولى نقل السلاح بسيارته الخاصة من المغرب إلى الجزائر، بمبلغ مالي قدره 500 فرنك فرنسي، ولقد استمر هذا العميل أيضا في أداء هذه المهمة بنجاح إلى غاية الاستقلال.

عملية قدور بوشريط الذي كان معاونا لضابط متقاعد في الجيش الفرنسي، بعدما تمكن من ربط علاقات حسنة مع بعض أفراد شرطة الحدود الفرنسية، واستغل هذه العلاقة لتهريب السلاح والأموال والبريد تارة بشاحنته من طراز (تيب 23) في بداية العملية ثم استبدالها بسيارته السياحية من نوع (بيجو 203)<sup>21</sup>.

#### ه-الألبسة والمواد الغذائية:

أُسندت عملية نقل الأسلحة والذخيرة عن طريق إخفائها داخل الألبسة والأثاث إلى أحد عملاء شبكة تهريب الأسلحة؛ ويتعلق الأمر هنا بالمحامي الطيب ينمور، الذي باشر العمل بهذه الوسيلة في موفى سنة 1956؛ عندما شهدت حركة تنقل الفرنسيين نحو الجزائر تزايدا كبيرا، وفي هذه الأثناء قامت شبكة الاتصالات باستغلال هذه الفرصة لتهريب السلاح ضمن حقائب وأمتعة المسافرين، ومن بين العمليات التي تمت بهذا الخصوص: شحن كميات هائلة من الذخيرة داخل الأثاث من مدينة الدار

البيضاء إلى وهران؛ حيث ضمت هذه الشحنة: 200 بندقية رشاشة، 20 مسدس، 100.000 طلقة من مختلف العيارات<sup>22</sup>.

ومن بين السلع أو المواد الغذائية المستخدمة في تهريب ونقل الأسلحة براميل الزيت التي تسع 200 لترا؛ حيث كان يتم نزع غلافها الخارجي وتفريغ الزيت منها، وتوضع بداخلها الأسلحة بعد تغليفها بمادة البلاستيك-حتى لا تثير ضجة داخل البرميل-، ثم يعاد ملؤها بالزيت وتغليفيها مرة أخرى؛ وللعلم أن هذه العملية تتم بوسائل صناعية حديثة في أماكن سرية.

وبهذه الوسيلة تم نقل ما مجموعه 400 رشاشا، 600 مسدس من نوع استرون، 500 قنبلة، وذخيرة متنوعة الحجم، وتم توزيع هذه الأسلحة على الولايتين الثالثة والرابعة والنصف الآخر لمنطقة الجزائر<sup>23</sup>.

ويضاف إلى هذه الوسيلة وسيلة أخرى تتمثل في استغلال قطع الغيار أو الأدوات الفلاحية؛ ومن بين العمليات التي تمت في هذا الشأن: إدخال ما مجموعه 7 إلى 10 صناديق مملوءة بالذخيرة والأسلحة على أساس أنها تحتوي على قطع غيار أو أدوات فلاحية<sup>24</sup>، هذا إلى جانب استغلال الحقائق الدبلوماسية في نقل الذخيرة والسلاح من المغرب إلى الجزائر<sup>25</sup>.

وقبل الانتقال إلى الخط الموالي لتهريب الأسلحة، لا بد من التنويه بالدور الفعال الذي لعبه خط وجدة-وهران-الجزائر، وعناصر شبكة الاتصالات وعملائها في المغرب والجزائر؛ حيث تم نقل كميات جد معتبرة من الأسلحة والذخيرة بمختلف أنواعها وأحجامها، إلى أن تفتن العدو الفرنسي لعمليات التهريب عبر هذا الخط: العملية الأولى ضبطت مع العميل "بسباس" صنطاس سنة 1960 أثناء نقله لشحنة من السلاح: 60 قطعة موجهة نحو الجزائر، فمنعت على إثرها السلطات الفرنسية نهائيا عبور الشاحنات عبر طريق وجدة-مغنية، في حين اقتصر العبور على السيارات إلى غاية سنة 1961 عندما تم اكتشاف صفقة أخرى من الأسلحة مهربة نحو الجزائر في هيكل سيارة أحد العملاء المتعاونين مع شبكة التهريب؛ ويتعلق الأمر هنا بالمدعو قدور بوشريط<sup>26</sup>.

2-1. خط وجدة-بشار:

لعب هذا الخط دورا كبيرا في تموين الولاية السادسة بكميات هائلة من الأسلحة والذخيرة؛ رغم الأخطار التي كانت تعترض سبيل المهريين عبر الشاحنات والسيارات، كطول المسافة ووعورة الطريق وارتفاع درجة الحرارة، ورقابة العدو الفرنسي، وعلى الرغم من ذلك استمر العمل عبر هذا الخط إلى غاية موفى سنة 1961 عندما اكتشفت قوات العدو الفرنسي خزاناً سورياً في إحدى الشاحنات المتجهة نحو بشار يحتوي على 60 بندقية<sup>27</sup>؛ وعندما تم اكتشاف هذا الخط تم تعويضه بوسيلة أخرى للنقل والتهرب عن طريق خط السكة الحديدية الرابط بين مدينتي وجدة ووهران، وخط السكة الحديدية الرابط بين وجدة وبشار<sup>28</sup>، حيث استمر العمل عبر هذين الخطين إلى غاية الاستقلال<sup>29</sup>.

**2-الخطوط البحرية:** يمكننا تمييز مجموعة من الخطوط البحرية التي ساهمت بشكل أو بآخر في عملية عبور الأسلحة نحو الجزائر، انطلاقاً من المغرب أو عن طريق تفريغ حمولتها ببعض موانئه وشواطئه البحرية، سواء تعلق الأمر بالواجهة البحرية المتوسطية أو بالواجهة البحرية الأطلسية، والفضل في هذه الخطوط البحرية يعود إلى دور شبكة الاتصالات التي اتخذت من مدينة الناظور قاعدة لها لتدريب ما يُعرف بالضفادع البشرية، التي ستأخذ على عاتقها هذه المهمة العسكرية، وذلك كله بالتعاون مع السلطات الرسمية المغربية، ومن بين أهم الخطوط البحرية التي عبرت من خلالها مختلف شُحنات الأسلحة نحو الجزائر:

### 1-2. خط اسبانيا-الجزائر:

يذكر المناضل عبد الكريم الخطيب في شهادته بخصوص طريقة شراء السلاح وتهريبه من اسبانيا نحو كل من المغرب والجزائر: «كان السلاح يُجلب من اسبانيا وكان يسهر على شرائه حافظ إبراهيم التونسي الأصل بالتعاون مع عبد الكبير الفاسي، وقد ذكر أحمد بن بلة أن أول لقاء له بمديره كان مع عبد الكبير الفاسي والدكتور حافظ إبراهيم وعبد الرحمان اليوسفي...لكن المكلف بشراء الأسلحة هو حافظ إبراهيم على الرغم من الخطورة التي يشكلها نظام فرانكو، وقد وهب هذا الرجل حياته وماله وبكل غال عنده، لأنه كانت له شبكة من بعض الإسبان الذين كانوا يقومون بجلب الأسلحة، ثم يقوم بنقلها رجلان اثنان هما: أحمد الدغومي وعبد السلام الكبداني، كانا ينقلان

هذه الأسلحة في سيارات تمر إلى المغرب عبر سبتة، كما كان السلاح يُجلب من منطقة سيدي ايفني عن طريق بعض الإخوان الموجودين هناك»<sup>30</sup>.

معنى ذلك أن عملية نقل السلاح والذخيرة كانت تتم عبر هذا الخط البحري الرابط بين اسبانيا والمغرب، والفضل في ذلك يعود إلى حنكة عملاء شبكة التهريب، التي تقوم بنفس إجراءات الحذر والحيلة، القاضية بإخفاء الأسلحة والذخيرة في خزانات وقود السيارات أو ضمن هياكلها.. الخ، وتنطلق الرحلة من مدينة برشلونة إلى خاسيراس، ومنها تتوجه نحو طنجة ثم تيطوان وهكذا حتى تصل الرحلة إلى الجزائر.

ومن بين الأشياء العسكرية التي كانت تنقل عبر هذا الخط قطع الغيار، خاصة ما تعلق منها ببنادق الماوز 7.92 ملم. وللعلم فعملية التمويه أو عبور الأسلحة كانت تتم في كثير من الأحيان تحت رقابة السلطات الإسبانية التي كانت تربطها علاقة كراهة وعداء تاريخي مع السلطات الفرنسية<sup>31</sup>.

## 2-2. خط المغرب-وهران:

كان يتم نقل وتهريب الأسلحة عبر هذا الخط على متن باخرة فرنسية؛ كانت تنتقل بين ميناء وهران وبعض الموانئ المغربية بمعدل رحلتين في الشهر، حيث تأتي من المغرب محملة بالبضائع وتعود محملة بالمواد الأولية، ونظرا لحركة هذه الباخرة قامت شبكة الاتصالات الجزائرية بربط صلة لها مع عامل جزائري جندته للعمل لصالحها؛ وعلى اثر ذلك بات هذا العميل ينقل عبر كل رحلة شحنة من الأسلحة تتمثل في 15 قطعة سلاح مختلفة الأحجام والأنواع، ثم يقوم بتسليمها إلى عضو آخر في الشبكة بوهران يعمل في شركة تموين البواخر.

ونظرا للتستر التام على هذه العملية وحنكة عناصرها لم تتفطن المخابرات الفرنسية لها، حيث استمر العمل عبر هذا الخط إلى غاية الاستقلال<sup>32</sup>.

## 2- دور الموانئ والشواطئ المغربية في استقبال شحنات الأسلحة العربية والأجنبية:

لم تقتصر عمليات نقل وتهريب الأسلحة عبر الأراضي المغربية والخطوط البحرية السالفة الذكر، بل تعدى الأمر ذلك إلى سماح السلطات المغربية بتفريغ شحنات الأسلحة القادمة من دول صديقة في موانئها وشواطئها؛ ثم تقوم هذه السلطات نفسها في كثير من الأحيان بنقل هذه الأسلحة بالتعاون مع جهة التحرير الجزائرية بطريقتين: عبر البرتارة وعبر البحر تارة أخرى حسب ما يقتضيه الأمر، ومن بين عمليات

تفريغ شُحنات الأسلحة الناجحة التي شهدتها الموانئ والشواطئ المغربية، وسمحت من خلالها بعبور الأسلحة نحو الجزائر.

### 1-الباخرة (اليخت) دينا<sup>33</sup>:

جرى التحضير لهذه العملية حسب المناضل المغربي حمدون شوراق في ظل تخطيط محكم وتستر تام عن عيون دولتين تعدان من أقوى الدول الاستعمارية في تلك الفترة؛ وهما اسبانيا وفرنسا<sup>34</sup>، وبعد هذه الترتيبات الأمنية اللازمة انطلق اليخت من ميناء بورسعيد يوم 24 مارس 1955<sup>35</sup> مُحملاً بمختلف أنواع الأسلحة والذخيرة الحربية المقدرة بحوالي 12 طن<sup>36</sup>، على أن يتم توزيعها بالتقاسم بين جيش التحرير الجزائري وجيش التحرير المغربي<sup>37</sup>.

كان طاقم اليخت يتكون من: القائد ميلان وإبراهيم النبال (سوداني الجنسية) والعربي محمد (ميكانكي مغربي الجنسية)، وثلاثة بحارة مصريين هم: مصطفى نجم، ومحمود الفتاح، وحسين الدويكي<sup>38</sup>، كما كان على متنه مجموعة من قادة الثورة التحريرية الذين أتموا تدريبهم ووقع عليهم الاختيار لتولي بعض أعمال القيادة العسكرية بوهران؛ ويتعلق الأمر هنا بكل من: عرفاوي محمد صالح، مجارى علي، أبو خروبة محمد، (هوارى بومدين)، عبد العزيز مشري، عبد الرحمان محمد، حسين محمد، شنوف أحمد<sup>39</sup>. كما أنيطت بهم مهمة أخرى وهي تدريب جنود جيش التحرير على كيفية استخدام الأسلحة التي يحملها هذا اليخت.<sup>40</sup>

وقصد الوقوف على تفاصيل عملية تفريغ شُحنة السلاح ونقله إلى الشاطئ ثم إخفاؤه وإيصاله إلى وُجهته، اعتمدنا على رواية أحد الشهود العيان الذين ساهموا في نجاح هذه المهمة من بدايتها إلى نهايتها، ويتعلق الأمر هنا بالمقاوم المغربي شوراق حمدون الذي كان مكلفا من قبل جيش تحرير المغرب بخلايا حزب الإصلاح الوطني بقبيلة كبدانة؛ وإذا به يفاجأ ذات يوم بمرسول يخبره بقدوم شخصين اثنين من الجزائر للبحث عنه<sup>41</sup>؛ وبناء عليه يكون قد قام بترتيب أمر الاتصال بهما قرب مصب نهر ملوية السفلي القريب من الحدود المغربية الجزائرية<sup>42</sup>.

وبعدما تعرف عليهما جيدا طُرحت عليه مسألة إمكانية تحديد مكان ما بالشاطئ المغربي مناسبا لإنزال شُحنة من السلاح لصالح جيش التحرير الجزائري؛ فلم يتردد حينها في قبول مطلبهما، وعرض عليهما المكان المسعى بحاسي القصبة الذي لم

يكن يبعد عن منزله سوى بثلاث كيلومترات، وبعد مرور شهر من هذا اللقاء اتصل به محمد بوضياف الذي وصل إلى تطوان عبر اسبانيا، فالتقى به -أي شوراق حمدون- بفندق بوengan بمدينة الناظور وأخبره بضرورة الاستعداد لاستقبال باخرة محملة بالسلاح قادمة من مصر، وسيتم إرساؤها بشاطئ رأس الماء؛ وتم على اثر هذا اللقاء الثنائي الاتفاق على الترتيبات التالية<sup>43</sup>:

1. أن يكون على علم تام -أي شوراق حمدون- قبل إبحار الباخرة بـ 15 يوما لاتخاذ الاحتياطات اللازمة.
2. المحيي بمجموعة معتبرة من الرجال من الجزائر للقيام بعملية تفرغ الباخرة ثم يعودون ليلا من حيث أتوا دون أن يعلموا بمكان رسو الباخرة أو أماكن تخزين السلاح.
3. أن لا يطلع على هذا الأمر -عملية التفرغ- سوى بوضياف وشوراق، وقبل مغادرة بوضياف تبين لهما ضرورة وجود وسيط ثالث بينهما يقوم بدور الإعلام؛ وكان هذا الوسيط هو شيبان عمرو المكنى ببومدين، وهكذا تم الاتفاق بشأن عملية التفرغ، وبعد مرور عدة أيام، وأثناء وجود شوراق حمدون بمدينة الناظور أُخبر بأن شيبان عمرو يبحث عنه؛ وعندما التقى به أخبره بأن الباخرة على موعد مع الرسو في أجل أقصاه ثلاثة أيام؛ وهي مدة غير كافية في نظر المناضل شوراق للقيام بالترتيبات اللازمة، لكن هذا لم يمنعه من بذل قصارى جهده للقيام بواجبه، ومن بين الخطوات التي باشرها في هذا الشأن<sup>44</sup>:

1. شراء بعض الأدوات الحديدية لفتح صناديق السلاح.
2. التوجه رفقة شخصين -دون أن يذكرهما لنا بالاسم- يثق فيهما إلى وادي ملوية السفلي؛ وأمرهما بالاتصال بشخص آخر سيكون في نقطة معينة وراء الحدود وإخباره بإرسال الرجال المتفق عليهم لعبور الحدود والمشاركة في عملية تفرغ السلاح؛ غير أن عدد هؤلاء كان قليلا نظرا للرقابة الفرنسية المفروضة على الحدود، مما دفع به إلى اختيار رجال من خلايا حزب الإصلاح الوطني الذين يثق فيهم.

3. في اليوم المحدد لوصول الباخرة توجه المناضل شوراق حمدون إلى مكان رسو الباخرة رفقة الرجال الذين جهّزهم، في الوقت الذي وصل فيه كل من سعيد بونعلات وعبد الوهاب الجزائري قادمين من الناظور، ومكث الجميع ليلتهم في انتظار قدوم الباخرة؛ لكنها لم تظهر للعيان واستمرت مدة ترقب وصول الباخرة لمدة ستة ليالي.

4. وفي صباح اليوم الموالي (الخميس) يكون قد اتصل به شيبان عمرو المدعو بومدين هاتفيا من الناظور ليخبره بأن الباخرة المعنية راسية بميناء مليلية بعد أن ظلت الموقع المتفق عليه؛ وبناء على ذلك توجه برفقته إلى قبطان الباخرة اليوغسلافي الأصل؛ وتم الاتفاق على وصول الباخرة إلى المكان المحدد في حدود التاسعة ليلا؛ وفعلا تم الالتزام بهذا الموعد بعد تلقيهم ضوءا أبيضاً من السفينة التي تم التجاوب معها بسرعة. وهكذا ترسو باخرة دينا في مكانها المحدد بعد كل هذا الجهد والعناء والخطر المحقق بها، ليبقى الشطر الثاني من انجاز المهمة وهو عملية التفريغ التي تمت بسرعة وفي جنح الظلام. ومن بين الآليات التي أفرغت بها شحنة الأسلحة<sup>45</sup>:

أ. الشروع فوراً في عملية التفريغ باستخدام زورق صغير، لكن لم يمض وقتاً طويلاً حتى اضطرب البحر فانقلب الزورق ولم تصبح هذه الوسيلة تجدي نفعاً.

ب. مد حبل من الشاطئ إلى الباخرة وحمل الرجال لصناديق السلاح على أكتافهم سابحين نحو الشاطئ.

ت. نقل السلاح على ظهور الدواب بعيداً عن الشاطئ لمسافة 03 كلم حيث يقيم المجاهد شوراق حمدون، ونظراً لضيق الوقت وطول المسافة تم اقتصار تخزين السلاح ببيت صهره الذي يبعد عن الشاطئ بـ 01 كلم فقط، وبعد منتصف الليل يكون قد أخبره إبراهيم النيال -إحدى أعضاء طاقم اليخت- بأن المياه بدأت تتسرب إلى الباخرة؛ فتم على إثرها تكثيف الجهود لإنقاذ الحمولة والباخرة من الغرق.

ث. بعد ما تم تفريغ الباخرة جاء شوراق حمدون بقطيع من الماشية لكي يخفي به آثار العملية بشكل نهائي، كما قام بالاتصال بطاقم الباخرة ليخبرهم بضرورة الاتصال بالسلطات الإسبانية برأس كبدانة وشرح موقف الباخرة على أساس أنها تعرضت للعطب في هذا المكان بعد أن جنحت بها الرياح وهي في طريقها إلى مصر، وفعلا تمكنت السلطات الإسبانية من إنقاذ الباخرة ولم تتفطن للمهمة السرية التي قامت بها<sup>46</sup>، وبعد هذا الإنجاز التاريخي الكبير، والنجاح الذي حققته عملية وصول هذه الشحنة من السلاح، تم اختيار ثلثة من الرجال الثقة لنقل السلاح وإيصاله إلى جيش التحرير الجزائري على ظهور الدواب في ظرف زمني قصير جدا، مما فتح الباب على مصراعيه لعملية نقل وتهريب السلاح عبر مختلف الموانئ والشواطئ المغربية، ومن بين عمليات عبور الأسلحة التي تمت بنجاح بعد شحنة الباخرة دينا:

2-الباخرة فاروق: أفرغت حمولتها سنة 1955 برأس الماء (قابوياوي) بنواحي الناظور<sup>47</sup>.

3-المركب ديفاكس<sup>48</sup>:

لقد أثمرت الاتصالات التي كان يقوم بها أحمد بن بلة مع جمال عبد الناصر، خلال شهر مارس 1956 على توجيه شحنة أخرى من الأسلحة نحو الجزائر على متن المركب "ديفاكس"، الذي غادر ميناء الإسكندرية في مطلع شهر مارس، وفي الوقت نفسه كللت الاتصالات التي أجراها بن بلة مع محمد الخامس في ترتيب عملية مرور وتفريغ هذه الشحنة المُعتبرة من الأسلحة، شحنة تتكون من: بنادق عيار 303، ومدافع فيكرز عيار 303، ورشاشات لويس، ومسدسات بريتا 09 ملم ومدافع الهاون، بالإضافة إلى الذخائر المتعلقة بمعظم أصناف الأسلحة، وفتائل التفجير<sup>49</sup>.

4-الباخرة (طنجة):

تمكنت هذه الباخرة من الرسو بميناء طنجة بصعوبة كبيرة، نظرا للرقابة الفرنسية المشددة على نشاط السفن والبواخر في الحوض الغربي من البحر المتوسط، كما واجهتها أيضا مشكلة تفريغ الأسلحة بالميناء وآليات نقلها وإيصالها إلى جيش التحرير داخل الجزائر، وعلى اثر ذلك تدخل الشيخ خير الدين<sup>50</sup> لدى السلطات المغربية التي أصدرت أوامرها بأن تتولى حافلات وشاحنات القوات الملكية العسكرية بتفريغ شحنة

الأسلحة من ذات الباخرة ونقلها برا إلى وجدة حيث ستسلم إلى مركز قيادة جيش التحرير الجزائري<sup>51</sup>، مما يُفيد بأن عملية عبور الأسلحة عبر هذا الميناء تشوبها كثير من المخاطر، وفي نفس الوقت فهي باتت ضمن اهتمامات الملك محمد الخامس.

#### 5-الباخرة راويجون:

بعد التنسيق الذي قام المناضل محمد القادري من جانب جهة التحرير مع السلطات المصرية في القاهرة، وبالاتفاق مع السلطات المغربية وقيادة جهة التحرير الوطني بالمغرب انطلقت هذه الباخرة من مصر في أوائل شهر فيفري 1961 باتجاه الشواطئ المغربية، وبالتنسيق بين قيادة جهة التحرير والملك محمد الخامس في المغرب، تكون قد رست هذه الباخرة بأحد الموانئ المراكشية، على الواجهة الأطلسية، وتمكنت من تفرغ شحنتها من مختلف أنواع الأسلحة<sup>52</sup> التي كانت على متنها، والتي قدرت بحوالي 244 طن<sup>53</sup>.

#### 6-البيخت انتصار:

نقل على متنه شحنة من الأسلحة موزعة بين الجزائر والمغرب، بتاريخ 21 سبتمبر 1955، أفرغ حمولته بمنطقة الناظور بالمغرب، وأثناء عملية التفرغ غرقت كثير من الأسلحة والذخيرة في مياه البحر<sup>54</sup>.

هذا إلى جانب الأسلحة التي تم نقلها على متن المركب الإسباني اخوان إيلوكس من ميناء الإسكندرية باتجاه سبتة بالمغرب الأقصى خلال شهر ماي 1957<sup>55</sup>، وعلى متن المركب أورغان Oorgan مع مطلع شهر جانفي 1961 حيث كانت تزن شحنته 264 طن من الأسلحة والذخائر، وقد وصل المركب إلى السواحل المغربية يوم 04 فيفري 1961<sup>56</sup>.

ويضاف إلى هذه السفن سفينة شحن بلغارية التي تمت في إطار الصفقة التي عقدت من طرف الأخوين يوسف ومهدي مع الحكومة البلغارية بصوفيا في شهر جوان 1961، وهذا بعد الترتيبات التي قام بها الكولونيل عبد الحفيظ بالصوف مع الملك المغربي لضمان وصول هذه السفينة سالمة، ونظرا للحيطه والحذر المتخذة في مثل هذه الظروف نجحت في تفرغ حمولتها بميناء طنجة، حمولة قدرت بـ 2500 طن، ولقد نقلت كلها إلى الولاية الخامسة<sup>57</sup>، بمساعدة من الجيش الملكي المغربي الذي أعطيت له الأوامر من طرف الملك الحسن الثاني لإيصال هذه الشحنة<sup>58</sup>، وتعد هذه الصفقة من أكبر الصفقات في تاريخ الثورة الجزائرية<sup>59</sup>.

لم تكن كل عمليات نقل الأسلحة وعبورها نحو الجزائر بالناجحة دوما، حيث عرفت هذه العملية عدة تجارب ومحاولات فاشلة، أحبطتها البحرية الفرنسية، ونحن نعتقد من جهتنا لو كتب لها النجاح لحققت معجزات ودفعت بالثورة نحو تحقيق انتصارات عسكرية مُتميزة على العدو الفرنسي، لم تكتف سلطات العدو الفرنسي بحجز هذه البواخر فقط، بل قامت وفي كثير من الأحيان بتخريب وإغراق أكثر من 15 سفينة في الموانئ أو السواحل البحرية المغربية أو الإسبانية أو الجزائرية؛ في طريقها إلى القطاع الوهراني لغرب الجزائر محملة بالأسلحة وذخيرتها الحربية<sup>60</sup>.

نظرا للدور الكبير الذي لعبته الطرق البحرية والموانئ والشواطئ المغربية في تمرير الأسلحة للثورة الجزائرية، لم تتوان السلطات الاستعمارية الفرنسية، ممثلة في سلاح البحرية في القيام بعدة عمليات قرصنة للسفن والبواخر التي كانت في طريقها إلى تفرغ حمولتها من السلاح، وبخصوص موضوع القرصنة البحرية وحسب ما جاء في جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني، قامت السلطات الفرنسية بتمديد المياه الإقليمية الفرنسية إلى 50 كلم، ضاربة عرض الحائط بالقانون الدولي للملاحة الذي يمنع تمديد حدود المياه الإقليمية إلى أكثر من 12 ميلا بحريا، وذلك لإضفاء صبغة قانونية على حوادث القرصنة، التي ستقوم بها في البحر المتوسط<sup>61</sup>.

لقد مرت عمليات القرصنة الفرنسية حسب جريدة المجاهد التي أعطت لهذا الموضوع عنوانا مناسباً موسوما بقرصنة القرن العشرين بثلاث مراحل:

1-القرصنة الصريحة: وهي التي عادت تتم دون أي مبرر قانوني، وتبدأ من فيفري 1955 عندما قامت البحرية الفرنسية بالاعتداء على يخت دينا، ويبدو أن هذا الاعتداء تم بعد تفرغ اليخت لشحنة السلاح، أي في أثناء عودته إلى مصر، وتنتهي هذه المرحلة في تاريخ 16 مارس 1956<sup>62</sup>.

2-مرحلة القرصنة المقنعة: وهي المرحلة التي دشنتها الحكومة الفرنسية في 17 مارس 1956، بسن قانون يقضي بتمديد المياه الإقليمية الفرنسية إلى 50 كيلومتر، مع أن القانون الدولي يمنع تمديد المياه الإقليمية إلى أكثر من 12 ميلا بحريا.

3-القرصنة السّافرة: تبدأ هذه المرحلة ببداية حجز البواخر خارج الحدود الإقليمية التي سبق وأن حددها فرنسا لنفسها، بمعنى أن البحرية الفرنسية لم تحترم حتى القانون الذي سنته بنفسها، فحجزت وفي عدة مناسبات بواخر أجنبية خارج الخمسين كيلومتر،

كما حدث بالنسبة لباخرة "أتوس"<sup>63</sup> فقد اعترف "غي موللي" أمام البرلمان في 26 أكتوبر 1956 بأنها حجزت -أي الباخرة أتوس- خارج الخمسين كيلومتر التي جعلتها باريس حدا لمياها الإقليمية، حيث شكلت هذه العملية ضربة قوية لعملية عبور الأسلحة والذخيرة إلى الجزائر، من خلال كمية ونوعية الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها<sup>64</sup>، وطاقم السفينة والوفد المرافق له، حيث راحت وسائل الإعلام الفرنسية خصوصا جريدة (Echo-soir) تشيد بفعالية سلاح البحرية الفرنسي، وتكشف النقاب عن مساهمة بعض الدول الصديقة في مساعدة جيش التحرير الجزائري<sup>65</sup>، ونفس الشيء قامت به تجاه الباخرة سلوفانجيا (اليوغسلافية) التي قامت بحجزها في المرة الأولى يوم 18 جانفي 1958<sup>66</sup>.

أما بخصوص عدد السفن التي تعرضت لها البحرية الفرنسية، وحسب ذات الجريدة: في سنة 1959 تعرفت البحرية الفرنسية على 41300 باخرة، وفتشت 2565 وحجزت 83، ولقد تضاعفت هذه العملية بالنسبة لسنة 1960، على الرغم من أن السلطات الفرنسية لم تصرح بأنها في حالة حرب حقيقية مع الجزائر، ولو صرحت بذلك لربما هان الأمر بالنسبة لهذه العمليات القرصنية في الجزء الغربي من حوض البحر المتوسط.

على الرغم من المكاسب الاحتياطية والأمنية التي حققتها فرنسا في مجال تفتيش السفن والبواخر، فإن هذه العمليات جلبت لها ضجة كبيرة وأصبح لا يمر يوم دون أن يكون هناك احتجاج من تونس، بيروت، ستوكهولم أو الرباط أو بلغراد أو بون... الخ، وتعرضت من خلاله سمعة فرنسا لضربة قاضية من هذه الناحية، خصوصا بعد أن سجل عليها الملاحظون أنها لم تحجز باخرة روسية كانت قاصدة إلى الدار البيضاء، مما جعلهم يعتقدون أن فرنسا لا تقدم إلا على حجز بواخر بلدان لا تخشاها أو لا تخشى من الدخول في حرب معها<sup>67</sup>.

ومن بين البواخر التي تعرضت إلى تهديد مباشر في البحر وكادت أن تتعرض للغرق، الباخرة اليوغسلافية "سربيجا"، يوم 15 جوان 1960، على بعد 11 ميلا من الشواطئ، حيث لم تتردد سفينة البحرية الفرنسية "لوغاسكون" التي قامت بحجز هذه الباخرة، في إطلاق النار في اتجاه الباخرة اليوغسلافية لإجبارها على إتباعها<sup>68</sup>، وفي يوم 29 ديسمبر 60 قامت البحرية الفرنسية بحجز باخرة ايطالية قادمة من تونس، وفي نفس اليوم حجزت باخرة يوغوسلافية في مضيق جبل طارق<sup>69</sup>.

ويبقى السؤال المطروح في الأخير، وهو إذا كانت البحرية الفرنسية نجحت إلى حد ما في مراقبة عملية مرور الأسلحة نحو الجزائر، والتصديق عليها، مما ساهم في التأثير على نشاط الثورة الجزائرية خصوصا في مرحلة حرب الإبادة التي دشنها الجنرال "دوغول"؟ فهل بقيت جبهة التحرير والسلطات المغربية مكتوفة الأيدي تجاه ما يحصل في البحر المتوسط؟ لم تتوان مرة أخرى السلطات المغربية في التعبير عن تضامنها مع الثورة الجزائرية، وذلك من خلال السماح لجبهة التحرير ببناء العديد من مصانع الأسلحة والذخيرة بالأراضي المغربية،<sup>70</sup> وفي نفس الوقت قامت جبهة التحرير بفتح الجبهة الجنوبية والانفتاح على دول الجوار كمالى نيجيريا والسنغال، في تمرير الأسلحة والذخيرة عبر أراضيها، مستغلة في ذلك موجة التحرر التي شهدتها العديد من البلدان الإفريقية. ومن بين ما حاولت جريدة المجاهد التنبيه له والتحذير منه، هو أن تمديد الحرب إلى البحر الأبيض المتوسط، وما ينجر عن ذلك من أضرار بمصالح تونس والمغرب وكل الدول التي تنتقل عبر هذا البحر، تدخل في منطقية حرب الاحتلال الاستعمارية بالجزائر التي تحمل معها بذور الخطر الذي يهدد الأمن والسلام في العالم<sup>71</sup>.

**خاتمة.** من خلال ما سبق ذكره يمكننا تسجيل النتائج التالية:

1-تضافر جهود كثير من المناضلين في كل من الجزائر، المغرب، مصر، اسبانيا، فرنسا، ايطاليا، بريطانيا... الخ لإنجاح عملية تمرير الأسلحة نحو الجزائر عبر المغرب، نجاح يعكس بقوة مدى درجة الوعي، والتحلي بروح المسؤولية، وهذا ما وقفنا عليه خلال السنوات الأولى من بدأ عملية تمرير السلاح.

2-الدور المحوري الذي لعبته القيادة المصرية ممثلة في الرئيس جمال عبد الناصر، وبعض الضباط كفتحي الديب، في عملية ترتيب نقل شحنات الأسلحة والإشراف عليها من كل الجوانب منذ بدايتها إلى غاية نهايتها، ولعل ما ذكره فتحي الديب في مؤلفه الموسوم بعبد الناصر وثورة الجزائر، وما تم تأليفه حول الدور المحوري المصري في هذه المسألة لخير دليل على ذلك.

3-الدور المحوري الذي لعبته أيضا القيادة المغربية ممثلة في الملك محمد الخامس ثم ولي عهده من بعده الحسن الثاني، وهذا بالتنسيق مع مصلحة الاتصالات العامة التابعة لجبهة التحرير بالمغرب، بقيادة عبد الحفيظ بوالصوف، ورجال الخفاء في وزارة التسليح والاتصالات العامة وعلى رأسهم محمد لمقامي<sup>72</sup>، والتي كانت تنشط في مجال جغرافي

واسع يشمل جنوب أوروبا وشرقها، والمشرق العربي، وهذا كله في سرية تامة وفي احترافية مُتميّزة جدا، وبخصوص دور محمد الخامس في تسهيل عملية مرور الأسلحة، يذكر المناضل عبد الكريم الخطيب في هذا الشأن: « وكان كل ليلة يأتي بنفسه ويفتح المخزن ويرسل السلاح إلى الجزائر...مؤل كذلك شراء 2500 بندقية موزير، كما أعطى أوامره لقيادة البواخر التي تحمل السلاح بأن تنزل خفية، وكان يبعث بالمقاوم مصطفى بن عثمان في محاولة لتسرب الأسلحة خفية...قال لنا شهرين قبل وفاته: "إذا لم نكن

قادرين على جلب بواخر السلاح لإخواننا الجزائريين ما معنى أننا مستقلين؟"<sup>73</sup>.

4-التدخل الرسمي المغربي في كثير من الأحيان لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من صفقات الأسلحة التي تم حجزها أو كشفها، وتقديمها على أساس أنها كانت مُوجهة لصالح الحكومة المغربية، وليس لجيش التحرير الجزائري.

5-تنوع وتعدد مصادر التمويل بالأسلحة عبر الواجهة البحرية المتوسطية، على الرغم من الأخطار التي كانت تواجه عمليات نقل شُحنات الأسلحة، مما أعطى دفعا قويا للثورة الجزائرية كانت في أمس الحاجة إليه، خصوصا في السنوات الأولى.

6-تظافر جهود كثير من الدول الصديقة وتضامنها مع الثورة الجزائرية، خصوصا بلدان أوروبا الشرقية مثل يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا، في القيام بتمير شُحنات معتبرة من الأسلحة للجزائر عبر المغرب، غير مبالية بالأخطار التي كانت تعترض طريقها، والانعكاسات التي تترتب عن مستقبل علاقاتها مع فرنسا.

7-في ظل الاعتراف الرسمي الفرنسي بعمليات الإمداد بالسلاح عبر الخطوط البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، شددت السلطات الفرنسية قبضتها عن طريق تشديد الحراسة ومراقبة حركة السفن التي تجوب هذه المنطقة، مراقبة متواصلة، أغدقت عليها أموالا طائلة وتكنولوجيا متطورة، وعلى الرغم من النجاح الذي حققته، فإنها سجلت إخفاقات دبلوماسية في علاقاتها مع كثير من الدول التي كانت تأبى القيام بمثل هذه القرصنة والمراقبة اللصيقة لسفنها وبواخرها.

8-في ظل الحصار البحري والجوي الذي فرضته البحرية الفرنسية في البحر المتوسط، وعلى الحدود الجزائرية المغربية بزرع الأسلاك الشائكة، لم يتوان المغرب مرة أخرى في السماح لجهة وجيش التحرير ببناء مصانع للأسلحة والذخيرة فوق أراضيها، وتعويض النقص الحاصل في السلاح والذخيرة.

9- لم تبق جبهة وجيش التحرير مكتوفة الأيدي أمام هذه التطورات الخطيرة، بل سارعت إلى فتح الجبهة الجنوبية مع دول إفريقيا المجاورة لنا، وهذا فكلما ضيق العدو الفرنسي الخناق على الثورة الجزائرية، إلا وتم تفعيل آليات وطرق أخرى لتمير السلاح نحو الجزائر، وبتضافر جهود الجميع انتصرت الثورة الجزائرية على أكبر وأقوى قوة في القارة الأوروبية في ذلك الوقت.

وما يمكن أن نختم به هذا المقال، فهو على الرغم من محاولة طرده ومعالجته من البعض، فهو فلا يزال بكر ويحتاج إلى تضافر المزيد من جهود الباحثين والدارسين، خصوصا ما تعلق منه بالوثائق التاريخية التي لا تزال بعيدة عن متناول الباحثين في الدول الشقيقة والصديقة التي تحدثنا عنها.

الملاحق: الملحق رقم 401.

نماذج من تمرير الأسلحة والذخيرة من المغرب نحو الجزائر عبر الخطوط البرية

التاريخ	نوع السلاح	العدد	مخزن الذخيرة	طلقات	اسم العميل والسيارة
25 جانفي 1961	مسدس موزير	50	100	/	الأغا شنتوف بيجو 403
1961	رشاش مات 49	07	/	/	الأغا شنتوف بيجو 403
22 فيفري 1962	رشاش ب، م 50	16	48		شامبو
22 فيفري 1961	رشاش ب م	40	180		شامبو، دوفين
05 سبتمبر 1961	رشاش ماشقا	01	/	/	شامبو
1961	مسدس أستر	15	/	5000	شامبو
1961	رشاش مات 49	11	44	1700	شامبو

الملحق رقم 752.

عمليات القرصنة لبعض السفن والبواخر المُحملة بالأسلحة بالشواطئ المغربية في طريقها إلى تفرّغ حمولتها

اسم الباخرة	البلد الأصلي	تاريخ الحجز/الاعتداء
أتوس	بريطانيا	16 أكتوبر 56
سلوفانجيا (المرّة 1)	يوغوسلافيا	15 جانفي 58
غرانيتا	الدانمارك	23 ديسمبر 58
ليدسي	تشيكوسلوفاكيا	07 أفريل 59
مونتي كاسينو	بولونيا	جويلية 1959
بيلياق	ألمانيا	05 نوفمبر 59
بجيس بوش	هولندا	12 ديسمبر 59
سلوفانجيا (المرّة 2)	يوغوسلافيا	29 مارس 60
ريجيكافا	يوغوسلافيا	03 أفريل 60
سريبجا	يوغوسلافيا	05 جوان 60
لاس بالماس	ألمانيا	09 جوان 60

الملحق رقم 763.

تداعيات حجز الباخرة أتوس في إحدى وسائل إعلام العدو الفرنسي

**Au large de Nemours Sensationnelle capture d'un bateau-arsenal clandestin par la Marine nationale**

**L'ATHOS TRANSPORTAIT L'ARMEMENT D'UNE BRIGADE DE FELLAGHA**

Fusils anglais 303 - mitrailleuses - mitraillettes mortiers - fusils mitrailleurs - mitrions

Par Les PALAIS

Une opération de capture en mer... Le bateau-arsenal... Les armes... Les soldats...

Après avoir été capturé par une vedette... Les armes... Les soldats...



**ACCORD SECRET AVEC L'ANGLETERRE POUR FAIRE ÉCHEC A NASSER**

Le contrat de mariage du roi de l'Étain (Antenor Patino) annulé par le tribunal de la Seine... L'ancien ministre de l'Étain...

Le prix Nobel de médecine attribué à trois célébrités cardologiques... Les professeurs de la Sorbonne...



Reconnaissant la situation difficile dans laquelle se trouve la fonction publique... Le Gouvernement accorde 38 milliards aux fonctionnaires... Cette dépense nouvelle sera inscrite sur le budget de 1957.

Un convoi militaire tombe dans une embuscade... Les soldats... Les véhicules...



Le bouclage de la frontière algéro-tunisienne devrait devenir effectif dans les deux sens... Les soldats... Les véhicules...

Des rappelés offrent une stèle commémorant le sacrifice de leurs camarades morts pour l'Algérie... Les soldats... Les véhicules...

**ENTRE NOUS**  
L'association... Les membres... Les activités...

Encadré de l'Atlas est un produit qui permet de connaître les données de développement de l'Algérie... Les données... Les statistiques...

## مصانع وورشات جبهة التحرير الوطني للأسلحة بالمغرب.

المكان المستعار	السنة	نوع إنتاج الأسلحة وذخيرتها الحربية
تطوان	58	قنابل نوع انجليزي ومتفجرات
سوق الأربعاء	58	قنابل نوع انجليزي وفرنسية والبنقلور
بزنيقة	59	قنابل نوع أمريكية يدوية التركيب ( البنقلور) السلح الأبيض
ثمارة	60	صناعة رشاشات خفيفة نوع مات 49 وسلح أبيض
سخيرات	60	صناعة مدافع هاون عيار 45 ومتفجرات
محمدية	60	صناعة مدافع هاون عيار 45-80 وبنقلور وألغام
الدار البيضاء	60	صناعة البازوكات، مات رشاش 49، ألغام وسلح أبيض <sup>78</sup> .

## الهوامش:

1. عمار، قليل: ، ملحمة الجزائر الجديدة، ج 1، ط. 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1412هـ/1991م، ص195.
2. مع العلم أن الكفاح المسلح قد انطلق في كل من تونس والمغرب في سنة 1952.
3. الحسين، براده: ((شهادة السيد الحسين برادة))، مجلة الذاكرة الوطنية، المندوبية السامية بتعاون مع المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الصومعة، الرباط، عدد خاص بالندوة المغاربية: وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، أيام: 10-11-12 ذو القعدة 1422هـ / 24-25-26 يناير 2002، ص393. (395-391).
4. بو بكر، حفظ الله: التموين والتسليح إبان الثورة التحريرية 1954-1962، طاكسيج-كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 267.
5. نفسه، ص267.
6. أحمد، منصور: ، الرئيس أحمد بن بيلاء..يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، كتاب الجزيرة، شاهد على العصر، ط1، الدار العربية للعلوم- ناشرون- دار ابن حزم، 1428هـ/2007م ص-ص11-112.
7. محمد، زروال: ، الاتصالات العامة في الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومة، الجزائر، 2015، ص-ص65-67.
8. عمار، قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج. 1، المرجع السابق، ص266.
9. محمد، صديقي: ، الطرق والوسائل السرية لإمداد الثوار الجزائريين بالسلاح، ترجمة أحمد الخطيب، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1986، ص، 35.
10. نفسه، ص50.
11. نفسه، ص51.
12. تمكن محمد بسباس من توصيل شحنة من الأسلحة إلى قيادة جبهة التحرير في وهران تشمل 60 قطعة سلاح في شاحنته التي كانت محملة بالتمر، لكن أثناء عودته إلى المغرب تم توقيفه مباشرة بسبب شبكة العملاء التي كانت ترصد تحركاته، إذ عُثِر في شاحنته بعد تفتيشها على وثائق سرية تعلق بعضها بوصول تسليم السلاح، ونظرا للدور الذي كانت تقوم به الشاحنات في نقل الأسلحة

مع السلع أصدرت السلطات الفرنسية أمرا عام 1960 بمنع عبور الشاحنات عبر خط مغنية وجدة، بعد افتضاح أمر محمد بـسياس. يراجع: حفظ الله بوبكر: التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، ص 295 هامش.

13. محمد، الصديقي: المصدر السابق، ص 51.
14. نفسه، ص 53.
15. نفسه. ص 53.
16. نفسه. ص 54.
17. نفسه، ص-ص 44-49.
18. حفظ الله، بوبكر: المرجع السابق، ص 298.
19. يُنظر الملحق رقم 01.
20. حفظ الله، بوبكر: المرجع السابق، ص 298.
21. نفسه، ص 295.
22. محمد، صديقي: المصدر السابق، ص-ص 52-53.
23. يحوي فيصل، محمد لطرش، التسليح والتموين أثناء الثورة 1954-1962، (مذكرة تخرج ليسانس)، تاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص 53.
24. نفسه، ص 53.
25. نفسه، ص 53.
26. محمد، صديقي: المصدر السابق، ص 61.
27. يتعلق الأمر هنا بأحد عملاء الشبكة المدعو الحسين -يقطن ببشار-الذي كان يقود الشاحنة المتوجهة من بشار نحو أحد الجبال التي تتواجد بها قوات من جيش التحرير الجزائري، وبعد تحقيقات واستنطاق المعني تبين أن الشاحنة قادمة من المغرب، فأصدرت السلطات الفرنسية مرة أخرى أمرا يقضي بإغلاق طريق المغرب بشار أمام جميع الشاحنات، يراجع: بوبكر حفظ الله، المرجع السابق، ص 297.

28. كانت مهام عناصر الشبكة عبر السكة الحديدية -خط وجدة وهران خاصة- تنتمي عند مدينة سيدي بلعباس بالجزائر، ومن بين عملاء هذه الشبكة الشيخ سعيد الزموشي أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ولاية وهران، وامرأة من المحمدية تدهى فاطمة الدحاوي، يراجع: بوبكر حفظ الله، ص297.
29. محمد، صديقي: المصدر السابق، ص64.
30. عبد الكريم، الخطيب، شهادة عبد الكريم الخطيب: ندوة مغربية حول وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص، المرجع السابق، ص378.
31. محمد لطرش، وفيصل يحوي: المرجع السابق، ص50.
32. محمد، صديقي: المصدر السابق، ص71.
33. نسبة إلى الملكة دينا عبد الحميد. كان قد استأجره منها حسين خيرى للعمل في نطاق القيام برحلات ترفهية لبعض الأثرياء العرب، مع العلم أن الملكة دينا لم تكن تعلم شيئا عن طبيعة المهمة السرية التي سيقوم بها هذا اليخت. يراجع: فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، 1984، ص83.
34. شوراق، حمدون: «حقائق تاريخية عن عملية الباخرة دينا»، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع18، المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، (1408هـ/1988م)، ص49.
35. يذكر محمد الهادي حمدادو أن تاريخ إبحار اليخت كان يوم 27 مارس 1955، ص53.
36. محمد الهادي، حمدادو: أضواء على حادثة يخت دينا ومركب أتوس، قصة عمليتين لتزويد الثورة بالسلح، ط1، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 1435هـ/2014م، ص53.
37. تم تقاسم شحنة الأسلحة بين الجزائر والمغرب، على النحو التالي: الجزائر (204 بندقية، 303 ر، 20 رشاش برن 303 ر، 240 خزن للبرن، 34 كأس إطلاق، 68 بندقية رشاشة تومي 45 ر، 33.000 طلقة 303ر، 166.500 طلقة 303ر للبرن،

356 قنبلة يدوية ميلز 36، 136.000 طلقة 45 رلتومي، 4.000 كبسول طرقي، 50 علبة كبريت هواء، 350 كيلو جلجنايت، 667 فتيل مأمون، 3000 مماسك ذخيرة 303ر)، المغرب (96 بندقية 303ر، 10 رشاش برن، 120 خزمة للبرن، 16 كأس إطلاق، 32 بندقية رشاشة تومي 45ر، 18.000 طلقة، 303ر، 82.500 طلقة للبرن، 144 قنبلة يدوية ميلز 36، 64.000 طلقة للقومي، 45ر، 150 متر فتيل مأمون، 2.000 كبسول طرقي، 20 علبة كبريت هواء، 150 كيلو جلجنايت، 1500 مماسك ذخيرة). يراجع: فتحي الذيب، المصدر السابق، ص84.

38. محمد الهادي، حمادو: المصدر السابق، ص53.

39. فتحي، الذيب، المصدر السابق، ص84.

40. عمار قليل: المصدر السابق، ص، 260.

41. يتعلق الأمر هنا بكل من: محمد علي بوضياف والعربي بن مهدي.

42. شوراق حمدون: المصدر نفسه، ص50.

43. نفسه، ص50.

44. نفسه، ص-ص50-51.

45. المصدر نفسه، ص51.

46. يذكر فتحي الذيب في روايته أن حرس السواحل الاسبانية الذين قدموا مساعداتهم للباخرة التي جنحت بالقرب من الصخور، قد شابتها بعض الشكوك حول مكان تواجد الباخرة، لكنهم لم يقفوا على طبيعة مهمته السرية. المصدر السابق، ص86.

47. محمد، القنطاري: ((القواعد الخلفية للثورة الجزائرية))، مجلة الذاكرة الوطنية، المندوبية السامية والمجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، عدد خاص بالندوة المغاربية بعنوان وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات التحرر وجيش التحرير، أيام 10-12 ذو القعدة 1422هـ/ 24-26 يناير 2002، جامعة محمد الخامس السويسي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص272.

48. تم شراؤه من اليونان.

49. بوبكر، حفظ الله: المرجع السابق، ص274.
50. رئيس مكتب جبهة التحرير الوطني بالمغرب.
51. محمد خير الدين: مذكرات، ج. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص181.
52. تتمثل هذه الأسلحة في ما يلي: 5000 رشاش عيار 07.62 ملم، 4000 رشاش قصير عيار 7.8 ملم، 3000 رشاش خفيف عيار 7.6 ملم، 2.6 مليون طلقة عيار 7.6 ملم للرشاش القصير، 4.8 مليون طلقة عيار 7.6 للرشاش الخفيف. يراجع: بوبكر حفظ الله، ص283.
53. بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص283.
54. الطاهر، جبلي: الإمداد بالسلح الثورة التحريرية 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013ص332.
55. بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص356.
56. نفسه، ص356.
57. نفسه، ص356.
58. مقالاتي، عبد الله: إشكالية التسليح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، ابتكار للنشر والتوزيع، صدر هذا الكتاب بدعم ن وزارة الثقافة، الجزائر، في الذكرى 50 لعيد الاستقلال (1962-2012)، ص300.
59. نفسه، ص 299.
60. محمد، قنطاري: ((القواعد الخلفية للثورة الجزائرية))، مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص بالندوة المغاربية، المرجع السابق، ص274.
61. المجاهد: قرصنة القرن العشرين، جريدة المجاهد، لسان جبهة التحرير الوطني، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الذكرى 45 يوم الاثنين 13 رجب 1380هـ / 2 جانفي 1961.
62. نفسه، ص9.
63. الاسم الحقيقي لهذه الباخرة هو سانت بريفر، وهي ملك لأحد البريطانيين يدعى البريس ALLARESS، ويتساءل محمد الهادي حمدادو عن سبب تغيير اسم السفينة إلى أتوس، وهذا بعدما تم حجزها واقتيادها إلى ميناء الغزوات، حيث

- قاموا بتثبيت لوح خشبي مستطيل على واجهة المركب كتب عليه أتوس؟ وهي كلمة يونانية تطلق على جبل مقدس في شبه جزيرة صغيرة في اليونان. يراجع: محمد الهادي حمدادو، ص58.
64. تُعد شحنة أسلحة باخرة أتوس هي الشحنة العاشرة من الأسلحة التي تصل إلى الجزائر، والمقدرة بحوالي 75 طن، ومن بين ما اشتملت عليه شحنة الباخرة أتوس: 2000 بندقية انجليزية، 190 بندقية متنوعة (موزر 98K)، 100 بندقية هاون، 250 رشاش باريتا، 50 بندقية رشاش (برن)، 06 رشاش كبير فيكرز vickers، أكثر من مليون كرتوش ذخيرة لمختلف الأسلحة، 5000 قذيفة مدفع مورتري، وعتاد للصيانة والاتصالات اللاسلكية، يراجع: عبد الهادي حمدادو، المرجع السابق، ص68.
65. عبد الهادي حمدادو: ص، يُنظر الملحق رقم 3.
66. المجاهد، المصدر السابق، ص9.
67. نفسه، ص9.
68. نفسه، ص10.
69. نفسه، ص9.
70. Guentari, Mohammed: Organisation Politico-administratives et militaire de la révolution Algérienne de 1954-1962, Volume 2, Office des Publications Universitaires, Alger, 1994, P. 608.
- يراجع بشأنه أيضا محمد، قنطاري: (( الثورة الجزائرية وقواعدها الخلفية بالجهة الغربية والعلاقة الجزائرية المغربية إبان ثورة التحرير الوطني ))، **الذاكرة**، ع، 3، السنة، 2، ص، 126. ينظر الملحق رقم 4.
71. المجاهد، المصدر السابق، ص10.
72. محمد، لمقامي: ، رجال الخفاء مذكرات ضباط في وزارة التسليح والاتصالات العامة، منشورات ANEP، الجزائر. 2005.
73. شهادة عبد الكريم الخطيب، ص380. ندوة
74. بوبكر حفظ الله، المرجع السابق، ص-ص303-306.
75. المجاهد، المصدر السابق، ص9.

76. محمد الهادي، حمدادو: المصدر السابق، ص74.

77. Guentari, Mohammed :OP CIT, P. 608.

يراجع بشأنه أيضا محمد، قنطاري: (( الثورة الجزائرية وقواعدها الخلفية بالجهة الغربية والعلاقة الجزائرية المغربية إبان ثورة التحرير الوطني ))، **الذاكرة**، ع، 3، السنة، 2، ص، 126.

78. منطقة الدار البيضاء غير واردة في الجدول الأم الموجود في هذا الكتاب، لكن بالعودة إلى مقال لنفس المؤلف في مجلة الذاكرة العدد الثالث: تحت عنوان: ((الثورة الجزائرية وقواعدها الخلفية بالجهة المغربية والعلاقة الجزائرية المغربية إبان ثورة التحرير الوطني)). وجدناه يضيف منطقة الدار البيضاء إلى هذا الجدول.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

-عمار، قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج 1، ط. 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1412هـ/1991م.

-أحمد، منصور: الرئيس أحمد بن بيلا..يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، كتاب الجزيرة، شاهد على العصر، ط1، الدار العربية للعلوم- ناشرون- دار ابن حزم، 1428هـ/2007م.  
-محمد، زروال: الاتصالات العامة في الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومة، الجزائر، 2015.

-محمد، صديقي: الطرق والوسائل السرية لإمداد الثوار الجزائريين بالسلح، ترجمة أحمد الخطيب، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1986.

-محمد الهادي، حمدادو: أضواء على حادثة يخت دينا ومركب أتوس، قصة عمليتين لتزويد الثورة بالسلح، ط1، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 1435هـ/2014م.  
-فتحي، الديب: عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط.1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984.

-محمد خير الدين: مذكرات، ج. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

-محمد، لمقامي: رجال الخفاء مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة، منشورات ANEP، الجزائر. 2005.

### المراجع:

- مقلاتي، عبد الله: إشكالية التسليح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، ابتكار للنشر والتوزيع، صدر هذا الكتاب بدعم ن وزارة الثقافة، الجزائر، في الذكرى 50 لعيد الاستقلال (1962-2012).
- الطاهر، جبلي: الإمداد بالسلح الثورة التحريرية 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
- بو بكر، حفظ الله: التموين والتسليح إبان الثورة التحريرية 1954-1962، طاكسيج-كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

### الدوريات:

- محمد، القنطاري: ((القواعد الخلفية للثورة الجزائرية))، مجلة الذاكرة الوطنية، المندوبية السامية والمجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، عدد خاص بالندوة المغاربية بعنوان وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات التحرر وجيش التحرير، أيام 10-12 ذو القعدة 1422هـ / 24-26 يناير 2002، جامعة محمد الخامس السويسي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط.
- المجاهد: قراصنة القرن العشرين، جريدة المجاهد، لسان جبهة التحرير الوطني، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، الذكرى 45 يوم الاثنين 13 رجب 1380هـ / 2 جانفي 1961.
- شوراق، حمدون: ((حقائق تاريخية عن عملية الباخرة دين))، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع18، المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، (1408هـ/1988م).
- عبد الكريم، الخطيب، شهادة عبد الكريم الخطيب: ندوة مغاربية حول وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص، بالندوة المغاربية بعنوان وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات التحرر وجيش التحرير، أيام 10-12 ذو القعدة 1422هـ / 24-26 يناير 2002، جامعة محمد الخامس السويسي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

### المذكرات الجامعية:

-يحيوي فيصل، محمد لطرش، التسليح والتموين أثناء الثورة 1954-1962، (مذكرة ليسانس)، تاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص53.  
المراجع باللغة الأجنبية:

1. Guentari, Mohammed: organisation Politico-administratives et militaire de la révolution Algérienne de 1954-1962, Volume 2, Office des Publications Universitaires, Alger, 1994.

# LA CONFRONTATION POLEMIQUE ENTRE DONATISTES ET CATHOLIQUES ET SES REPERCUSSIONS AU MAGHREB ANTIQUE ( 411 -311ap.J.C)

Dr. Rabie OULMI

Université de BATNA -1-

## Abstract :

This study aims at highlighting the roots of the Donatist schism, and the background of the Donatist-Catholic conflict in the ancient maghreb, which dates back to the persecution of christians by the emperor *Diocletianus* during the period (303-305 A.D.), which led to the rebelling of many of them. The problem of division was strongly raised in the African church. The schism is dedicated to the influence of *Caecilianus* Bishop of Carthage in 311 A.D., after death of *Mensurius*, the African church found itself was divided between two Bishops and two parties: the Donatist church and the Catholic church.

Saint-Augustine entered the arena of conflict since 392 A.D., at the head of his Bishop *Hippo-Régius* (Annaba currently), he presided over the *Hippone* complex in 393 A.D., which condemned the Donatists, and for more than a century, The Donatist Church stood in the face the Catholic church and the Roman temporal authority that supported it until the Carthage debate was held at the request of the emperor, who

approved the principle of attending and forbidding the Donatist church officially in 411 A.D.

**Key Words:** Saint Augustine, the Donatist church, the Catholic church, the Carthage debate, the Schism.

## ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جذور الانشقاق الدوناتى وطبيعة الجدل الدوناتى-الكاثوليكى فى المغرب القديم الذى يعود أساسا إلى اضطهادات الامبراطور "ديوكليتيانوس" (*Diocletianus*) للمسيحيين خلال الفترة (303م-305م) والتي أدت إلى ارتداد عدد كبير منهم، وطرحت مشكلة الانقسام بقوة فى الكنيسة الإفريقية. وتكرس الانشقاق على إثر سيامة "كايكليانوس" أسقف قرطاجنة فى 311م، بعد وفاة "مونسوريوس"، ووجدت الكنيسة الإفريقية نفسها منقسمة بين أسقفين وحزبين: الكنيسة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية.

دخل القديس "أوغسطين" حلبة الصراع على الصعيد اللاهوتى والجدلى منذ 392م على رأس أسقفية هيبو-ريجىوس (عناينة حاليا)، وترأس مجمع هيبون سنة 393م الذى أدان الدوناتيون. وعلى مدى أكثر من قرن من الزمن وقفت الدوناتية فى وجه الكنيسة الكاثوليكية، والسلطة الزمنية الرومانية التى

تدعمها حتى انعقدت مناظرة قرطاجة بطلب من الإمبراطور "هونوريوس" التي أقرت مبدأ حظر وتحريم الدوناتية رسمياً سنة 411م.  
الكلمات المفتاحية: الانشقاق الدوناتية، الهرطقة، الكنيسة الدوناتية، الكنيسة الكاثوليكية، الجدل، القديس "أوغسطين"، مناظرة قرطاجة.

### Résumé :

Le Donatisme est un schisme Africain, exclusivement Africain ; à ce titre il tient une place à part, et fort importante dans l'histoire du christianisme local. Il est né à Carthage et en Numidie. C'est ainsi que, Le schisme Donatiste puise son origine dans les persécutions de l'empereur Dioclétien durant la période (303-305). L'hérésie Donatiste apparaît en 311 à la suite de la consécration de l'évêque de Carthage *Caecilianus*. C'est *Donat*, l'évêque de Carthage qui donna son nom au schisme Donatiste,

L'Église Africaine se trouva ainsi divisée entre deux évêques, deux partis : l'Église Donatiste, et l'Église Catholique qui s'excommuniaient et s'accusaient réciproquement.

St. Augustin est entré en lice, et mène le combat décisif sur le plan théologique et Polémique, à la tête de l'épiscopat de Hippo-Régius (Annaba) en

392, il préside le synode d'Hippone en 393, qui condamne les Donatistes. C'est sous l'égide impériale que se tient, la conférence de Carthage en 411. Le concile prononça une sentence condamnant les Donatistes, le Donatisme est aboli. C'est le signal du déclin du schisme. Les Catholiques l'ayant emporté.

La problématique qui se pose est : Quelle est la nature des deux églises Donatiste et Catholique ? Quelles sont leurs origines ? Comment la confrontation Polémique entre Donatistes et Catholiques a-t-elle évolué ? Quelles sont ses répercussions sur le Maghreb antique ?

**Mots clés :** l'église Donatiste, l'église Catholique, Polémique, conférence de Carthage, St. Augustin, l'hérésie, le schisme.

**Introduction :**

L'idée de fonder un mouvement religieux dénommé « Donatisme », s'est manifestée en Afrique romaine au début du IV<sup>e</sup> siècle, à la suite des persécutions des chrétiens, sous les ordres de Dioclétien pendant la période (303-305). Et au concile qui s'est tenu à Cirta <sup>1</sup> le 5 mars 305 (*Concili Cirtensis*) pour la consécration d'un nouvel évêque de la ville.

Les causes essentielles de l'apparition du Donatisme sont dues à l'élection et la consécration de *Caecilianus* comme évêque de Carthage en 311, et quelques fidèles et clercs qui avaient été compromis dans la persécution de Dioclétien, d'avoir livré les écritures et les livres saints au pouvoir Romain persécuteur (l'autorité civile), pour qu'ils soient brûlés.

Les Donatistes ont persisté pendant et après la grande persécution à l'époque de Dioclétien (284-305), de décrire leurs ennemis Catholiques de « *Pars Caeciliani* » c'est à dire le parti de *Caecilianus*, et « l'église des *Traditores* ». Car, ils se croient toujours qu'ils représentent la véritable église Catholique.

Le Donatisme est apparu en Numidie, et plus précisément à *Bagai* (près de Khenchela), qui est considéré comme le foyer du Donatisme. Cette ville a abrité la plupart des évènements de l'histoire du Donatisme, tels la bataille de 347, et le concile des *Primianistes* en 394.

N'était-il pas nécessaire d'éclaircir les circonstances et les causes profondes des querelles religieuses qui ont **troublés** l'Afrique romaine au IV<sup>e</sup> siècle ? Faut-il mettre les troubles sociaux et religieux de cette période de l'histoire de l'Afrique en relation avec cette détérioration de l'économie africaine ?

Quels sont les prémices du conflit Donato-Catholique au Maghreb antique ? Le pouvoir séculier romain était-il impliqué dans ce conflit ?

Comment le Donatisme s'est-il transformé d'un mouvement religieux local à un mouvement socio-politique qui a su tenir tête au pouvoir séculier Romain, et à l'église Catholique en Afrique du nord ?

L'objectif de cette étude est de formuler quelques observations sur les conditions économiques et sociales sous lesquelles vivaient les populations de l'Afrique romaine à l'époque du Donatisme, et qui ont mené à l'hérésie et au conflit Donato-Catholique au Maghreb antique.

### I- La Naissance du Donatisme :

L'histoire des origines du Donatisme reste en vérité bien obscure. <sup>2</sup> Les documents dont nous disposons, récits ou pièces d'archives, <sup>3</sup> servent à propos les desseins des polémistes catholiques qu'on ne peut guère s'empêcher de les suspecter. <sup>4</sup>

Les historiens de l'Eglise se basent sur « *le dossier du donatisme* » <sup>5</sup> proprement dit, qui se compose des documents administratifs et ecclésiologiques qui datent entre 314 et 330.

En réalité, quelques clercs catholiques ont pu compiler ces documents dans un dossier spécial en vue de les utiliser dans les polémiques avec les polémistes Donatistes, selon *Duchesne*. <sup>6</sup> Ce dossier a été entre les mains d'*Optat de Milev* <sup>7</sup> considéré comme le premier polémiste catholique, et à partir de ces documents, il a rédigé les prémices du schisme donatiste, en s'adressant au successeur de Donat, *Parmenianus* <sup>8</sup> vers 366.

Le Donatisme est un schisme africain, il occupe une place à part, et **forte** importante, dans l'histoire du christianisme local. Il est né à Carthage et en Numidie, des passions et des querelles du pays. Au Maghreb antique, il a eu un succès extraordinaire, il a surexcité, comme une religion nouvelle, les esprits et les passions populaires. Il a constitué une église indépendante, aussi puissante et riche en hommes et en biens que l'église Catholique, plus puissante même

pendant un siècle. Il a tenu tête au Catholicisme et au pouvoir civil, survécu pendant près de deux siècles. Vaincu enfin au temps de Saint-Augustin.

Par-là, le Donatisme a été un facteur essentiel dans l'histoire, non seulement du christianisme local, mais de l'Afrique elle-même pendant le 4<sup>e</sup> et 5<sup>e</sup> siècles. Le schisme africain a été traité par d'importantes monographies,<sup>9</sup> ou de courtes esquisses,<sup>10</sup> comme il a attiré l'attention des historiens de l'Eglise ou de l'Afrique<sup>11</sup> ou des études sur la chronologie des origines du schisme africain,<sup>12</sup> des découvertes archéologiques et épigraphiques<sup>13</sup>, et quelques études critiques des œuvres *d'Optat de Milev* et *d'Augustin*<sup>14</sup> et la restitution d'une bonne partie de la littérature Donatiste.<sup>15</sup> Tout cela nous permet de reprendre la question du Donatisme sur de nouvelles bases.

Il ne s'agit pas ici de refaire l'histoire complète du schisme africain, mais tout simplement de poser les jalons de cette histoire, d'indiquer les étapes, de marquer avec précision les traits essentiels, de déterminer le rôle du Donatisme, afin de reconstituer le cadre historique de notre étude.

Les différentes sources littéraires et historiques qui traitent le Donatisme sont très abondantes et très variées, **elles** nous sont parvenues depuis *Constantin* jusqu'à *Honorius Flavius*,<sup>16</sup> qui a promulgué de nouvelles lois anti-donatistes.

Malgré la disparition de beaucoup d'œuvres et de documents. A ces sources, on peut ajouter les documents archéologiques et épigraphiques récemment découverts, des ruines de basiliques, les inscriptions de Benian ou de Numidie.

Le Donatisme fut son apparition au début du IV<sup>e</sup> siècle, à la suite des persécutions des chrétiens sous les ordres de Dioclétien pendant la période (303-305). Or, la raison profonde du succès du Donatisme paraît dans l'état social de l'Afrique, dans le mécontentement et la misère d'une partie des

populations, et aussi, dans l'organisation anormale de l'Église Africaine. Les causes immédiates du schisme furent : la difficulté de régler la situation des fidèles et des clercs qui avaient été compromis dans la persécution de Dioclétien. La question des *Lapsi*<sup>17</sup> est à l'origine du schisme Donatiste. Quant à la rupture définitive entre les deux églises, ce fut l'élection et la consécration de *Caecilianus* comme évêque de Carthage en 311.

La divergence des historiens sur la date de l'apparition du Donatisme, explique la diversité des causes, ce qui a conduit ces historiens à déterminer cette apparition, tantôt, à la persécution de Dioclétien, tantôt au concile de Cirta (*Concili Cirtensis*)<sup>18</sup> en 305 qui a réuni les évêques Numides, tantôt au prétendu schisme de *Donat des Cases- Noires*<sup>19</sup> (Bgai aujourd'hui) en 306, tantôt au concile des dissidents Numides - à leurs tête le primat *Secundus*- qui prononça en 312 la déposition de *Caecilianus*. En réalité, la dernière date fut la cause principale du schisme, les autres dates marquent simplement les étapes des malentendus d'où sortit le schisme. Or, Optat fait remonter les origines de la rupture jusqu'à la persécution de Dioclétien.<sup>20</sup> Mais il ajoute que cette rupture éclata après l'ordination de *Majorinus*<sup>21</sup> en 312.<sup>22</sup>

Il paraît donc, que la cause principale du schisme Donatiste, a été dans la difficulté de régler la situation des nombreux évêques, clercs ou laïques, compromis dans la persécution. Il ne faut pas nier aussi, le manifeste des martyrs *d'Abitina*<sup>23</sup> les scènes scandaleuses de l'élection et de l'ordination de *Silvanus*<sup>24</sup> à Cirta, les attaques contre *Mensurius*<sup>25</sup> et son archidiacre *Caecilianus*, étaient assurément de graves symptômes, mais tout cela n'avait fait que préparer le terrain.

Les divers témoignages qui ont cité le début du schisme Donatiste, ont démontré que les persécutions de l'empereur Dioclétien au Maghreb antique durant la période (303-305), avaient surpris l'Église Africaine, et ont entraîné

beaucoup de déroutes.<sup>26</sup> Certes les martyrs étaient nombreux, mais, aussi les apostasies avaient été innombrables, surtout en Numidie.

Ce qui a entraîné l'Église Africaine à être divisée, cette église qui a été toujours unifiée durant toute son histoire, comme *Saint-Cyprianus* l'a décrit : *De Catholicae Ecclesiae Unitate*.<sup>27</sup> Ces persécutions étaient fatales sur les fidèles, on avait vu, des chrétiens renier leur foi, des clercs et des évêques même s'empresser de remettre aux magistrats des livres saints compromettants.<sup>28</sup> Pour les donatistes on les a considérés comme *Traditores*<sup>29</sup> - Traditeurs - et *Lapsi*. Par contre, beaucoup de chrétiens ont résisté courageusement aux persécutions, ils ont été limogés et exécutés.

Tandis que, l'attitude des *Confessores* - Confesseurs- était rigoriste envers les *Traditores* et *Apostats*, et ont rejeté tout contact avec eux après l'apaisement des persécutions en 305, suite à l'abdication de *Dioclétianus*.<sup>30</sup>

Les victimes de ces persécutions, n'étaient autres que les martyrs d'Abitina, près de Carthage. Après leurs interrogatoires et leurs tortures le 12 février 304, ces Confesseurs avaient été ramenés dans leur prison à Carthage.

Il semble qu'ils ont beaucoup souffert, ils décidèrent alors, d'excommunier les chrétiens qui avaient faibli dans la persécution. Ils rédigèrent une sorte de proclamation considéré comme loi, et qu'on l'a appelé « *act martyrum* », <sup>31</sup> et dont le texte est comme suit : « Quiconque aura été en communion avec les *Traditores*, n'aura point part avec nous aux royaumes célestes ». <sup>32</sup>

Cette proclamation invite tous les *Purs* et les *Saints* sur la nécessité d'appliquer l'excommunication lancée par les martyrs en Afrique, sur tous les *Traditores*.<sup>33</sup> Comme elle a eu un écho virulent, et un retentissement extraordinaire, dans divers régions du Maghreb antique et surtout en Numidie. Et elle devint une arme contre Mensurius et ses partisans. <sup>34</sup>

Depuis les incidents d'*Abitina* le 12 février 304, le schisme africain commence son expansion, et ses jalons à paraître, après la dernière et violente persécution (311-312), et surtout les persécutions de l'empereur Dioclétien qui ont laissé un impact profond au Maghreb. C'est le schisme de l'église africaine, cette église qui est restée toujours Unifiée, comme on l'a citée auparavant.

Un curieux document, et des sources catholiques montrent que les divergences étaient profondes entre les évêques Numides, à propos de ce concile qui s'est tenu à Cirta <sup>35</sup> le 5 mars 305 (*Concili Cirtensis*) pour la consécration d'un nouvel évêque, après la mort de *Paulus*. <sup>36</sup> A sa place les évêques Numides ont élu le sous Diacre *Silvanus*, par l'intrigue, et l'émeute, malgré l'opposition des clercs et des notables, qui l'on accusé de félonie, et lui même était compromis lors des perquisitions. <sup>37</sup>

Il paraît que l'apostasie s'est propagée à travers la Numidie, où s'est tenu le concile de Cirta pour ordonner *Silvanus*, sous la présidence du primat *Secundus*, douze évêques numides sont présents, parmi eux : Donatus de Mascula, Victor de Rusicade, Marinus d'Aquae Tibilitanae, Donatus de Calama, Purpurius de Limata, Victor de Garbe, Félix de Rotarium, Nabor de Centurionis, Secundus minor, tous ou presque tous futurs Donatistes. <sup>38</sup>

Les évêques Numides présents au concile de Cirta en 305, sont devenus - sept ans plus tard - les fondateurs principaux de l'église schismatique. Sans doute, ils auraient utilisé un autre ton, en consacrant l'évêque de Carthage. Ils se sont considéré comme *-les Saints et les Purs-*. <sup>39</sup>

L'Église Africaine a connu un changement radical, après la mort de *Mensurius* évêque de Carthage en 311, de retour de Rome, où il a été reçu par l'empereur. C'était un évènement très significatif dans les rapports entre le pouvoir séculier et l'Église.

Suite à sa mort, le problème de la succession de l'évêque de Carthage *Mensurius* débute, dans une atmosphère d'intrigues et de complots. Ce qui a mené à l'évolution du conflit, sur la consécration épiscopale de l'évêque de Carthage. Le schisme de l'Église Africaine débute là, à cela s'ajoute une évolution dans l'empire avec l'arrivée de Constantin.<sup>40</sup>

Suite à l'élection de *Caecilianus*, qui était *Diaconus* de *Mensurius*, cette Ordination s'est faite en l'absence du primat de Numidie, et hors des traditions de l'église africaine. L'église schismatique s'organisa rapidement, *Secundus* évêque de Tigisis et primat de Numidie, (*Episcopus Primae Sedis*) convoqua donc un concile de soixante-dix (70) évêques à Carthage, dans la maison de *Lucilla*<sup>41</sup> matrone de la communauté de Carthage, en 312. Ils citèrent *Caecilianus*, qui refusa de comparaître ; il fut excommunié et le concile élu, pour le remplacer, *Majorinus*, lecteur de l'Église de Carthage. La consécration de *Caecilianus* fut invalidée en raison de *Félix d'Abthugni*<sup>42</sup> accusé lui-même d'avoir été un *traditor*, à l'époque des persécutions.<sup>43</sup> Avec deux autres clercs *Botrus* et *Caelestius*, accusé eux aussi d'avoir ordonné *Caecilianus*.<sup>44</sup> Suivant la discipline de l'Église d'Afrique, une consécration faite par un *traditor* était nulle.

Ils élirent *Majorinus* qui fut rapidement remplacé par Donat.<sup>45</sup> Le schisme débute là. Mais il se fonde sur une approche doctrinale différente sur la question ecclésiale et sur celle du baptême, aussi sera-t-il très vite considéré comme une hérésie et donc traité comme tel par l'autorité romaine civile.<sup>46</sup>

Il paraît que les intérêts des Carthaginois s'opposent à celles de *Caecilianus*, avec les accusations des évêques Numides ont pu concrétiser le schisme dans l'Église Africaine.

Les procès-verbaux de la consécration, ont cité qu'une femme carthaginoise riche et influente d'origine espagnole nommé *Lucilla*, a joué un

rôle essentiel dans la déposition de *Caecilianus*, et la consécration d'un nouvel évêque, le lecteur de Carthage *Majorinus*, protégé de *Lucilla*.<sup>47</sup>

Si Augustin a accusé *Lucilla* vers 400 -suite à des enquêtes faites après l'ordination de *Majorinus*- d'avoir corrompus les évêques du concile de Carthage, en leur versant une somme considérable qu'ils se partagèrent sans en rien donner ni aux pauvres, ni aux ecclésiastiques, et a pu arriver à son objectif.<sup>48</sup>

Martroye remonte les malentendus aux rancunes, entre la matrone de Carthage *Lucilla* et *Caecilianus*, et que celle-ci ne pardonnait point à *Caecilianus* une réprimande que celui-ci avait eu à lui adresser alors qu'il était encore Diacre.<sup>49</sup>

A mon avis, ces malentendus entre *Lucilla* et *Caecilianus*, révèlent les conflits profonds entre l'église de Numidie, et l'église de Carthage dirigée par *Mensurius* puis *Caecilianus*, compromis tous deux pendant les persécutions, d'avoir livré les écritures et les livres saints au pouvoir païen Romain.

*Majorinus* n'était qu'un fantôme, il disparut vite, il mourut au bout de quelques mois, en 313 pendant les assises du concile de Rome, il a été remplacé par Donatus de Carthage dit « Donat le grand », il a été l'auteur de la rupture, et pourtant l'on a bien des raisons de l'identifier avec Donat des cases noires dit « Donat de Bagai ». <sup>50</sup>

En tout cas, Donatus de Carthage avait les qualités d'un vrai chef : il constitua et fortifia -par tous les moyens- la nouvelle église,<sup>51</sup> qui prétendait être la véritable église catholique,<sup>52</sup> l'église des martyrs.<sup>53</sup> Il a donné son nom aussi au mouvement Donatiste qui fut appelé le parti de Donat « *Pars Donati* », ou le Donatisme.<sup>54</sup>

L'église africaine se trouve ainsi divisée, le schisme est consommé : c'en était fait pour plus d'un siècle, de l'unité de l'Afrique chrétienne. L'église catholique sous l'égide de *Caecilianus*, alliée du pouvoir séculier, et l'église

schismatique sous l'égide de Donatus avait contre elle l'autorité de l'empereur et de ses représentants en Afrique. Elle a été persécutée par la plupart des empereurs Romains.<sup>55</sup>

Chaque parti est allé défendre ses opinions et ses convictions. Les Donatistes ont utilisé tous les moyens afin de souiller les catholiques. En contrepartie, les catholiques ont abusé de leurs parts pour dénoncer les Donatistes.

Ce conflit a conduit à une confrontation polémique, entre Donatistes et catholiques. Bien que les Donatistes aient refusé -maintes fois- d'assister aux polémiques avec les catholiques, qui sont, selon les Donatistes, des traditeurs et persécuteurs de l'église donatiste.<sup>56</sup>

Le conflit qui divisa les chrétiens d'Afrique pendant cent ans, et a fait couler beaucoup de sang à plus d'une fois en Afrique au IV<sup>e</sup> siècle, à l'occasion de querelles religieuses, à pousser le pouvoir séculier à intervenir. Les catholiques résolus à en finir avec ces querelles, ont envoyé une ambassade à l'empereur *Honorius* à travers leur concile tenu à Carthage le 14 juin 410, en exposant la situation, ils ont demandé l'abrogation de l'édit de tolérance, et la convocation d'une conférence générale entre les deux partis.<sup>57</sup>

Aussitôt, l'empereur *Honorius*, par une constitution datée du 25 août 410, annula l'édit de tolérance, et frappa de la peine capitale ou de la proscription tous les hérétiques qui tiendront des assemblées.<sup>58</sup>

En même temps, il accepta le projet de conférence, et prit des mesures pour le réaliser. Il chargea -par la constitution du 14 octobre 410- *Marcellinus*, sénateur et tribun, et notaire impérial, comme commissaire spécial, de se rendre à Carthage, d'y convoquer la conférence.<sup>59</sup>

Les Donatistes ne décidèrent d'assister à la conférence de Carthage en 411, que sous pressions et menaces, et à tenter l'aventure, pourtant ils savaient

que *Marcellinus*, était catholique. Leur présence à Carthage, a conduit à l'évolution de la polémique entre les penseurs de deux églises, certains ont joué des rôles décisifs dans l'évolution de la pensée Chrétienne, comme Tyconius,<sup>60</sup> et St. Augustin.<sup>61</sup>

Pour conclure, l'histoire et l'organisation du Donatisme, permettent d'en déterminer avec assez de précision les causes réelles et durables du schisme, ses principes, ses aspirations, son rôle social et politique.

Tout d'abord, il faut distinguer entre les causes apparentes, accidentelles, et les causes profondes du schisme. L'origine immédiate du Donatisme est dans les surprises de la persécution de l'empereur Dioclétien, dans cette question des *lapsi* qui avait déjà produit le schisme au temps de *St. Cyprien*. Dans la difficulté de régler la situation d'innombrables chrétiens qui avaient faibli d'une façon ou d'autre en face des persécuteurs. Les malentendus éclatent avant même le rétablissement de la paix religieuse, et paraissent dans le manifeste des martyrs d'Abitina en 304, dans la réunion des évêques Numides à Cirta en 305, dans la correspondance du primat *Secundus* avec *Mensurius*.<sup>62</sup> A ces malentendus s'ajoutent de querelles de personne, des jalousies, des rancunes, les intrigues de *Donat* des cases noires, de *Lucilla*.<sup>63</sup> Tous ces malentendus et intrigues aboutissent à une rupture définitive, après l'élection de *Caecilianus* comme évêque de Carthage en 311.<sup>64</sup> Mais la rapide extension du Donatisme, et sa popularité est dû à des causes profondes :

- La première cause était dans l'organisation anormale de l'Église Africaine où les provinces ecclésiastiques n'eurent jamais une véritable autonomie. De la cyrénaïque à la frontière de tingitane tous dépendait de l'évêque de Carthage.<sup>65</sup>

- La seconde cause, liée à la première, était la rivalité traditionnelle entre le primat de Numidie et l'évêque de Carthage, les circonstances de l'élection de *Caecilianus*, en 311 fut brusquée, et en l'absence des Numides.<sup>66</sup>

- La dernière cause, est dans l'état social de l'Afrique, où la misère était grande depuis le milieu du III<sup>e</sup> siècle.<sup>67</sup>

A ces rivalités, à ces jalousies entre les évêques des diverses provinces Africaines, on doit ajouter d'autres causes, d'ordre psychologique, moral, ou même politique.<sup>68</sup>

C'est ainsi que l'histoire des rapports entre le christianisme et le pouvoir Romain à travers trois siècles, s'est caractérisé par des rancunes et des conflits violents. Le pouvoir séculier a usé par tous les moyens pour détruire l'église Donatiste, parce qu'il voyait en elle un facteur de destruction de l'empire Romain.

## II- Origines du conflit Donato-Catholique :

Après la déposition de *Caecilianus*, les intrigues et les complots ne cessent de s'accroître. Un coup de théâtre venait changer les rapports du christianisme avec l'Etat : la victoire de *Constantin*,<sup>69</sup> bientôt suivie de l'édit de Milan en 313, qui assurait aux persécutés non seulement la pleine liberté de conscience et de culte, mais, déjà, la protection officielle de l'Etat.<sup>70</sup>

La fin de la persécution (édit de *Licinius* 311), contre les chrétiens, fût suivie d'un revirement inattendu dans la situation de l'Eglise. La conversion de *Constantin* qui embrassa leur religion et la déclara religion de l'empire, par un célèbre édit rendu à Milan en 313. Seul maître de l'empire, fit de l'ancienne église persécutée, la protégée, puis alliée de l'Etat.<sup>71</sup>

C'est sans doute vers ce temps-là que les conciles donatistes, mentionné par Augustin, interdirent à leurs fidèles le martyre volontaire,<sup>72</sup>

devenu un scandale pour les Donatistes par le nombre des victimes ou la mise en scène des suicides,<sup>73</sup> et de plus en plus à la mode chez les circoncellions, les fanatiques, ou les aventuriers du parti. Malgré la prohibition, l'épidémie des suicides dévots que jamais l'Afrique n'a vus aussi d'épouvantable ne put s'arrêter, pendant les vingt premières années du V<sup>e</sup> siècle.<sup>74</sup>

Il paraît que le Donatisme s'est propagé d'une façon prodigieuse, il a franchi les limites de la Numidie, pour atteindre la proconsulaire, Byzacène, la Tripolitaine, et les Maurétanies, il a profité des circonstances de cette période, et a pu tenir tête aux Catholiques.

### III-Principales périodes de la confrontation Polémique Donato-Catholique :

Le conflit Donato-Catholique, a connu à travers son histoire quatre périodes, trois d'entre-elles pendant l'époque Romaine, il est affaibli à la fin de l'époque Vandale, avant de disparaître pendant l'époque Byzantine à la fin du VI<sup>e</sup> siècle. On peut distinguer trois périodes pendant l'époque Romaine :

#### III- 1- les prémices de la polémique (305-316) :

Cette période débute de la tenue du concile de Circa en 305, avant deux mois de l'abdication de l'empereur *Dioclétien*, jusqu'à 316 date de la condamnation de l'Eglise Donatiste par l'empereur Constantin.<sup>75</sup>

Cette période a connu une escalade accrue des persécutions, ce qui a poussé quelques évêques à l'apostasie et être traditeurs, d'avoir obéi aux édits impériaux de remettre au pouvoir séculier et ensuite brûler les écritures et les livres sacrés.

Le protocole de Circa (*Concili Cirtensis*) a marqué la rupture entre ceux qui ont résisté (Eglise Donatiste) et ceux qui ont trahis leur foi (Eglise Catholique) et ont livré les écritures aux persécuteurs. Le protocole de Circa, fut le début de la tenue d'une série de conciles entre les deux Eglises Donatiste et Catholique.

Les persécutions d'Abitina en 304, avaient produit un état de malaise et de mécontentement général auprès de la population du Maghreb antique. Le manifeste des martyrs d'Abitina (*act martyrum*) est devenu en quelque sorte une charte religieuse et sociale.<sup>76</sup> A la mémoire de ces martyrs des stèles ont été dressé à travers diverses villes du Maghreb antique.<sup>77</sup>

### III- 2- Période de la persécution et de répression (317-392) :

Cette période a connu un mouvement très actif, dans l'histoire du conflit entre les deux églises, l'Eglise Donatiste d'un côté, et l'Eglise Catholique soutenu par le pouvoir séculier d'autre part. Cette période débute de la première persécution en 317 à l'époque de Constantin jusqu'en 392 date où saint Augustin est entré en lice, et mène le combat décisif sur le plan théologique, en affrontant l'Eglise Donatiste à la tête de l'épiscopat de *Hippo-Régius* (Annaba).

Cette période est marquée par des évènements importants tels que : la promulgation de l'édit de tolérance en 321,<sup>78</sup> et l'édit d'Union de l'empereur *Constantius* en 347, et la riposte violente de l'empereur *Julien l'apostat* en 367, Suivi d'un nombre d'édits visant la destruction de l'Eglise schismatique en 373.

A la suite de la condamnation des détracteurs de *Caecilianus* qui ne fit que surexciter les mécontents, et après quelques troubles qu'a connu la Numidie, *Constantin* fut contraint d'user de rigueur, il se décida à promulguer une loi qui prononçait confiscation, au profit du fisc, des basiliques et de tous les lieux où les dissidents tenaient leur assemblées.<sup>79</sup> L'empereur a ordonné à ses commissaires sur la nécessité de veiller à la pratique de la loi avec rigueur. Le pouvoir séculier à l'aide des clercs de l'Eglise officielle ont empêché les Donatistes d'entrer ou de se réfugier dans les églises.<sup>80</sup> Les Donatistes n'ont qu'à riposter à la loi de 317 de *Constantin*, des affrontassions sanglantes se sont

produit dans diverses églises à Carthage, beaucoup de sectaires furent massacrés, on les ensevelit dans des basiliques où ils avaient succombé.<sup>81</sup>

Il paraît que *Constantin* était contraint de suivre une politique répressive, après sa victoire sur son ennemi *Maxentius*. *Caecilianus* était le seul au Maghreb antique d'avoir tiré profit de cette politique. Ce qui a poussé l'évêque de Carthage à prendre des mesures envers l'Eglise schismatique, et la condamnation du Donatisme.

### III- 3-Augustin et la proscription du Donatisme (392-411) :

L'Eglise schismatique est restée solide, unifiée pendant plus de quatre-vingt ans, elle sut tenir tête à l'Eglise Catholique, considéré comme église officielle soutenu par le pouvoir Romain. Elle a pu mettre la politique de ce pouvoir hors **d'état** de nuire, depuis l'élection de l'évêque *Majorinus* à la tête de l'Eglise de Carthage en 312, après la mort de *Mensurius* en 311, jusqu'en 392, où le Maghreb antique a connu deux importants évènements : le premier est la mort des chefs et protagonistes des deux églises, *Genethlius*<sup>82</sup> évêque de l'Eglise Catholique de Carthage, qui fut remplacé par *Aurelius*, et la mort de *Parmenianus* le plus réputé des évêques et chefs de l'Eglise Donatiste, qui avait reconstitué l'Eglise schismatique, et lui rendit toute sa puissance, et qui présida pendant trente ans à ses destinées.<sup>83</sup> Le deuxième évènement est l'ordination de *Saint Augustin* à la tête de l'épiscopat de *Hippo- Regius* (Annaba),<sup>84</sup> qui a joué un rôle primordial en infiltrant le schisme au sein de l'Eglise Donatiste, et en employant tous les moyens, y compris la légitimité de la violence, afin de réintégrer les dissidents au sein de l'Eglise Catholique.<sup>85</sup>

Dans sa campagne contre les Donatistes, et dans le cadre de la polémique entre les deux églises, *Saint Augustin* multiplia les discours et les

écrits, et fut amené par les nécessités de la lutte, à préciser l'essence de l'Eglise, et à formuler un principe redoutable, la nécessité d'une « utile terreur » exercée par les pouvoirs publics pour ramener les hérétiques à l'orthodoxie (l'Eglise Catholique), au nom du Christ : « forcez-les à entrer » (*Compelle Intrare*). Il légitima la coercition de l'état.<sup>86</sup>

Après la mort de *Parmenianus* chef du Donatisme en 392, les Donatistes ont élu *Primianus*<sup>87</sup> à sa place.<sup>88</sup> Mais le nouveau primat des Numides n'avait pas été long à semer autour de lui l'inquiétude et la défiance. Dès les premiers mois de son épiscopat, par sa politique incohérente, faite de maladresse, de tyrannie, et de partialité. C'est ainsi que, *Primianus* fut condamné définitivement par le concile de Cabarsussa en Byzacène en 393. Il a été dépouillé de l'épiscopat et excommunié à raison d'un grand nombre de fautes qui lui furent reprochées et qui se trouvent rapportées, comme motifs de la sentence prononcée contre lui, cette condamnation fut prononcée le 24 juin 393. Après la déposition de *Primianus*, on élut à sa place son ennemi *Maximianus*, et fut ordonné à Carthage par douze évêques.<sup>89</sup> Désormais, l'église de Carthage a trois évêques, dans toute la moitié orientale de l'Afrique Donatiste, une église *Maximianiste* s'organisa en face d'une église *Primianiste*.

Jusqu'à-là, rien n'a changé la politique impériale envers les dissidents. On peut même conclure que, de 392 à 405, l'autorité civile laissa les deux églises rivales vider leur querelle entre elles dans le champ des africains.

C'est seulement en 405, que l'empereur *Honorius* prendra nettement position contre le Donatisme, en proclamant l'assimilation des schismatiques aux hérétiques, et en promulguant un nouveau édit d'union le 12 février 405.

Les évêques Catholiques se décidèrent à en finir avec les dissidents, en assurant le succès par l'intervention du pouvoir séculier. C'est pourquoi, ils ont tenu un concile à Carthage en 410, en envoyant une ambassade à l'empereur

pour lui exposer la situation, demander l'abrogation de l'édit de tolérance, et la convocation d'une conférence générale entre les deux partis.<sup>90</sup> C'est ainsi que *Honorius*, par une constitution datée du 25 août 410, annula son précédent édit, en même temps il accepta le projet de conférence. Il chargea le 14 octobre 410 un commissaire spécial, *Marcellinus*, sénateur, tribun et notaire impérial, de se rendre à Carthage, d'y convoquer la conférence, d'en présider les débats, afin de rétablir l'unité religieuse en Afrique.<sup>91</sup> C'est un moment solennel, une époque, dans l'histoire de l'Afrique chrétienne, de la conférence de Carthage allait sortir la condamnation définitive du schisme Donatiste.

Les débats ont eu lieu le 1 juin 411, et ont duré 8 jours, dans un vaste et luxueux édifice de Carthage, les *Thermae Gargilianae*.<sup>92</sup> Les deux partis étaient à peu près d'égale force. 286 évêques Catholiques sont présents, 120 absents, 64 sièges vacants ; du côté des Donatistes, 279 évêques présents, à peu près autant d'absents et de sièges vacants que pour les Catholiques. C'est la troisième séance du 8 juin qui décida du sort des schismatiques, la sentence est proclamée : le Donatisme est proscrit officiellement.<sup>93</sup>

**Conclusion:**

Le Donatisme, qui n'avait nullement varié depuis sa naissance. Il n'est donc pas certain que, sur ce point, Augustin ait raison contre *Cresconius*, le polémiste donatiste. Mais le fait légal était acquis : depuis la loi de 405, confirmée par bien d'autres, et sauf le court entr'acte de la conférence de Carthage en 411. Le Donatisme fut définitivement assimilé aux hérésies, traité et proscrit comme tel.

Il paraît que l'invasion du Maghreb antique par les Vandales<sup>94</sup> en 430, a contribué d'une façon indirecte, à sauvegarder ce qui restait du Donatisme. Cette invasion a dû affaiblir le pouvoir Romain, qui était le plus grand ennemi du schisme Donatiste, ce pouvoir qui commence à perdre ces provinces africaines, l'une après l'autre d'une part, et les persécutions vandales qui ont atteint l'Église Catholique d'autre part.

On peut conclure de ce raccourci historique que le Donatisme se présente comme une attitude schismatique et une forme d'hérésie au Maghreb antique, par des divergences doctrinales profondes dans les domaines ecclésiologiques et sacramentaires. Mais il s'ajoute à cela un refus d'une nouvelle attitude de l'Église catholique face au pouvoir romain, à la faveur de la paix constantinienne.

Malgré la proscription du Donatisme, et jusqu'à la fin du VI<sup>e</sup> siècle, il subsistera des communautés Donatistes, ou ces communautés n'ont jamais été dissoutes, ou elles seront reconstituées après la tourmente, malgré l'appui du pouvoir séculier.

## Références :

1. Papier (A.), *Hammam Meskhoutine (Aquae Tibilitanae)*, B.A.H., n° 14, 1879, p.109.
2. Monceaux (P.), *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe*, t. I, Paris, 1902, IV, p.193.
3. Duchesne (L.), *le dossier du donatisme*, Mélanges d'archéologie et d'histoire, de l'école Française de Rome, t. 10, 1890, p. 589-650
4. Ces documents en effet, visent à réduire les origines du Donatisme à de simples querelles de personnes dues à la mauvaise conscience d'évêques de Numidie. Les historiens du Donatisme ont accepté cette optique jusqu'à P. Monceaux, (*H.L.A.C.*, 1902). Mais Ch.A.Julien a eu le mérite de chercher à remédier à cette insuffisance et de percevoir dans la passion des martyrs d'Abitina d'où naquit le Donatisme, (*Histoire de l'Afrique du nord*, Alger, 1978, t. I, p. 215.)
5. Duchesne (L.), « *le Dossier du Donatisme* », M.E.F.R.A., X, 1890, pp. 589- 650.
6. Ibid., pp. 627,649.
7. Sanctus Optatus Milevitanus, (320-385), né en Afrique, évêque de Milev (Mila actuellement), Apologiste de l'église Catholique, contre les Donatistes, à partir de son ouvrage illustre «De Schismate Donatistarum » - du schisme donatiste. -Bouillet (M.N.), Op.cit., p.1383.
8. Parmenianus, 2<sup>è</sup> évêque Donatiste, successeur de Donat le Grand à la tête de l'église Donatiste et l'épiscopat de Carthage (355-392), il a écrit «*Adversus Ecclesiam Traditorum*», contre l'église des traîtres. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, V, pp.241-263.
9. Tillemont, *Mémoires sur l'histoire ecclésiastique*, t.VI, pp. 1-193.
10. Morcelli, *Africa christiana*, Brescia 1817, (notices sur le donatisme : les tomes 2, et 3).
11. Duchesne (L.), *le dossier du donatisme*, Mélanges d'archéologie et d'histoire t. 10, 1890, pp. 589-650 ; Pallu de lessert, *Fastes des provinces Africaines sous la domination romaine*, t. 2, Paris, 1901 ; Boissier, (G.), *la fin du Paganisme*, t. I, Paris, 1891, p. 82 ; Cagnat (R.), *l'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, E. Leroux, Paris, 1913, p. 66 ; Gsell (S.), *Fouilles de Benian, (Ala-Miliaria)*, Paris, 1899, p. 20 ; *L'Algérie dans l'antiquité*, Adolphe Jourdan, Alger, 1903, p. 65 ; *les Monuments Antiques de l'Algérie*. T.II, Paris, 1901, p. 175 ; Audollent (A.), *Carthage*

- Romaine, Paris, 1901, p. 505 ; Martroye (F.), « *une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et circoncillions* », R.Q.H., t.32, Paris, 1904, pp.353-416.
12. Duchesne (L.), *le dossier du donatisme*, Mélanges d'archéologie et d'histoire t. 10, 1890, Pallu de lessert, *Fastes des provinces Africaines*, t. 2, Paris, 1901.
  13. Surtout les *Fouilles d'Ala-Miliaria, dans la province d'Oran*, (cf. Gsell (S.), *Fouilles de Bénian*, Paris, 1899 ; et les découvertes du Cdt. Guénin commandant du cercle de Tébessa en 1908, dans la région de Henchir el- Abiod 15 km à l'ouest de chréa (Tébessa), (cf. Leschi (L.), *Recherches épigraphiques dans le pays des Nememchas*, Rev.Afri., n° 72,1931, (pp.262-293).
  14. Optat de Milev, *de schismate donatistarum*, édition C. Ziwsa, C.S.E.L., t. XXVI, Vienne, 1893 ; et les traités Anti-donatistes *d'Augustin* édition de Vienne et de Leipzig, 1908-1910 (vol. XXVI et LI- LIII).
  15. Monceaux (P.), *Les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste*, C.R.A.I., n° 5, 1906. p. 314 ; Monceaux (P.), *Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique*, C.R.A.I., 1907 ; Monceaux (P.), *Revue de philologie*. 1909, p.112.
  16. Honorius Flavius, (384-423), empereur d'Occident (395-423), 2<sup>e</sup> fils de Theodosius I (379-395), n'avait que 9 ans quand son père mourut, il partagea l'empire avec son frère Arcadius empereur d'Orient, Bouillet (M.N.), *Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie*, Paris, 1878, p.890.
  17. Lapsi, du verbe latin : Labor, Lapsus Sum, qui veut dire : ceux qui tombent, ou trébuchent, Félix Gaffiot, *Dictionnaire Abrégé Latin Français*, Hachette, Paris, 1936, pp. 353, 357.
  18. Optat (St.), I, 13- 14, d'après Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, p. 13.
  19. Les donatistes ont affirmé lors de la tenue de la conférence de Carthage en 411 qu'il s'agit de deux Donat : *Donatus Casae Nigrae* de *Bagai* en Numidie, et *Donatus le grand* dit « *le Carthaginois* », mort en 355 ; Martroye (F.), *une tentative de révolution sociale*, p. 368 ; d'autres historiens se contentent sur une seule personne, Monceaux (P.), « *les premiers temps du donatisme et la Question des deux Donat* », C.R.A.I., n° 1, 1916, p.50 ; Brisson (J.P.), *Autonomisme et christianisme dans l'Afrique Romaine*, Paris, 1958, p. 237.
  20. Optat (St.), I, 13- 14.
  21. *Majorinus* : évêque Donatiste, orateur réputé, élu évêque de Carthage après la déposition de *Caecilianus*, n'est plus mentionné par *Optat* après sa consécration en 312, tandis qu'*Augustin* affirme qu'il vivait encore au printemps de 313, lors de la requête adressée à

- Constantin le 15 Avril, par les évêques dissidents ; Optat (St.), I, 19 ; Augustin (St.), *Epist.* 43, 5, 16 ; Jacques-Paul (D.), Pluquet (l'abbé J. C.), Dictionnaire des Hérésies, t. I, Paris, 1847, p. 648.
22. Optat (St.), I, 15.
23. *Abitina / Avitina / Abithina*, petite localité dans le bassin du fleuve Bagradas (Mejerda actuellement), ruines de chahoud el Batel, près de Mejaz el Bab en Tunisie. Beschouch (A.), « *Sur la localisation d'Abitina...* », *C.R.A.I.*, 1976, pp. 255- 266.
24. *Silvanus*, élu évêque de Cirta, il était l'un des évêques numides qui ont demandé l'abrogation de la consécration de Caecilianus, Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, pp. 13, 28.
25. *Mensurius*, évêque de Carthage au début du 4<sup>e</sup> siècle, il a été mentionné par *Optat* et *Augustin*, *Maxentius* l'a accusé d'avoir livré les écritures et les livres saints et le clerc *Félix* aux magistrats et au pouvoir séculier. Toulotte (Mgr.), *Géographie de l'Afrique Chrétienne*, Paris, 1892, p. 84.
26. Optat (St.), I, 13- 14.
27. Brisson (J.P.), *Autonomisme et christianisme*, p.70-71.
28. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, V, p. 10.
29. *Traditores*, du verbe latin : *Trado (Transdo)*, *didit, ditum, ere*, qui veut dire : action de remettre, de transmettre, livraison, c'est à dire action de livrer les écritures et les livres saints sous la menace au pouvoir Romain persécuteur (l'autorité civile), pour qu'ils soient brûlés. Félix Gaffiot, *Dictionnaire Abrégé Latin Français*, Hachette, Paris, 1936, p. 657.
30. Ces persécutions étaient aussi la cause de divergences entre les chrétiens lors des persécutions de *Décus* (249-250), -Warmington (B.H.), *The North African provinces from Dioclétian to the Vandal conquest*, Cambridge, 1954, p.78.
31. les Donatistes ont considéré cette proclamation comme une loi, et ils l'ont mentionné à la conférence de Carthage en 411, après plus d'un siècle des persécutions de Dioclétien. Julien (Ch.A.), *Op.cit.*, p. 209.
32. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, pp. 12- 13, V, p. 4.
33. Allard (P.), *la persécution de Dioclétien et le triomphe de l'église*, Paris, 1900, t. I, IV, pp.261-273.
34. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, p. 13.
35. Papier (A.), *Op.cit.*, p.109.
36. Optat (St.), I, 13- 14.

37. Augustin (St.), *Contra Cresconium*, III, 27- 30.
38. Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, pp. 13- 14 ; Papier (A.), Op.cit., p.109.
39. Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 17.
40. Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, p. 14.
41. *Lucilla*, femme Carthaginoise d'origine espagnole selon *Optat de Milev*, elle était en litige avec *Caecelianus* à cause d'une réprimande que celui-ci avait eu à lui adresser alors qu'il était encore diacre, de ne point adorer un os qu'elle croyait à un martyr. Monceaux (P.), H.L.A.C., IV, pp. 15- 16.
42. *Abthugni, Abthungi*, vestiges d'une ancienne chapelle, petite localité près de Carthage, aujourd'hui *Hr.Es-Souar*, au sud de Zaghouan en Tunisie. Mesnage (J.P.), *l'Afrique chrétienne, Ruines Antiques et évêchés*, Paris, 1912, p.277 ; Babelon (M.), *A.A.T.*, Paris, 1893, I, 42, 52.
43. Jacques-Paul (D.), Pluquet (abbé), *Dictionnaire des Hérésies, des erreurs et schismes*, t. I., Ateliers catholiques, Paris, 1847, pp. 646- 647.
44. Mourre (M.), *Dictionnaire encyclopédique d'histoire*, Bordas, 1978, p.1408.
45. Optat (St.), I, 19.
46. Brisson (J.P.), *Op.cit*, pp. 126-127 ; Raynal (D.), *Culte des martyres et propagande Donatiste à Upenna*, C.T., t. XXI, n° 81- 82, 1973, pp. 46- 47.
47. Augustin (St.), *Epist.* 43, 2, 4.
48. Augustin (St.), *Contra Epistulam Parmeniani*, 43, 6, 17 ; *Contra Cresconium*, III, 28-29.
49. Martroye (F.), *une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et circoncillions*, R.Q.H., T.32, 1904, p. 361.
50. Augustin (St.), *Epist.* 43, 5, 16 ; 88, 1-2 ; 93,4, 13.
51. Optat (St.), III, 3.
52. Augustin (St.), *Epist.* 88, 2.
53. Optat (St.), I, 22 ; III, 3.
54. Augustin (St.), *Cont. Epist. Parmen.*, III, 4, 24; *Contra Cresconium*, II, 1, 2 ; IV, 6,7.
55. Maier (J.L.), *l'épiscopat de l'Afrique Romaine, Vandale et Byzantine*, Bibliotheca Helvetica Romana, XI, Institut Suisse de Rome, 1973, p. 95, 453.
56. Lancel (S.), *Actes de la Conférence de Carthage en 411*, t. I : Introduction, S.C., n° 194, Paris, 1972, p. 9- 25.
57. Augustin (St.), *Brevic. Collat.*, III, 2, 2; 3, 3; 4, 4-5.

58. *Cod.Theod.*, XVI, 5, 51.
59. *Cod.Theod.*, XVI, 11, 3 ; Augustin (St.), *Brevic. Collat.*, I, 1, III, 2, 2.
60. Parmi les polémistes qui ont un impact sur la pensée chrétienne, Tyconius un donatiste très distingué d'esprit indépendant, s'est séparé des donatistes sans se rallier aux catholiques, il avait un effet remarquable sur St. Augustin. Congar (Y.), *Note complémentaire n° 10*, « *Parmenianus et Tyconius* », *B.A.*, 28, p. 718- 721.
61. Congar (Y.M.J.), *B.A.*, 28, p. 80- 124 ; Brisson (J.P.), *Op.cit.*, p. 84.
62. Optat (St.), I, 13-16 ; Augustin (St.), *Contra Cresconium*, III, 27-30.
63. Optat (St.), I, 16-18 ; Augustin (St.), *Contra Cresconium*, II, 1, 2 ; *Epist.* 43, 6, 17.
64. Optat (St.), I, 19-20 ; Augustin (St.), *Contra Cresconium*, III, 28, 32 ; *Epist.* 43, 2, 3.
65. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, p. 164.
66. Augustin (St.), *Cont. Epist. Parmen.*, I, 10, 16.
67. Toutain (J.), *les cités Romaines de la Tunisie*, Paris, 1895, p. 362.
68. St. Cyprien, *Epist.*, 69-74.
69. Constantin I<sup>er</sup>, (288-337), dit "le Grand" (Caius Flavius Constantinus), Empereur Romain, (306 – 337), fils de Constance Chlore et de sa concubine Héléne, il servit sous Dioclétien et à la mort de son père en 306, fut proclamé Auguste par l'armée de la grande Bretagne à York. Cessa la persécution contre les chrétiens et embrassa leur religion et la déclara religion de l'empire, par un célèbre édit rendu à Milan en 313. Claude Augé, *Dictionnaire Universel Encyclopédique*, t. III, Paris, Larousse, s.d. p.218 ; Bouillet (M.N.), (1878), *Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie*, p. 452.
70. Lactantius, *De Mortibus Persecutorum*, in *R.Q.H.*, t. LXXIV, 1903, 44, 48 ; Eusèbe, de Césarée, *Histoire ecclésiastique*, Trad. Par cousin, t. I, Paris, 1687, X, 5, 2.
71. Meslin (M.), Hadot (P.), « *À propos du donatisme* », *A.S.S.R.*, n° 4, 1957, p.143.
72. Augustin (St.), *Contra Cresc.*, III, 49, 54.
73. les Donatistes se suicidaient par divers formes -selon Augustin- : se brûler vif, se noyer, ou se précipiter dans les gouffres. Augustin (St.), *Contra Litter. Petil.*, II ; XLIX, 114 ; 32 ; XXXI, 37 ; Brisson (J.P.), *Op.cit.*, p. 351.
74. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, p. 365.
75. Martroye (F.), « *une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et Circoncellions* », *R.Q.H.*, T.32, 1904, p.354.
76. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, V, p. 4.

77. Audollent (A.), « *Mission Epigraphique en Algérie* », M.E.F.R.A., 1890, p. 526.
78. Cod. Theod., XVI, 6, 2.
79. Augustin (St.), *Contra. Litter. Petil.*, 92.
80. Martroye (F.), *une tentative de révolution sociale*, p. 387- 388.
81. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, p. 469.
82. *Genethlius*, Evêque Catholique de l'église de Carthage en 390, il a présidé cette même année un concile à Carthage dont nous avons les actes, puis un autre concile à Hippo-Regius le 8 octobre 393, il est appelé par St. Augustin, il eut pour successeur en 392, mort en 392, il a été succédé par Aurélius. Mesnage (J.P.), *l'Afrique Chrétienne*, p. 5.
83. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, p.337.
84. Augustin (St.), *Epist.*, XLIV. 5, 12 ; XXII.
85. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, IV, p.22-23 ; Claude Lepelley, *Primauté Romaine et Autonomie Africaine au V<sup>e</sup> S.*, C.T., n° 5-6, 1967, p. 194.
86. Julien (Ch.A.), *Op.cit.*, pp. 226- 227.
87. *Primianus*, Evêque Donatiste, il fut le successeur de Parmenianus vers 392, et le dernier chef de la secte. Augustin (St.), *Cont. Epist. Parmen.*, II, 42 ; III, 11 ; Mesnage (J.P.), *l'Afrique Chrétienne...*, pp. 5, 202.
88. Monceaux (P.), *H.L.A.C.*, t.V, p. 224 ; t.VI., p. 111.
89. Augustin (St.), *Contra Cresconium*, IV, 6, 7.
90. Augustin (St.), *Brevic. Collat.*, III, 2, 2; 3, 3; 4, 4-5.
91. *Cod.Theod.*, XVI, 11, 3 ; Augustin (St.), *Brevic. Collat.*, I, 1; III, 2, 2.
92. Augustin (St.), *Brevic. Collat.*, I, 14.
93. *Collat. Carthag.*, III, 1.
94. *Vandale*, (*Vandalî*), dérivé du nom d'un village suédois en Obland (Vendel- Wendes), peuple germanique établi au sud de la Baltique au I<sup>er</sup> S.ap.J.C. Il est partagé en deux grandes tribus, les Silings et les Hasdings. Ils conquièrent la Gaule au V<sup>e</sup> S. (407), puis l'Espagne en 409. Ils s'embarquèrent en Afrique en 429 avec leur chef Genséric (428-477) sous la pression des Wisigoths, et arrivèrent à Carthage en 439. Converti à l'arianisme ils persécutent toutes les autres sectes (Catholiques- Donatistes). Justinien ordonne Bélisaire de débarquer en 533 à Carthage, et mets fin à leur empire en Afrique. Evagre, *Histoire Ecclésiastique*, trad. M. Cousin, Paris, 1686, IV, 16 ; Courtois (Chr.), *les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955, pp.15-19.

## Bibliographie :

Allard P., *la persécution de Dioclétien et le triomphe de l'église*, Paris, 1900.

Audollent A., *Carthage Romaine*, Paris, 1901.

Audollent A., « *Mission Epigraphique en Algérie* », M.E.F.R.A., 1890.

Augustin St., *Breviculus Collationis cum donatistis*, I, 14.

Augustin St., *Contra Cresconium*, III, 27- 30.

Augustin St., *Contra Epistulam Parmeniani*, I, 10- 13.

Augustin St., *Contra Epistulam Parmeniani*, 43, 6, 17.

Augustin St., *Contra Litteras Pétilianii*, 92.

Augustin St., *Epistolae* 43, 2, 4.

Augustin St., *Psalmus Contra Partem Donati*, 145.

Beschaouch A., « *Sur la localisation d'Abitina...* », C.R.A.I., 1976, p. 255- 266.

Birebent J., *Aquae Romanae, service des antiquités de l'Algérie*, 1961.

Boissier G., *la fin du Paganisme*, t. I, Paris, 1891.

Bouillet M.N., *Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie*, Paris, 1878.

Brisson J.P., *Autonomisme et christianisme dans l'Afrique Romaine*, Paris, 1958.

Cagnat R., *l'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, E. Leroux, Paris, 1913.

Cayrel P., « *une basilique donatiste de Numidie* », M.E.F.R., LI, 1934, p. 114-142.

Claude Augé, *Dictionnaire Universel Encyclopédique*, t. III, Paris, Larousse, s.d.

Claude Lepelley, *Primauté Romaine et Autonomie Africaine au V<sup>e</sup> S.*, C.T., n° 5-6, 1967.

Codex Théodosianus, édit. Th. Mommsen, et P. Meyer, Berlin, 1954. IX.

Congar Y., *Note complémentaire n° 10, « Parmenianus et Tyconius* », B.A., 28, p. 718-721.

Courcelle P., « *une seconde campagne de fouilles à Ksar El Kelb* », M.E.F.R., 1936, p. 166-197.

Courtois Chr., *les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955.

Duchesne L., « *le Dossier du Donatisme* », M.E.F.R.A., X, 1890, p. 589- 650.

- Duval N., *une nouvelle édition du « dossier du Donatisme »*, R.E.A., n°35, 1989, p.171-179.
- Eusèbe, de Césarée, *Histoire ecclésiastique*, Trad. Par cousin, t. I, Paris, 1687.
- Gaffiot F., *Dictionnaire Abrégé Latin Français*, Hachette, Paris, 1936.
- Gsell S., *Fouilles de Benian, (Ala-Miliaria)*, publiées sous les auspices de l'Association historique pour l'étude de l'Afrique du Nord, Ernest Leroux, Paris, 1899.
- Gsell S., *Atlas Archéologique de l'Algérie*, cartes et textes, Paris, Alger, 1911.
- Gsell S., *les Monuments Antiques de l'Algérie*, T. II, Paris, 1901.
- Gsell S., *Notes d'archéologie Algérienne*, B.C.T.H., 1899.
- Gsell S., *L'Algérie dans l'antiquité*, Adolphe Jourdan, Alger, 1903.
- Jacques-Paul D., Pluquet l'abbé, *Dictionnaire des Hérésies, des erreurs et schismes*, t. I, Ateliers catholiques, Paris, 1847.
- Julien Ch. A., *Histoire de l'Afrique du nord*, Alger, 1978.
- Lactantius, *De Mortibus Persecutorum*, in R.Q.H., t. LXXIV, 1903.
- Lancel S., *Actes de la Conférence de Carthage en 411*, t. I : Introduction, S.C., n° 194, Paris, 1972.
- Leschi L., *Recherches épigraphiques dans le pays des Nememchas*, Rev.Afri., n° 72,1931, p. 262-293.
- Maier J.L. *l'épiscopat de l'Afrique Romaine, Vandale et Byzantine*, Bibliotheca Helvetica Romana, XI, Institut Suisse de Rome, 1973.
- Martroye F., « *une tentative de révolution, sociale en Afrique, Donatistes et circoncillions* », R.Q.H., t.32, Paris, 1904, p.353-416.
- Martroye F., *la répression du donatisme et la politique religieuse de Constantin et de ses successeurs en Afrique*, M.S.N.A.F., 1914, p.134-135.
- Meslin M., Hadot P., « *À propos du donatisme* », Archives de sociologie des religions, n° 4, 1957, p. 143-148.
- Mesnager J.P., *l'Afrique chrétienne, Ruines Antiques et évêchés*, Paris, 1912.
- Babelon M., Cagnat R., Reinach S., *Atlas Archéologique de Tunisie*, Paris, 1893.
- Monceaux P., « *les premiers temps du donatisme et la Question de deux Donat* », C.R.A.I., n° 1, 1916.

Monceaux P., *Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique*, C.R.A.I., 1907.

Monceaux P., *Revue de philologie*. 1909, p.112.

Monceaux P., *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe*, t. I, t. IV, Paris, 1902.

Monceaux P., *Les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste*, C.R.A.I., n° 5, 1906, p. 314.

Mourre M., *Dictionnaire encyclopédique d'histoire*, Bordas, 1978.

Optat de Milev, *de schismate donatistarum*, édition C. Ziwsa, C.S.E.L., t. XXVI, Vienne, 1893.

Pallu de Lessert, *Fastes des provinces Africaines sous la domination romaine*, t. II, Paris, 1901.

Papier A., *Hammam Meskhoutine (Aqua Tibilitanae)*, B.A.H., n° 14, 1879, p. 107-112.

Petit P., *Histoire Générale de l'empire Romain, t. I, le Haut-Empire (27 av. J.C. - 161 ap. J.C.)*, Paris, 1974.

Ragot W., «*le Sahara de la province de Constantine*», R.S.A.C., XVI, 1874, p. 91-299.

Raynal D., *Culte des martyres et propagande Donatiste à Upenna*, C.T., t. XXI, n° 81- 82, 1973.

Tillemont, *Mémoires sur l'histoire ecclésiastique*, t.VI, 1-193.

Tissot Ch., *Géographie Comparée de la province Romaine d'Afrique*, t. II, Paris, 1888.

Toulotte Mgr., *Géographie de l'Afrique Chrétienne*, Paris, 1892.

Toutain J., *les cités Romaines de la Tunisie*, Paris, 1895.

Warmington B.H., *The North African provinces from Diocletian to the Vandal conquest*, Cambridge, 1954.